

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

لك المحامد كلها يارب، لك المدائح أجمعها يا كريم، لك الثناء أوله وآخره يا عظيم، لك الحب أصدقه وأخلصه يا لطيف، لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي يا حي يا قيوم، لك ذكري ودعائي وشكري يا ذا الجلال والإكرام.

أشهد أن لا إله إلا أنت، أشهد أن محمداً عبدك ورسولك ﷺ، أشهد أنك واحد في ذاتك وأسمائك وصفاتك وأفعالك لا إله إلا أنت، أشهد أنك مستحق للعبادة مستوجب للطاعة، أهل لأن تُذكر وتُشكر حقيقة أن تطاع وتُحب، وتُعظم وتقدّس وتُسأل وتُقصد، تعاليت عن الشريك والنديد والضديد والشبيهة والصاحبة والولد، لأنك أحد صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد، وبعد: فهذا كتاب: (حدثنا الزمان) سالت به القريحة، وألقيت فيه الكلام سهلاً بسيطاً لأنني قصدت المعاني لا الألفاظ وأردت الحقائق لا الرسم، ولو أعلم أنك تقف معه كثيراً لحبرته لك تحبيراً، وقد قصدت البعد عن تزويق العبارات وتدبيج الجمل ليفهمه الحاضر والباد، والمهاجر والأعرابي وخشيت أن أتكلف المحسنات البديعية والمجملات البيانية فتصد القارئ عن فهم ما أريد أن أقوله فيسرت الكلام، ووضحت الخطاب، وقربت الحديث، وتركت توشيح المقالة، وتزيين العبارة لكتابي العظيمة، وحدائق ذات بهجة، لأن لكل منهما مشرباً ومقاماً ومناسبة،

﴿ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ ﴾ .

واعلم أن كتابي هذا (حدثنا الزمان) ... ابتعدت فيه عن النقل البحت لأنني لو فعلت ذلك لما فعلت شيئاً فالنقولات محفوظة والآثار مكتوبة والعلوم موجودة مدونة وإنما العبرة في الفقه والاستنباط والإضافة والجدّة والاستفادة والذكرى وأنت تعلم أن في المكتبة الإسلامية آلاف الكتب بعضها يكرّر بعضاً والقليل منها يكفي عن الكثير:

ملك كسرى عنه يغني كسرُهُ وعن البحر اجترأ بالوشلُ ثم اعلم أن هذه الأفكار والتجارب ولادة مطالعات ومقالات ومواقف ومشاهدات وسماعات أردت أن أنقلها لمن أراد أن يستفيد منها ويتأمل فيها أو يرشدني إذا قرأها ويوجهني إذا طالعها.

نفعا الله وإياكم بما قرأنا وحفظنا وكتبنا، أكتب ما تقرؤون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

صناعة الحياة

صناعة الحياة هي أن يكون لك موقع في هذا العالم، فتكون رقماً له قيمة لا صفراً على شمال العدد، ومعنى ذلك أن تساهم في البناء والعطاء بما تستطيع لا أن تكون حملاً ثقيلاً على الأمة، إن النحلة الميتة ترمى خارج الخلية لأنه لا قيمة لها، وإن الشجرة اليابسة تزال من الحديقة لأنه لا نفع من ورائها. فما هو جزاء إنسان سميع بصير لا يعطي ولا ينتج ولا يعمل، الطالب الذي ترك الدراسة بلا عذر وجلس مع أمه في البيت ما جزاؤه إلا سوط لاذع حتى يهبّ مذعوراً إلى مدرسته، العامل الذي فضل النوم على العمل ما حقه إلا الزجر والحرمان حتى يتوب من إعراضه، والعالم الذي اشتغل بنفسه فحسب وترك نفع الناس يسقط من سجل الخالدين أهمل التضحيات والمثل، فيا من أراد الخير بنفسه ولأتمته لا تكن نسياً منسياً ومتاعاً ساقطاً:

وما للمرء خير في حياة إذا ما عُدَّ من سقط المتاع
 إن أرخص موجود هو ذاك الإنسان الآكل الشارب النائم الذي
 جفت منابع نفعه ونضبت أودية خيره وحق له أن يسقط من عيون
 النبلاء، لأنه محا اسمه من دفتر الحياة وشطب على رقمه من لوحة
 العطاء والتضحية فهو في عالم الأموات ولكنه يأكل ويشرب وفي دنيا
 المقابر غير أنه يضحك وينام ومثله يساهم في غلاء الأسعار لكثرة ما
 يأكل ويشارك في شح الماء لكثرة ما يشرب، الناس متجهون إلى الأمام

يننون وينتجون وهو متجه إلى الخلف لأنه عكس النماء والبناء وضد النفع والعطاء وعدو النجاح والتفوق .

إن قافلة الحياة لا تنتظر الخاملين فهي مُعدّة لركوب صنّاع الحياة والمقاعد محجوزة والوقت لا ينتظر أحداً وليس في حافلة النجاح مقعد واحد للتافهين .

النَّملة والنجاح

من أعظم الدروس المشهودة في عالم النجاح النَّملة وكيف أنها تعيد محاولتها مرات ومرات حتى تصل إلى غايتها فهي تسلق الشجرة فتسقط ثم تعاود الصعود فتسقط وهكذا حتى تنجح في الصعود والحصول على المطلوب من دون كلل ولا ملل وإذا أغلقت عليها طريقها أخذت ذات اليمين وذات الشمال وإذا صعب عليها الصعود تأخرت ثم عادت أقوى مما كانت وربما تبتعد عن طريقها الأول لبعض العوارض لكنّها تعود في نفس الاتجاه حتى تصل ولها قوة عجيبة في الإصرار على المطلوب وعدم اليأس حتى ضرب بها المثل وذكروا أن أعرابياً سافر لقضاء حاجة فلما تعب من السفر جلس يفكر في عودته من سفره فرأى نملة تصعد صخرة فتسقط ثم تصعد فتسقط مرات كثيرة ثم صعدت حتى علت الصخرة فقال : أنا أحق بالصبر والمثابرة من هذه النملة فواصل سفره وأدرك مطلوبه وقال :

اطلب ولا تضجر من مطلب فآفة الطالب أن يضجرا

أما ترى الجبل بطول المدى على صليب الصخر قد أترا
 إن في حياة النملة عبرة لقوم يعقلون كفاح وصبر وإصرار ومثابرة
 ومواصلة، ثم إن النملة لها من الاحتيال لنيل مطلوبها ما يفوق
 الوصف، فقد ذكر من ألف عن النملة أنها تدخر قوتها من الصيف إلى
 الشتاء لأنها لا تخرج في الشتاء كثيراً فتخزن قوت الشتاء ولا تأكله إلا
 في حينه وخوفاً من أن ينبت الحب المخزون، تقوم بإذن الله الذي
 أعطى كل شيء خلقه ثم هدى بكسر الحبة من وسطها لئلا تنبت، وإذا
 مرت في طريقها بخليج ماء صغير لا تستطيع عبوره تشكل النمل مع
 مجموعة منها جسراً فوق الماء حيث تتشابك النمل فوق معبر الماء
 كالجسر فإذا مرت جميع النمل من فوق هذا الجسر انسحب جسر النمل
 إلى الطرف الآخر فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى!!

وإذا وجدت نملة قطعة لحم أو رجل جرادة ولم تستطع حملها أو
 جرها ذهبت إلى بيت النمل فأحضرت أخواتها من النمل فحملوها
 معها، والنمل فيه من الإصرار والمثابرة ما فيه عبرة لمن أراد النجاح
 حتى أنك لو وضعت في طريق النمل حجراً لوقفت النملة غير راجعة
 إلى الوراء بل منتظرة أو محاولة صعود الحجر أو الإتيان عن يمينه
 ويساره أو اختيار طريق آخر إلى نفس الاتجاه دون رجوع.

كلام غير التاريخ

خطب ﷺ خطبة ضافية في بدر قرّبت الجنة لعشاق السعادة،

وبَغِضت البقاء عند محبي الدنيا، وسهلت الموت على طالبيه، والقُتل على راغبيه، فتسابق المؤمنون على وقع كلامه ﷺ وكأنهم في صراع الأعداء يلجئون أبواب الجنة الثمانية، وفي نزال الكفار يطوفون بالكوثر، وفي حَزَّ هَامَات الوثنيين يتحسّون الكأس الدهاق في جنات عدن.

وخطب ﷺ قبل أحد بيوم فأبى الأبطال البقاء في المدينة، وحثوا السير إلى أحد ورنين الخطبة في الأذان كأنها طلائع الجيوش، ورايات الكتائب، وأعلام الجنود.

ولما مات ﷺ وقع الخطب الجلل والحدث المدلهم، فقام أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - فعزّى في المصاب، وسلّى في الخطب، ودمل الجراح، ومسح الدمع، وأعاد للهمم توقدها، وللنفوس إشراقها، وللضمائر حياتها.

فكأن الكلام الذي ارتجله كلام جديد، هبط من الغيب على أجنحة القبول، وهبط من الفلك على أوسمة المحبة.

عبر طارق بن زياد البحر، ولقي العالم الكافر، واحتدم الهول، وقامت قيامة الأبطال، فهتف بخطبة طنّت لها آذان الشجعان، ورنّت لها رماح الأقران، وتقدم على صليلها الجبان فهو يزيد ويرعد، والصفوف تتقدم، والمنايا تقع على الرؤوس، والموت يداعب النفوس، فإذا جيش المسلمين على هدير خطبة طارق يطرق باب الفتح، ويدق جرس الانتصار، ويعفّر أنوف الطغام برغام المعركة.

كان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إذا خطب فجر ينابيع

البيان، يأخذ الأرواح طواعية، ويأسر النفوس أسراً، ويكسر جماجم الفصاحة على رؤوس الأشهاد كسراً.

يرتجل الخطبة فكأن كل جملة لوحة هائمة في الجمال، روعة في الحسن، غاية في النفاسة، فعليُّ أبو الحسن هو الفصاحة وهي هو.

وكان ابن الجوزي يعظ الناس فتقع في مجلس وعظه صور غير عادية في حياة الناس.. انخلاع في النفوس، تدفق في الدموع، ذهول في الجمهور، وجل في قلوب الحضور، فذاك يصرخ تائباً، وهذا ينتحب نادماً، وهذا يُغمى عليه، وذاك ينسحق تحت سياط الوعظ.

بعض الخطباء يخطب في الجلوس، فيجثون على الركب، ويزحفون إليه، وتنقطع أبصارهم فيه.

بعض الخطباء يخطب في الجموع فلا تنبس شفة، ولا تتحرك أنملة، ولا يرمش طرف.

وبعض الخطباء إذا خطب قعقع منبره بهدير صوته، وصار جمهوره في قبضته، وأصبح مستمعوه طوع يمينه، وآخرون إذا خطبوا انسابوا كالماء هدوءاً وسكينة، وهبُّوا كالنسيم لطافة ورقة، يصاحبون الأرواح قبل الأجسام، والأنفس دون الأبدان.

عز العزلة

للعزلة.. فوائد كثيرة ومنافع وفيرة، منها: جمع القلب على طاعة الرب وكف اللسان عن الغيبة واللغو وردء القول والبعد عن

الحاسد والشامت ومتتبع السقطات والفارح بالغلطات والجامع للزلات ومفارقة الثقيل والبعد عن سوء الظن والسلامة من ضياع الزمان الذي هو أشرف العطايا، واليأس مما في أيدي الناس وحبس الفكر على استجلاء الفكر والبعد عن كل مشوش والأمان من لدغ الأقران ومنة الإخوان وحقوق الخلان ومطالب الجيران والابتعاد عن النظر إلى زينة الدنيا والاستحسان لما ذمه الله من زخرفها وعابه من زبرجد غرورها والنأي عن منافسة أهلها ومباراة خدامها ومعادات أبنائها ومحاقات أخذانها في طمعهم وجشعهم.

وفي العزلة.. خلو للقلب من الهموم وحمية البال من الغموم وسلامة خاطر من الكدر، ومطالعة العقل للعبير.

وفي العزلة.. الاستعداد للموت والتأهب للفوت وتدبير أمر القوت والنجاة من الغوغاء وأقاويل الدهماء وأراجيف الأعداء وفضول الثقلاء.

وفي العزلة.. الأمان من حيف السلطان لأن في الخلطة فرصة للنام لنقل الكلام وعدم التحرز من اللسان عن العوام فرب كلمة سقط معها الرأس أو وقع على النفس منها بأس، سببها مجالسة الناس.

وفي العزلة.. التحفظ من الاسترسال في حال الغفلة والانبساط في أحاديث يطير بها الناس فتحمل على غير محملها ويتأولونها على غير تأويلها وتجر على صاحبها الويلات والأمور المدلهمات.

وفي العزلة.. حفظ الأنفاس مع نفائس العلوم وتلقيح الفهوم

بقطوف الحكمة وثمار المطالعة وأبكار الأفكار ونتائج القراءة ودرر الاستنباط وبدائع التأمل. ومجالسة من سلف مع كتبهم وعلومهم وكنوز ميراثهم.

وفي العزلة.. . الابتعاد عن أسباب قسوة القلب من كثرة الكلام وفضول النظر والخلطة والمزاح والتهتك في الضحك ومجاراة السفهاء ومداهنة الكبراء ومنافسة الأغنياء ومجادلة الأغبياء.

وفي العزلة.. . حفظ الجاه وصون العرض من التبذل.

وفي العزلة.. . تعلق قيمة المرء كاختفاء الشمس حتى يعرف نفعها واحتجاب القمر حتى تظهر فائدته فما رفع الدر في النحور إلا لأنه اختفى في البحور.

وفي العزلة.. . إقامة ناموس الهيئة وإقامة دولة العز في النفس والناس وحبس الطبع عن سرقة العادات فإن الطبع لص يسرق والنفس تهوى التقليد فمن جلس مع أبناء الزمان وضيع العمر مع من يسمى بالإخوان سرق منهم سقوط الهمم وموت الذمم وبرود العزائم وكثرة الأمانى وسماع الأراجيف ونشر المعائب والاشتغال بالتوافه والإقبال على ما يشغل وترك المهمات وهجران الصالحات وحب البطالة والكسل في العبادة والإعراض عن العلم وإزجاء الوقت في قيل وقال وبيع الأيام في سوق الأمانى ومشاركتهم في مقاصدهم ومصاحبتهم في مكاسبهم.

مكتبة الكنجرس

دخلت مكتبة الكنجرس بواشنطن عام ١٤١٠هـ فرأيت جبالا من الكتب في كل علم وفي كل فن وفي كل تخصص، طلبنا من مأمورها وكان مصرِّيًا اسم كتاب ليس مشهوراً فضغط زر الكمبيوتر وأخبرنا بمكانه في المكتبة وشاهدت مئات الألوف من هذه الكتب لم تهد الأمة الأمريكية إلى الله، لم تدلهم على عظمتهم، ولم ترشدهم إلى نوره ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ فإذا رأيت رجلا عنده مكتبة ضخمة فلا تغبطه حتى تنظر لعمله واستقامته واستفادته من هذه المعرفة، وهل لها مردود إيجابي عليه، وعندني أن رجلا عنده المصحف يتدبره ويعمل به خير من رجل معه آلاف المجلدات اشتغل بها ولم تنفعه وهذا أمر معلوم لكن للذكرى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ .

كالعير في الصحراء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

ابتسم

إذا اغتممت واجتمعت عليك الهموم والأحزان فابتسم فربما حُطت عنك بها السيئات .

إذا افتقرت ووجدت ألم الحاجة فابتسم فربما كان هذا الفقر خيراً لك منعك من بطر الغنى وكبر الشراء وفتنة الدنيا .

إذا مرضت وصرت طريح الفراش وصاحبت السرير الأبيض فابتسم
 فهذا المرض غسل لخطاياك ودواء لقلبك ورجعة إلى ربك .
 إذا ظلمت من أحد وأهانك ظالم فابتسم لأنك مظلوم لا ظالم
 واحمد ربك إذ حماك أن لا تكون مكانه ويكون مكانك .
 وإذا مات ابنك وفقدت فلذة كبدك فابتسم لأنه شفيع لك وفرط لك
 على الحوض وقد ذهب بهمه وبقي أجره وثوابه .
 إذا سُجنت مقهوراً ووضعت في زنزانه وحيداً فابتسم فلربما منعك
 الله بالسجن من معصية وسلمك به من نكبة وحماك من قاصمة . إذاً
 فابتسم دائماً .

كلمات لمشاهير الأجانب

يقول افريت مارتن : صاحب كتاب نم قليلا تعيش كثيراً: إننا ورثنا
 عادة النوم من جداتنا .
 ويقول بوناثان سويفت الإنجليزي : أفضل الأطباء في العالم ثلاثة :
 الدكتور رجيم وهادىء ومرح .
 ويقول مرسيه الفرنسي : لن تكون عظيماً إلا بالأم عظيم .
 ويقول جوستاف لويون : لا يعرف العالم فاتحاً أعدل ولا أرحم
 من العرب .
 ويقول صموئيل جونسون : النظر إلى الجانب المشرق من كل

حادثة أغلى من ألف جنيه في السنة .

ويقول أولسر : اعطنا خبزنا لهذا اليوم فقط .

يقول توماس كارليل : لا تنظر لما يقع في الظلام ، بل انظر ما يقع قريباً منك .

يقول ستيفنسون : كل إنسان يستطيع أن يعيش السعادة حتى تغرب الشمس لهذه الحياة .

يقول دانتي : فكر أن هذا اليوم لن ينبثق مرة ثانية .

يقول كاليداسة الهندي : أمس ميت ، واليوم مولود ، وغداً غائب .

يقول د . جوزيف مونتاجيو - صاحب كتاب مشكلة العصبية - : أنت لا تمرض مما تأكل لكن من الشيء الذي يأكلك .

يقول شكسبير : لا توقد لعدوك فرنا فتقع فيه .

يقول براندوني : لا تبك على الحليب المراق .

يقول دايل كارنيجي : لا تحاول نشر النشارة ، ولا طحن الطحين .

يقول ميلتون : إن العقل يستطيع أن يجعل الجنة جحيماً والجحيم جنة .

يقول نابليون : ملكت الجاه والسلطة والفن ولم أسعد في حياتي إلا ستة أيام .

يقول الفيلسوف أبيقور : الأفكار الخاطئة في الذهن كالورم في الجسم يجب بترها .

يقول الفيلسوف الفرنسي مونتين: لا يتأثر الإنسان مما يحدث،
ولكن بتفكره فيما يحدث .

يقول وليم جيمس - أبو علم النفس: حياتك من صنع أفكارك .

يقول شوبنهاور الفيلسوف الألماني في كتاب (دراسات في
التشاؤم): ثمن الانتقام تدفعه أنت .

يقول الجنرال ايزنهاور: لا تضيع دقيقة واحدة في التفكير في
أعدائك، امسحهم من الذاكرة .

يقول كونفوشيوس: ليس المهم أن يساء إليك، المهم أن تفكر
فيمن أساء لك .

يقول أرسطو: الرجل المثالي هو الذي ينفع الآخرين، والفاشل
هو الذي يطلب النفع من الناس .

يقول برلين: إذا ما أصرت أن تكون كما أنت ولا تقلد غيرك
صرت فريداً في العالم .

يقول أمريسون: (الاعتماد على النفس): التشبه والذوبان في
الآخرين انتحار .

يقول بتهوفن: عاهاتنا تساعدنا على النجاح .

قالو بوليثو: كل أحقق يستفيد من أرباحه، ولكن الذكي من يحول
خسائره إلى أرباح .

قال إبراهيم لنكولن: لو حاولت قراءة رسائل الشتائم الموجهة لي

لتعطلت عن العمل .

قال بنيامين فرانكلين : عندما تحسن للآخرين تحسن إلى نفسك .

قال فرانسيس بايكون : قليل من العلم ربما يجعلك ملحداً ، فإذا تعمقت آمنت بالله .

قال كارل جانج : في كتابه - الإنسان الحديث في البحث عن الروح - : كل الناس مرضى إلا المؤمنون بربهم .

قال غاندي : من دون الصلاة لأصبحت مجنوناً من أمد طويل .

قال أليكسيس كاريل ، الحائز على جائزة نوبل ، في كتابه - الإنسان ذلك المجهول - : أعظم طاقة الإنسان هي الصلاة .

قال توماس جفرسون : اعمل ما تراه صحيحاً وأدر ظهرك لكل نقد سخيف .

قال والت ويتمان : استفد درساً من عدوك أكثر من صديقك .

قال بزر جمهر : الشدائد قبل المواهب كالجوع قبل الشبع يحسن موقعه ويلذ طعمه .

قال أفلاطون : الشدائد تصلح من النفس بقدر ما تفسد من العيش والترف بضد ذلك .

قال أرنولد توينبي : الدعة تنافي الحضارة .

قال أزدشير : الشدة كحل ترى به ما تراه بالنعمة .

قال أبقراط : الإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع .
قال الشاعر الإنجليزي تشوسر : التجربة تؤخذ من الكتب ، ومن ممارسة أحداث الحياة .
قال ونستون تشرشل : السياسة ابنة التاريخ ، والتاريخ ابن الجغرافيا ، والجغرافيا لا تتغير .
قالوا لولا أن فرانسوا فولتير - الأديب الفرنسي - نقد وليم شكسبير وشهّر به لما ذاع صيته .
قال برتراند راسل : إن روجر بيكون أخرج الفكر الإنجليزي من غياهب الكنيسة ، لأنه قرأ للفلاسفة العرب .
يقول كريسي مريسون - في كتابه الإنسان لا يقوم وحده - : إذا شككت في القدرة فتفكر في النحلة .
قال فيثا غورس : احفظ ميزانك من الندى ، وأوزانك من الصدى ، أي اللسان من الخنا ، والعقل من الهوى .

لا يستوون

مُدح أحد السلف فاحمّر وجهه ونفض يده في وجه السائل وقال مغضباً : أءله مع الله؟! أي لا يستحق التعظيم والتقدّيس إلا الله ، ونحن أفرح ما نكون إذا مُدحنا وأغضب ما نكون إذا نُقدنا .

واجتمع على إبراهيم النخعي العالم الزاهد أربعة في المسجد، فقام وتركهم خوفاً من الشهرة. ونحن ينكسر قلب الواحد منا إذا قلّ مريدوه وطلابه ويطير فرحاً إذا كثروا وازدحموا.

وقال الناس لابن سيرين، وهو من سادة التابعين: صلّ بنا على جنازة. قال: لا، أكره أن يتفرق الناس فيقولوا: صلى بنا ابن سيرين. ونحن نتزاحم على الإمامة ونتقاتل على الصدارة.

وكان عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد العابد إذا تكلم فأعجبه الكلام قطعه خوفاً من العجب، ونحن كلما كثر الجمع أمامنا زاد كلامنا وارتفعت أصواتنا وأحبينا الحديث شهوة فيه.

وكان عبد الله بن المبارك العالم الورع لا يكتب رأيه ويقول: من نحن حتى نكتب رأينا. ونحن أشغلنا الناس بمدائحنا فأحدنا يقول: وقد ألفت وكتبت وحققت واختصرت وحفظت ودرست. والسبب أن القوم عرفوا وأنكرنا، ونصحوا وغششنا، وأخلصوا وخلطنا، أرادوا الله وأردنا مع الله غيره، فنعوذ بالله أن نشرك بالله شيئاً ونحن نعلم، ونستغفره لما لا نعلم.

محمود شاعر، والمتنبىء

وقفت طويلاً مع كتاب المتنبىء لمؤلفه محمود شاعر فعجبت لقوة أسره وتدفعه وهياجه الأدبي وهديره العاطفي، فالرجل كتب

الكتاب بدمه وعرقه وعواطفه وأعصابه فجاء كتاباً ذائعاً مزمجرأً متحدثياً، وهذا يعطيك السر في تفاوت التأليف من مؤلف إلى آخر، فبعضهم إذا أَلَفَ خلب لبك وسحر فؤادك وأجبرك على أن تؤدي له تحية التكريم، والحفاوة والتبجيل، وبعضهم إذا أَلَفَ بردت مشاعره وماتت عواطفه فوضع بين يديك جثة هامدة، لا حراك بها من بارد القول، وميت الكلام، وأكل الميتة حرام، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ﴾.

المنصب نصب

علماء الملة وأئمة الإسلام لم يكن لهم مناصب دنيوية بل كانوا يفرون من القضاء ويهربون من المنصب ويأبون الولاية لأن ولايتهم لا تقبل العزل ولأنهم موقعون عن رب العالمين فمكانتهم أشرف وأجل وأعظم من أن يحتاجوا إلى منصب يذهب بنور العلم ويقضي على بقية الورع ويحرق ورقة الزهد، ولذلك تجد علماء المبتدعة وأهل الدنيا يتهافتون على المنصب فهم المتصدرون في الغالب عند بني أمية وبني العباس وغيرهم من الملوك كما فعل الجهم بن صفوان وبشر المريسي ومحمد بن الجهم وثمامة بن أشرس والجاحظ وأحمد بن أبي دؤاد وابن الزيّات وابن العلقمي وابن السباسيري ونصير الدين الطوسي والأخنائي وابن مخلوف وغيرهم، أما أهل السنة فلم يقبل أكثرهم وغالبهم المنصب مع الترغيب والترهيب وانظر لأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي والثوري والحسن البصري وسعيد بن المسيب وابن تيمية وغيرهم وهؤلاء خلد الله ذكرهم وجعل لهم لسان

صدق في الآخرين بخلاف أولئك فقد مات ذكرهم وذهبت كتبهم وعفى أثرهم.

الفتيا هي العلم

إذا أردت أن تعرف ضعف طلبة العلم فامتحنهم بالفتيا، لأنها المحك فكلنا يحسن الخطب والمواعظ والتأليف والتخريج لكن النادر من يجيد الفتيا ويوردها على وجهها الصحيح وهذا يدل على أن الفتيا شرف الدنيا والآخرة أو علم الفقه بالدليل على الأصح وهذا سبب ظهور الأئمة الأربعة على كل علماء النحو واللغة والأدب فإن مجد علماء الفقه وأئمة الفتيا أبد الدهر لأن حاجة الناس إنما هي للفقه وقد تعيش خمسين سنة ولا يسألك أحد عن بيت شعر أو مسألة نحوية أو لغوية، أما الفقه فهو حاجة الناس في كل وقت.

مكانك تحمدي

كل عام يناقش في الجامعات مئات الرسائل من الماجستير والدكتوراه، والرفوف مكتظة والأدراج تريد أن تنقض والقراءة ضحلة والمطالعة هشة والتحصيل هزيل، وإن تعجب فعجب انتفاخ هذه الرسائل بالكلام وتورّمها بالحواشي ومن الذي سوف يقرؤها وغالب الطلبة ما قرأوا كتب الأئمة الأفاضل كابن تيمية وابن القيم والنووي وابن حجر وابن عبد الوهاب والذي يعجز عن القليل فهو عن الكثير أعجز، والحل الأمثل أن تفهم كتب التراث قراءة وتدبراً ثم يناقش الطالب فيما

قرأ وفهم ليخرج لنا علماء أذكياء بدل أن يضيع العمر في جزئيات وتكرار نقولات وإعادات مؤلفات وذهاب الزمان في الوسائل وبنيات الطريق .

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

ثلاثة أعلام

أدركت ثلاثة علماء من أفضل علماء عصرنا، علماً، وعملاً، وتعليماً، واستقامة وهم: سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - وعجبت لاتباعه الأثر وانتفاعه بالعلم وجمعه لصفات الخير من كرم وحلم وصبر وعلم وتقوى وزهد وحب للخير وتواضع فهو قدوة إمام أحسن الله مثوبته ورفع منزلته وأسكنه الفردوس الأعلى . ومحدث العصر الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني في جَلَدِهِ على التحصيل وحُسن تأليفه وصبره على التحقيق والتخريج وذبه عن السنة واتباعه منهج السلف مع طول العمر في الخير وكثرة التصنيف، بارك الله في عمله وعلمه . وفضيلة الشيخ العلامة/ محمد الصالح العثيمين في قوة فهمه ودقة استنباطه وغوصه على المعاني ومعرفته بالمقاصد وحُسن تعليمه واهتمامه بالدليل وتنوع معارفه مع جودة تأليفه واجتنابه لشواذ المسائل وغرائب الأقوال، جمعنا الله بهم في دار كرامته ونفعنا بعلومهم وأحسن الله لنا ولهم الخاتمة .

نفس متوثبة

لا بد أن تكون نفس الخطيب حية متوثبة مفعمة بما تقول، تكاد تسيل مع كلماته وعباراته، ترسل على السامعين حرارة وأثراً، لأن النفس الباردة لا تصلح أن تقدم عطاءً للآخرين.

إن تفاعل الخطيب بما يقول هو أول باب من أبواب النجاح والتفوق واللموع.

إن النفس الغافلة عما يقول صاحبها، البعيدة عن حديثه وكلماته، لا تشع على الآخرين، ولا تتصل بنفوسهم، ولا تمازج وجدانهم، فلا ينبغي للخطيب أن يواجه الناس بنفس فاترة كالة، فإن هذا العيب يجري على الكلام فيلقي الكلام ببرود.

والشعراء يتبعهم الغاؤون

أنهاك عن الانهماك مع الشعراء في أشعارهم، فإنهم أهل خيال ومجازفة ومبالغة وهم بعيدون عن الحقيقة إلا من رحم الله فإذا مدحوا أفرطوا وتجاوزوا الحد في الممدوح وإذا هجوا أتوا بكل مقذع وفاحش ثم هم مع الصور الجميلة هائمون في الوصال والعشق يبكون من الهجر والصدود ومع رقتهم في أشعارهم تجدهم قساة قلوب في الديانة قل منهم من يبكي عند سماع القرآن لأن الشعر حجب تلك القلوب عن تأثير القرآن وهم من أقل الناس ذكراً لله لانشغالهم بالمحفوظ من الشعر وانغماسهم في روايته وتذكره والاستشهاد به، فاحذراتابعهم في ذلك

فإنك ممنوع شرعاً لأن العمر أغلى من أن يذهب مع خمريات امرئ القيس وتلاعب أبي نواس وشطحات المتنبيء وكفريات المعري وصوفيات ابن الفارض، ولا بأس أن تسمع شيئاً من شعر الحكمة والزهد أحياناً ويبقى وقتك للكتاب والسنة وما يزيد في عمرك ومعرفتك وصلاحك ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥).

القلب السليم

اغسل قلبك سبعا بماء الحب وعفّره الثامنة بالعفو والغفران عمن ظلمك وشتمك لتعيش سعيداً ناعم البال هادئ النفس مرتاح الضمير، وعليك أن تعقر عقارب قلبك بسكين الصبر والحلم وأن تذبح ذئب نفسك الأمانة بسيف الإيمان وأن تنظف فناء روحك من زبالة الأفكار الرديئة وركام الخواطر السيئة وأن تغرس في بستان نفسك أشجار الحكمة وأزهار المعرفة وورود العلم.

شاعر ملأ الزمان والمكان

خرج هذا الشاعر كالبركان الثائر الهادر يقذف بالحمم وأقبل كأنه السيل الجارف الزاحف يقتلع الشجر، ينقل الحجر، يملأ المكان بصخبه وشكواه وتذمره وتمرده، يرسل قصائده عويلاً ونواحاً وثكلاً وحكمةً، يمطر الأسماع كل يوم باحتجاجاته واعتراضاته ونقده وغضبه، يخطف الأضواء ويرغم الجميع على الإنصات له وحده

والنظر إليه بمفرده والاهتمام به ليس إلا، تغلي قصائده في قلبه ويشعلها بلوعته ثم يبعثها حائرة فائرة تكاد تشوي الوجوه بحرارتها وتوقدها، رضع اليتيم وأكل الجوع ولبس الفقر ورافق البؤس وصحب الظلم، يزور الملوك مادحاً ثم يغار منهم ويحسدهم فيقلب لهم ظهر المعجذ ويجعل إيوان أحدهم عاليه سافله تمرداً وعناداً وشراسة وشغباً، يمدح الوزراء ثم يتذكر أنه أعظم منهم فيندم على ما فعل ويتوب مما صنع ثم يمحو ذلك بمدح نفسه والثناء على ذاته وتقديس مجده والتنويه بفضله، هذا شاعر عضته الأزمات ولسعته النكبات ومزقت فؤاده الكوارث يسكت يسكت ثم يزمجر ناقماً على زمانه وإخوانه، يصمت يصمت ثم ينفجر صائحاً نائحاً يشكو عصره ويلوم دهره، يهدأ يهدأ ثم يهب من غفوته متمرداً رافضاً محتجاً إنه أبو الطيب المتنبئ فهل عرفته؟ .

كيف نخاطب الناس؟

نحن بحاجة إلى مران طويل على مخاطبة الناس، ودربة واسعة على الإلقاء والتأثير، تقوم بهذا مؤسسات ومدارس وجامعات تعنى بهذه الجوانب عنايةً فائقة، إنَّ الجموع فقيرة إلى خطيب مفوه تصل كلماته إلى الأعماق، ولكل نبأ مستقر، وإن دعاة الفضيلة هم بحاجة ماسة إلى معرفة الطرق إلى القلوب، والسبل إلى النفوس بقراءة مكامن التأثير والاطلاع على أسرار الجذب والإقناع، إن الخطبة جمعوية من المواهب والقدرات تجتمع في شخص واحد يملك ناصية البيان،

وزمام الفصاحة، والتميز في الإيقاع، يقولون: إن الخطيب الملمهم الفصيح يجد الناس في صوته وأدائه وعرضه متعة لا يجدونها في مشاهدة الحدائق الغنّاء، أو سماع خرير الجداول، وهمس النسيم، وهديل الحمام. وسيد الخطباء وأنبيل العظماء هو رسولنا ﷺ، ومن أراد بيان ذلك فعليه أن يطالع في خطبه، وكلماته، وأحاديثه، ليجد البيان في أبهى صورته، والفصاحة في أوج علوّها، وكذلك خلفاؤه الراشدون وجمع من السلف الصالح كابن عباس، وابن الزبير رضوان الله عليهم، ومعاوية، وعبد الملك بن مروان، ومن بعدهم كأبي جعفر المنصور، والمأمون، وكثيرون لا يحصون عدداً، ومن أراد المزيد فعليه بكتاب محمد أبي زهرة في الخطابة وكتاب (خطباء صنعوا التاريخ) لأحمد نور وفن الخطابة (لدليل كارنجي) وغيرهم كثير، والقاسم المشترك بين هؤلاء جميعاً هو القدرة على الاستيلاء على المشاعر وامتلاك العواطف والاستحواذ على النفوس، هناك قطعة من البيان يقولها شخص فلا تقع موقعها، ولا تتجاوز صوت قائلها، وهي في نفسها بديعة باهرة، ويلقي هذه القطعة شخص آخر فيوصلها إلى نفوس السامعين فيخاطب الأغوار والأعماق، ويهبط إلى القرار. . والكلام هو هو ولكن شتان ما بين الخطيبين.

المبادئ الحقة تقوم في غالب أحوالها ومجمل أطوارها على أيدي خطباء لسن.

زرع الفضائل، واقتلاع الرذائل، فن يقدمه الخطباء.

إشعال الحروب، والزحف إلى الموت، واحتساء المنية، ينسجها خطيب مؤثر. إسكات غضب النفوس، وإطفاء الثائرة، وقتل الأحقاد، وبتير الضغائن، يضطلع بها خطيب نابغة.

لماذا لا يكون الخطيب مشبوب العاطفة، عارم الفطنة، جياش الخاطر، ملهب الإحساس، متقد الضمير، لَمَّاح الإشارة، خاطفاً للأضواء، حي البديهة، هادر الصوت، ساحر الأداء، حلو الإيراد، قوي البرهان، غزير المادة؟

وما أقل اجتماع هذه المواهب في شخص: إن حَسُن الإعداد ضعف الإلقاء، وإن انقذحت البديهة ارتبك اللسان؛ وإن جنحت الروح خفت الصوت.

إلى متى هذا؟

غالب الكتب المحققة والمخرّجة تعيد تخريج كل حديث عشرات المرات في حواشي الكتاب فتجد الحديث الواحد مخرّجاً من قرابة ثلاثين مصدراً أو أربعين مع ذكر الصفحة والجزء والطبعة وتجد نفس هذا الكلام في عشرات الكتب مع تقديم وتأخير طفيف وهذا لا يدل على رسوخ العالم في العلم أو قوة فهمه لأن هذا أصبح عملاً فنياً يستطيع أي موظف أو عامل أن يفعل هذا وأكثر منه ويستطيع الباحث الآن أن يضغط زرّاً في الكمبيوتر ليُخرج له هذه التخريجات في دقيقة واحدة، فلماذا تنزل المجلدات بكثرة هذه التخريجات التي نفخت

الكتب وضخمت الرسائل الصغيرة حتى صارت في مجلد كبير وصار متن المؤلف في سطر أعلى الصفحة ثم تبقى الصفحة كلها حاشية ويزيد بعضهم فيترجم للمؤلف في أول الرسالة ترجمة طويلة ثقيلة ويصور صفحات من المخطوطة ثم يفهرس لكل شيء في الرسالة حتى الأماكن والأسماء مع الآيات والأحاديث والآثار والأعلام وهذا في كل رسالة ونعوذ بالله من ثقاله الدم.

اللسان المعبر

دعا موسى عليه السلام ربه، فقال: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي﴾ ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ ٢٨ ﴿إن اللسان الفصيح يفعل في القلوب فعل السحر، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إن من البيان لسحراً» متفق عليه:

اللسان الفصيح هو الذي يخلب الألباب، ويسري أثره إلى أعماق النفس، ويخاطب الوجدان.

اللسان الفصيح آلة طبيعة يمتلكها الخطيب الفذ القدير، يصوغ بها حالات من المعاني، ويرسم بها لوحات موحية من البيان.

اللسان الفصيح هو الذي يقدم الحروف للسامع سليمة من العيوب، وصحيحة في مخارجها، صادقة في جرسها، أخاذة في إيقاعها، ينطق الكلمات بلا عجمة، ولا لحن، ولا تعثر، بعيداً عن الارتباك، والالتواء، والبرود.

اللسان البليغ يدفع بالحجج، ويفلج بالبراهين، وتنهال منه الجمل

طليقة هادرة .

لسان فخم وفيه جاذبية . قوي وفيه أسر . صارخ وفيه سحر . نافذ وفيه حلاوة وطلاوة .

اللسان الفصيح كالسيف البتار، يجلو الشبه، ويقطع خيوط الأوهام، ويفصم عرى الباطل .

يقول الله - لرسوله ﷺ -: ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ وهذا واجب الداعية أن يبدع في مقاله، ويحسن من لفظه ويصلح من لسانه .

إن العي مرض في اللسان، يذهب رونقه، وبهائه، ومضائه فلا يكاد يبين .

ولا بد من شحذ اللسان بالدربة والمران والتقويم والتهذيب وإمرار المحفوظات، والمقطوعات عليه كثيراً .

إن سرَّ نباهة الخطيب في لسانه الذي يسعفه في الأزمات، وينقذه في الورطات .

يزمجر به في الجموع، فله في الحشود جلجلة الرعد، وهدير السيول، وقصف الصواعق، وجلبة الريح الهوجاء التي لا تلوي على شيء .

يتدفق بالجمل والعبارات في نسق جميل، وفي نظام بديع، بلا ركاكة أو برودة، أو ثقل . يملأ الآذان مخافة والقلب هيبة والمكان حضوراً، بل يأسر المشاعر أسراً فإما منّا بعد وإما فداء .

رعاية البيت

عليك القيام على بيتك وحمايته من الزحف الجارف الذي يحمل الأفكار الخاطئة والصور الخليعة والمشاهد الهابطة مما يُبث ويُشر عبر القنوات الفضائية والمجلات المبتذلة، فإنها تفعل بالعباد والبلاد من الفساد أعظم مما تفعله الجيوش الغازية والكتائب المحاربة فاحم أسمع وأبصار وقلوب أبنائك واحذر من نقضك لميثاق رعايتهم، فتسقط سقطة لا قيام بعدها ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوَءَا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ .

اكتب تاريخك بنفسك

المسلم كالنخلة كل شيء فيها مفيد فتجد المسلم وجود بماله وطعامه ويعير كتب العلم لمن يستفيد منها ويقف مع المنكوب ويواسي الفقير ويزور المريض ويوقر الشيخ الكبير ويحترم العالم ويبغض الظلمة ويبسط وجهه للناس ويُحسِنُ خلقه للمسلمين ويشفع بجاهه وبالجملة فإنه يعمر عمره بالصالحات فلا يترك فضيلة يقدر عليها إلا فعلها مع حرصه على ترك أثر صالح بعده من كتاب نافع يوقفه أو يؤلفه أو مسجد يبنه أو بئر يحفرها أو ولد صالح يخلفه أو شجرة مثمرة يزرعها أو مشروع خير يساهم فيه .

أصول العلم والدعوة والإصلاح

فائدة: في أن المجددين والمصلحين يسهلون العلم ويسرون

الدعوة ويجتنبون التعسير وتصعيب المسائل والغرائب والشواذ، وذلك لأن العلماء المجددين المصلحين فهموا الشريعة وهي حنيفة سمحاء سهلة ميسرة لا حرج فيها ولا مشقة فتراهم يسطون العلم لطلابه ويسهلون دعوتهم لمتبوعيهم اقتداءً بإمامهم المعصوم عليه السلام في قوله: «يسروا ولا تعسروا. وبشروا ولا تنفروا» وفي نهيه عن التنطع والتعمق والتكلف فليس عند هؤلاء الأئمة وقت لتشقيق الكلام وتزويق الخطاب وعرض الحواشي وزبد القول على الناس بل يقصدون إلى أصوب الأقوال وأقرب الطرق وأيسر السبل في كلامهم وخطبهم ومواعظهم وفتاويهم ومؤلفاتهم فلا يغرقون في الجزئيات ولا يهيمون في بيدا الاحتمالات وليل الخيالات، فعندهم ما يشغلهم من تعليم الدليل وعرض الوحي غصاً طرئاً كما نزل فيقولون ما يكفي ويشفي وينهون عن كثرة الكلام والقييل والقال والردود والتوقعات ويختصرون القول في الفتيا عامدين إلى الدين قاصدين الراجح تاركين الفضول والزائد فتجد الصحابة أقل الناس كلاماً وأكثرهم علماً وعملاً يقولون كلاماً سهلاً بسيطاً يفهمه عامة الناس ولكنه السهل الممتنع والشهد المصطفى والطيب المبارك وتجد هذا عند الأئمة ابن المسيب والحسن والزهري وعطاء وأبي حنيفة ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد فإن كلامهم واضح وتأليفهم ميسرة ليس فيها غرائب ولا شذوذ بل نهوا عن الغرائب وزجروا عن القول الشاذ وطالبوا بتعزيز من تشاغل بعلم الكلام وأعرضوا عن المكثرين من توليد المسائل والتشعب بكثرة الأقوال وعلى ذلك سار المجددون: كشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد

الوهاب فإن كتبهم مشرقة العبارة سهلة العرض قوية الدلالة خالية من الحشو والاعتراض والاحتمال والتشقيق والتعقر والشاذ والغرائب وبعكسهم وعلى الضد من ذلك علماء المبتدعة ورؤساء الضلالة فإن عندهم من الرموز والتكليف والتفهيق والتفاسح والإغراب على الناس وكثرة المصطلحات ما يفوق الوصف مع قلة العلم وضحالة الفهم ومرض القلب وفساد الرأي وظلمة البصيرة ولك أن تنظر في تأليف الجهميّة والرافضة والمعتزلة ومن هو شر منهم كالإسماعيلية الباطنية وغيرهم لتجد في كتبهم من الصعوبة ما يحيرّ العقل فما أبعدا من نور الوحي وسماحة الشريعة فإنهم وضعوا لهم مراسيم من العلوم وحدوداً من المعرفة وقوانين اصطلاحوا عليها حتى كأنك تقرأ ألغازاً ورموزاً وحروراً يصعب كشفها فهم هائمون على هذا التحذلق مغرقون في مسائل الجوهر والعرض والعلّة والمعلول والمركب والبسيط والواجب والممكن والقديم والمحدث ونحو ذلك ثم إن علومهم المفضلة علم الكلام والمنطق والفلسفة حتى حشوا كتبهم في أصول الفقه بهذه العلوم وهم أضعف الناس في فهم القرآن والسنة بل كثير منهم لا يحفظ القرآن ولا يميّز بين الصحيح والضعيف في الحديث بل يروي الموضوع وينسبه للرسول ﷺ بخلاف علماء الإسلام وحملة الوحي فعندهم من سهولة العبارة وصفاء المنبع ما يجعل العمّي في شوق للفهم فكيف بطالب العلم، فأهل السنة يوردون الدليل كتاباً وسنة وكلام السلف ثم يذكرون في يسر ما فهموه من الدليل وبعضهم لا يتكلم أصلاً من عنده بل يورد الأدلة وكلام السلف ساكتاً على ذلك فهذه كتب السنة أمامك :

الموطأ والصحيحان والسنة والمسانيد والمعاجم والمصنفات وهذا التوحيد لابن خزيمة والتوحيد لابن عبد الوهاب وكتب ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وغيرهم، هل فيها ذلك الحشو والتعقيد الذي طفحت به كتب المبتدعة لا وكلا فليعلم هذا الأصل.

وقفات

إذا قصرت في صيام النهار وقيام الليل والصدقة فأكثر من ذكره سبحانه وتعالى وليكن لسانك رطباً بذلك ليجتمع لك الخير كله أوله وآخره وليكمل ما نقص عليك من عمل.

فائدة

في موقف العلماء والمصلحين من السلطان المسلم وأنهم وسط في علاقتهم به فلا مداخلة لطلب الدنيا والجاه منه ولا منابذة وخروج عليه.

وجملة ذلك أن علماء السنة لا يخالطون السلطان مخالطة من أحب الدنيا ورضي بها وتعلق بالجاه وأراد قرب السلطان لمنافعه الذاتية كما فعل علماء المبتدعة كبشر المريسي ومحمد بن الجهم وأحمد بن أبي دؤاد وغيرهم ولا ينادون السلطان المسلم العداً ويؤلبون عليه ويدعون للخروج عليه كما فعلت الخوارج، وتفصيل ذلك أن مخالطة السلطان من حيث هي لذاتها لا تحب ولا تحبذ لما فيها من الخطورة وتعريض الدين للنقص وما يتبع ذلك من سكوت عن منكر ومتابعة على

مخالفة. ولذلك يُروى في الحديث «من دخل على السلطان افتتن» وحذر السلف من مغبة الاختلاط بالسلطان لأنها لا تؤمن غوائل ذلك على النفس والدين بل ذكر ابن الجوزي في صيد الخاطر أن من العلماء من داخل السلطان حتى ذهب عنه نور العلم وأصبح كالشّربة، وذكر أهل الجرح والتعديل في رجل أنه كان يدخل على السلطان كالجرح له. ولا تجد عالماً سنياً إماماً يُقتدى به مثل مالك وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد وابن المسيب والحسن البصري قد خالط السلطان وصار من خاصته وجلاسه بل هؤلاء كانوا يفرون من ذلك ويرفضون المنصب ويجبرهم السلطان على تولّي القضاء فيأبون أشد الإباء حتى ضرب بعضهم في ذلك. وأمّا مخالطة الزهري لخلفاء بني أمية فهي مما أخذ عليه رحمه الله تعالى وقد نهاه عن ذلك العمري العابد الزاهد وغيره ومن مثل الزهري في قوله الحق وصدقه حتى أنه كذب هشام بن عبد الملك لما ذكر أن الذي تولّى كبره في قصة الإفك علي بن أبي طالب صانه الله من ذلك فزجره الزهري وردّ عليه قوله أمام الناس، فمخالطة السلطان مخاطرة حتى قال بعض الحكماء: مخالط السلطان مثل ممازح الأسد لا يؤمن بطشه. ومثل ملاعب الحيّات لا يؤمن لدغها. ومثل قاطع السبيل لا يؤمن صولته، بالمقابل ما كان علماء السلف يخرجون عن طاعة السلطان المسلم ولا يشقون عصا الطاعة عليه ولا يعصون أمره ما لم يكن معصية الله لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وأمره ﷺ بطاعة الوالي المسلم ما لم يُر كفر بواح عندنا فيه من الله برهان وأمره بلزوم جماعة المسلمين

ودعوته ﷺ للصبر على جور السلطان وعدم الخروج على البيعة ومناصحته واجتناب غشه وغدره فالعلماء الصادقون المصلحون وسط في هذا الباب بين من سكت على ظلم السلطان وفجوره وجوره وخالطه وأخذ من دنياه وصار من بطانته ورضي أن يكون من خاصته وبين من حمل السيف عليه ودعا إلى منابذته وغدر بيعته . ومن قرأ سيرة علماء الإسلام بإمعان عرف ما قلته وفهم ما أشرت إليه وعمل بمقتضاه وصار علمه نافعاً وعمله صالحاً ودعوته مباركة فنسأل الله الصدق في الأقوال والعدل في الأحكام والصلاح في الأعمال .

نريد عباقرة

لو كان لنا من الأمر شيء لأشرنا على إخواننا في البلاد الإسلامية بتوجيه الطالب بعد المرحلة الثانوية إلى مادة واحدة فقط من العلم يدرسها ويفهمها وينتج فيها . فمن عنده ميول إلى الحديث مثلاً توجه لهذه المادة بعد الثانوي فدرسها وحدها وعاشها ليلاً ونهاراً حتى يبدع ويأتي بالأعاجيب وكذلك محب الفقه أو التفسير أو غيرها من مواد الشريعة أو العلوم الدنيوية كالطب والهندسة والكيمياء بحيث إن الطالب لا يعرف إلا هذه المادة فيغوص على أسرارها ويلم بها ويقتلها بحثاً ليكون وحيد زمانه، عندها سوف تخرج الأمة عباقرة في التخصصات ومجدّدين في هذه العلوم، أما حشد المواد على الطالب بهذه الطريقة سواء ما أحب من المواد أو ما لم يحب، والاكتفاء بمذكرات ميسرة فهذا يخرج لنا مثقفين على هامش الحياة يصلحون

موظفين فحسب .

رجال أعجبوني

أنا معجب بابن الجوزي الواعظ في علو همته وحُسن تصنيفه وسعة علمه وأحسن كتبه عندي صيد الخاطر ثم تلييس إبليس وليته ترك مدح النفس والدعاوى فيكفيه هذا الخلود الذائع والثناء الدائم، وهو من أعظم وعاظ التاريخ وخطباء الدنيا .

وأعجبني الإمام البخاري في توقد ذكائه وقوة فهمه وجودة صحيحه وذيوع شأنه رحمه الله .

وأعجبني الشاطبي في كتابيه الاعتصام والموافقات فقد أغنت عن آلاف الكتب والرسائل وهكذا، فكثرة التأليف مع الإعادة والتكرار ما هي إلا مضيعة للعمر في غير طائل .

وأعجبني الحريري في مقاماته فقد سبق من قبله وأتعب من بعده وأتى بالعجب العجاب .

وأعجبني الشوكاني في علو همته وكثرة علومه وجلده على الطلب وصبره على التحصيل .

وأعجبني الإمام محمد بن عبد الوهّاب في تسهيله للعلم وتقريبه الدعوة للناس ومعرفته بما يصلح لزمه وبُعدّه عن التشقيق والتكلف والتنطع .

بداية مناسبة

يبدأ الخطيب الذكي هادئ الصوت، خافت النبرة، ثم يتعش رويداً رويداً، فيعلو صوته، ثم يتفجر في وسط خطبته إن كانت من الخطب الزاجرة الرادعة المهيّجة.

ليس للخطيب أن يبدأ صارخاً مفجوعاً، لماذا؟ وما هي المناسبة؟

كان الحجاج مضرب المثل في جودة الخطابة يقف على المنبر وأيديه في أكمام ثوبه، فيتكلم فلا يسمعه إلا من كان قريباً من المنبر، ثم يعلو صوته، ويهدر ويتهدج، وتبرز يداه فيمتلىء المكان بدوي صوته الضخم حتى يسمعه أهل الأسواق. والمقصود هنا البداية الهادئة المطمئنة.

أبو العلاء المعري (أعمى البصر والبصيرة)

سَرَّحْتُ النظر في دواوين أبي العلاء المعري فإذا الرجل مريض القلب منحرف عن الجادة ليس عنده دين يردعه ولا حياء يردّه يستهزىء (قاتله الله) بالرسل والرسالات، ويشكك في صدق الشريعة، ويسخر من الملة، في بداءة مكشوفة وصفاقة وقحة فعلى هواة الشعر أن يحذروا منه ويحتاطوا لدينهم من رجسه فقد تتبعته في شعره قصصاً حتى خبرت الرجل وعرفت غوره فإذا هو ضال في معتقده جاهل بربه

مغتر بنفسه، أما ذكره للموت: فكل يحسن هذا ويعرفه حتى فرعون يعرف أنه سوف يموت ولكن القضية ما بعد الموت والتهيؤ لتلك المواقف التي تجعل الولدان شيباً. وإنما حذرتك من هذا الشاعر المتهوِّك من باب النصيحة الشرعية والأمانة العلمية فاحجر على قلبك أن تلج إليه شبهة وصن أبناءك أن تصلهم لوثة عقديّة، وحافظ على دينك أن يُسلب منك وأنت لا تشعر ولا تُدخل بيتك إلا كتاباً ترضاه وتأمّن عاقبته فقد ناصحتك من الأغاني لأبي الفرج ومن شعر أبي نواس ومن هذا الضال أبي العلاء المعري ومن أمثالهم من صرعى الشهوات والشبهات ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ٧٩.

خصال حميدة

من أجلّ خصال المسلم الحميدة انكساره لمولاه وشعوره بالتقصير وندمه على الذنب وتواضعه ومقته لنفسه في جنب الله مع حفظه لوقته فلا يذهب منه سدى وإنما يستثمره فيما يصلح من الأقوال والأعمال. ومنها استغناؤه عن الناس فإن أهون الناس عند الناس من احتاج إلى الناس فتجد عندهم من المنّة والصدود والتبجح بالعطية ما يفوق الوصف، ومنها قيامه على أهله تربية وكسباً وتعليماً فإن هذا نوع من أنواع الجهاد وباب من أبواب البر. ومنها اقتصاده في أموره وإعطاء كل ذي حق حقه فإن بعض الناس أهمل نفسه وأعفاها من تكاليف معالي الأمور فتراه ساقط الهمة رذيل النفس لم يفلح في دنيا ولا أخرى وما عليه أن يوصم بالمعائب وأن يوصف بالمثالب لأنه ميت القلب.

الجوع يدفع بالرَّغيف اليابس

وجدت أننا نحرص على جمع المال ونخاف الفقر ولا يملأ عيوننا شيء وكثير مما نجمعه لا نأكله، ولو تدبر العاقل وجد أن رغيماً يكفيه لو جاع وتجد بالتجربة أن من شبع بأي طعام ولو كان شعيراً فقد كف نهمته ورغبته عن كل طعام، وهذا هو ما جعل كثيراً من السلف الأخيار لا يبالبغون في طلب الدنيا ويقتصدون في النفقة ويرضون بالقليل، فقد عاش مثلاً أحمد بن حنبل قرابة سبعين سنة على كسر الخبز والتمر، وعاش المأمون والمعتصم كل منهم قرابة ستة وأربعين سنة على ألد المطاعم وأشهى المأكول وكل ما لذ وطاب من طعام وشراب فهل نفعهم طعامهم في تأخير أجل أو حسن عمل؟! وهل ضرَّ أحمد بن حنبل رداءة طعامه وشظف عيشه؟! إن العمر قصير والأيام قلائل والعافية يصلح معها أي طعام مع الستر والأمن فلا تتعب نفسك في جمع الأموال وعليك بالكفاف وإذا سلمت من الدين فأنت سعيد وما عال من اقتصد.

تدبير أمر المعيشة

لا أدعوك لتضييع المال ولا أحب لك البخل لكن احفظ مالك إلّا من حق شرعي فإن المال نعم العون على الدين ورأينا من يُرهد الناس في الدنيا وهو يحتال لجمعها، وتجد من يدعي حبك فإذا طلبته قرضاً عبس وبسر، ولطالب العلم أن لا يباشر التجارة بنفسه فلو أعطى ماله

بالمضاربة لكن حسناً والعقار هو الابن البار، وما أكّدت عليك هذه المسألة إلا لأن المال قوام الحياة ومن افتقر ذل للأغنياء والسلاطين إلا من حاله كحال سعيد بن المسيب وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وأين نحن منهم؟! وقد رأينا مَنْ زهد الناس في المال ثم دار بأوراقه على التجار يطلبهم المساعدة في زواجه وقضاء ديونه، ورأينا مَنْ ذم السلطين وانهماكهم في الدنيا ثم كتب لهم يطلبهم مالاً، فاطلب الدرهم الحلال وعليك بالمكسب الطيب تكفّ به وجهك من ذلّ السؤال وتسلم من التردد على السفلة وطلب الأندال، وقد أخبرني أحد الصالحين أنه تردد على ستة من التجار يطلب قرضاً إلى أجل وكلهم اعتذر وستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً.

شجاعة الخطيب

تكمن شجاعة الخطيب في رباطة جأشه، وسكون خاطره، واطمئنان نفسه، فهو يواجه الجموع وعليه السكينة واثقاً من نفسه، مؤمناً بما يقول، قديراً على ضبط الموقف.

الخطيب الشجاع يهدأ أحياناً في موقف الهدوء فيلطف صوته، وتخف نبرته، ويزمجر في موقف الإثارة والقوة، فيشد الحاضرين، ويلهب القلوب بسياط وعظه، ويصك صوته الآذان فتصل حرارة كلماته إلى سويداء القلوب.

إن أول الفشل هو جبن الخطيب وخوره، فما أن يشعر بالضعف والانهازم إلا وترتجف أعضاؤه، ويتلعثم لسانه، ويسيل عرقه، حينها

لا تسأل كم هو الإحراج الذي يعيشه سامعوه فضلاً عنه، وهذا هو سقوط الخطيب صراحة .

كيف يؤثر في الجموع من يرهبها؟ وكيف يستولي على قلوبها من يخجل منها؟ .

إن قوة القلب في مواجهة الناس مدد عظيم يمنحه الله أهل القدرات والمواهب فيجدون في مخاطبة الجماهير سلوةً وحياةً وممتعة، فكلما كثر الجمع زاد أحدهم قوة وجاذبية وتوقداً ولموعاً .

ولقد قرأت لخطيب شهير وهو يقسم قسماً أنه كلما كثر الجمع عليه وازدحم الناس إليه كلما زاده ذلك قوة في الأداء وزيادة في العطاء وجودة في الإلقاء وسخاءً في الجمل وبراعة في العرض .

ابن الزبير يخطب في أتباعه وبروق المنايا فوق الحرم، وقذائف المنجنيق تهوي عليه من جبال مكة، وقلبه في عنفوان ثباته، بارد الأعصاب، متماسك القوى، لأنه يحمل مبدأً .

وطارق بن زياد يستعرض جيشاً مدججاً بالسلاح فينثر عليهم خطبة حية من أبرع خطب التاريخ وهو يرتجلها في يوم عصيب .

أول الفشل الشعور بالفشل . والإخفاق ابن بار للجبين . والتفوق تاج للمقدمين الشجعان .

النص على ظاهره وعمومه

إلا ما ورد دليل بخلافه

كان سلفنا الأخيار يتناولون نصوص الكتاب والسنة تناولاً سهلاً

ميسوراً قريباً، همهم العمل بما دل عليه الخطاب، والاهتداء بهدي هذا الكتاب، ولم يكونوا متكلفين للمعاني البعيدة، أو متشاغلين بتصريف الكلمة ونحوها، وإعراب كل نقطة، وجمع الشواهد على كل آية أو حديث، وإحضار كلام كل عالم عند كل مسألة.

قل لي بربك لو سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يحدث الناس في المسجد عن ساعة الاستجابة يوم الجمعة، ثم قال: فيها ثلاثة وأربعون قولاً، ثم سردها، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح، أو ذكر ليلة القدر، وقال: فيها لأهل العلم خمسة وأربعون قولاً، كما في الفتح، وذكر جلود الميتة، وقال: فيها سبعة أقوال، كما في سبل السلام، فماذا ترى يفعل عمر؟! ما أظنه إلا سوف يعزر هذا المتكلم ويزجره ويردعه، لأنه تكلف، وعمر يقول: نهينا عن التكلف.

ولأنه تعمق وتنطع، وفي الحديث: «هلك المتنطعون والمتعمقون».

ولأنه شدد على الناس، وفي الحديث: «يسروا ولا تعسروا».

ولأنه أكثر على الناس، وكاثر بعلمه، والله يقول سبحانه:

﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

ولأن هذا خلاف هديه ﷺ في العلم وهدي أصحابه.

إن علينا أن نتفقه في النص، ونأخذ بظاهره، ونجتهد في فهمه، ثم لا نمطره بوابل من أقوال الناس واختلافهم فنشتت الأذهان، ونتعب

القرائح، ونصعب العلم، ونعسر الطريق إلى الفقه في الدين .
قال تعالى عن كتابه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أما جملة: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فغاية في البلاغة، يسجد لحسنها العقل في محراب البيان، سجدة طويلة لروعة جمالها، وعظمة جلالها.

وقل لي بربك: أي كلمة من كلمات العربية تصلح أن تحل محلها، أو تقوم بمعناها، أو تؤدي غرضها.

قف عند قوله: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ لتجدها طوت المكان والزمان، وأتت على الأمم والقرون، وشملت الآثار والأفكار والديار والأخبار، وعمت الأقوال والأفعال والأجيال، فقوله: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ كل ما جد بعد القرآن من علم أو حدث من فكر أو وقع من حدث أو حصلت من كائنة أو نزلت من نازلة، فمن بين يديه كل ما أتى بعده ووقع بعد نزوله، وأما قوله: ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فهو ما سلف وما تقدم قبل نزوله، من كائنات ونقولات ومثلات، وقصص وعجائب وغرائب.

فهذا القرآن لا يدخله النقص ولا التناقض ولا التكذيب والرد مما قبله ولا مما جاء بعده، ولو عبر في غير القرآن بتعبير من قبل نزوله ومن بعد نزوله، أو نحو ذلك من العبارات، لبقى المشهد عادياً مألوفاً، ولكن جاء هكذا ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فإذا الصورة الحية مع حسن الإيقاع، وقوة المشهد وحسن العرض وجاذبية الجمل وإشراق العبارة ..

وأحسن ما نفعه أن نبقي الجملة على ما هي عليه نشاهدها، ونتمتع بجمالها، وندير البصيرة في محاسنها خاشعين متأملين، لأننا لو ذهبنا نشرح ونفسر لخشينا أن نكون كالأحمق الذي وقف أمام القمر يمدحه ليلة اكتماله: وإذا الحسن بدا فاسجد له فسجود الشكر فرض يا أُخَيَّ

الإمامة العلمية في الإسلام

ليست الإمامة في الإسلام بكثرة حفظ العالم للنصوص فإننا رأينا من برع في الحفظ حتى صار مضرب المثل ثم لم يتأهل للإمامة كأصمعي لانشغاله بالأدب عن السنة وكابن عقدة لتشيّعه وكالواقدي لتخليطه وقلة صدقه، وليست الإمامة كثرة تفريع المسائل كما فعل محمد بن أحمد الشيباني والسرخسي صاحب المبسوط، وليست هي تولي منصب مرموقٍ يأمر منه كفعل إبراهيم بن أدهم ومعروف الكرخي بل الإمامة هي الإمام بعلم الشريعة والعمل بهذا العلم وتبليغه للناس والصبر على الأذى في ذلك والزهد في الدنيا والإخلاص لله والصدق معه وهذا ما فعله أئمة الإسلام كابن المسيب والحسن البصري ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم فإن هؤلاء الأئمة مثلوا الإمامة العلمية في الإسلام بحق وحملوها بصدق: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ٢٤ .

إرشاد

لو خصصت يوماً في الشهر تتصل بأرحامك وأقاربك وأصدقائك

خاصة البعيدين عنك لكان هذا حسناً فإن السلام وسماع الصوت نصف الزيارة وأصبح الهاتف الآن يؤدي الغرض مع توفير الوقت وعدم الإثقال على المزور . وما أعظم أن تبادر أرحامك خاصة القريبات منهن كالوالدة والعمة والخالة والبنات والأخت بالسلام والسؤال عن الحال والدعاء لهن والاطمئنان على أخبارهن ومن أراد الخير يسره الله له .

ومن شر حاسد إذا حسد

الحاسد لا يحكم إلا عليك، ولا يرضى بحكمك، ولا يسعده منك شيء، ولا يعجبه كلامك، ولا مالك ولا ولدك ولا بيتك، ومهما اجتهدت في إرضائه فلن يرضى عنك فلا تطمع في مودته، ولا تأنس بقربه، وعم عليه أمرك وابتعد عنه، فإن جمرة العداوة كامنة في صدره، ولا يذهبها إلا ذهاب مالك وذلك ووقوع أقسى العقوبات بك وأفزع الكوارث وأشد المصائب، وهو مع صروف الدهر عليك، ومساعد من عاداك، ومحب من سبك، ومعين من اغتابك، وصديق من ذمك، محاسنك لا تزيدك عنده إلا سوءاً ومقتاً، فأنت عنده مذنب لا توبة لك حتى تنخلع من مواهبك وتنسلخ من صفاتك الحميدة، يكبر أخطائك، ويرتع في عرضك، ولكن يكفيك نصراً ما هو فيه من ألم، قال أبو الطيب:

إني وإن لمت حاسدي فما أنكر أني عقوبة لهموا

شهرة بلا معنى

طالعت كلام ابن سينا ورأيت كتبه فإذا الرجل معرض عن الوحي : كتاباً وسنة غارق في الفلسفة له كلمات تقدح في أصول الدين مع العلم أنه من الأذكياء الكبار وطبقت شهرته العالم ولكن المقصود هو هداية القلب وسلامة النهج وسداد المذهب وقد رأيت ابن تيمية أغار عليه ورد على كثير من شبهه وأورد أخطاء كبارا له وقد أصاب شيخ الإسلام في ذلك كل الصواب فإن ابن سينا وافق الباطنية الإسماعيلية في كثير من أصولهم وليس له علم بالسنة وخدعته الفلسفة فغرق في بحرها المظلم وليس للعبد أنجي وأهدى من الكتاب والسنة فالله الله في العودة الصادقة لهذا الميراث المبارك .

بديهة لَمَّاحة

من أبرز صفات الخطيب الفائق : أنه صاحب بديهة حاضرة تسعفه أبداً كلما احتاج لها، يعود إليها كلما احتدمت خواطره، وتدافعت أفكاره، ووقع في لبس، فتقدح له بديهته زند العطاء بلا تأخر .

إن هناك مواقف تمر بالخطيب لم يضرب لها حساباً تفجؤه وحوادث وقضايا وطوارئ وأفكاراً، فإن لم تكن لديه بديهة وقع في الارتباك وأفحم وانقطع .

إن اللحظات المفاجئة لا تنتظر من يُحضّر لها ويتمهل في طلب الإجابة .

لا . . بل الآن تريد أجابة سريعة مناسبة .

خطباء التأريخ أهل بداهة يجدون في أذهانهم مدداً لكل مناسبة،
وحديثاً لكل حادثة، يقول أحدهم فلا يخطيء، ويجيب فلا يبطل .

ماذا يفعل الخطيب البارد لو قاطعه رجل لسن ذو جدل، وخالفه
في قضية، وأورد عليه إشكالا لم يكن في حسابه، حينها يقع الفشل
أمام الجمع، ويحصل الانحدار بل السقوط .

نعمة العقل

من أجل نعم الله على العبد نعمة العقل فإن الرجل قيمته بين
الناس في الدنيا بعقله زيادة ونقصاً وما نبيل إلا لزيادة عقله وما حمق إلا
لنقص عقله وإنك لتعلم من الناس النقص في العقول إذا تلمحت ذلك،
فالكلمة في غير محلها من نقص العقل والفحش في القول وخلع
جلباب الحياء من نقص العقل . وعدم التفكير في العواقب والتهور في
الأمور من نقص العقل وعلى ذلك فقس ﴿ وَتَعَرَّفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾
والاتزان في المجلس وحسن الجواب واختيار الكلام الحسن وحسن
المداراة والتثبت في الأمور والانتباه للعواقب من تمام العقل، وقد
يكتسب العقل بالتجارب ودراسة التأريخ وطلب العلم وتربية النفس
ومن نقص عقله فالصمت أحسن شيء له لكن الصمت يحتاج إلى
عقل . فعدنا من حيث بدأنا!! .

قوة الكلمة

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾، الكلمة الطيبة تقيم مبادئ، وتنعش أرواحاً، وتحرك أجيالاً، وتبني شعوباً، والكلمة الطيبة تُصلح طريق الخطأ، وتنصب عدلاً، وتدحض باطلاً، وتسحق زيفاً، والكلمة الطيبة طريق إلى العمل، واستفادة من الماضي ونشيد حماس لليوم، وأمل واعد للمستقبل.

وأقوى ما تكون الكلمة على منبر الوعظ يوم تطرق الرؤوس، وتُسكت النفوس، فتشرئب الأعناق، ويسود الصمت فلا تسمع إلا همساً، حينها ينتصب الخطيب، ويتدفق لسانه بالحجج، وتنساب نغماته في الأرواح انسياب الماء في العود، والحُب في المهج، والنور في التيار.

يصنع الخطيب القدير بوعظه من الشعوب التابعة الذليلة أمة مشبوبة الجوى، عارمة المسير، قوية الهمة، باسلة العطاء، حاملة الفداء، وينسج الخطيب بكلامه من الأمة العاطلة المسكينة أمة عاملة منتجة فاعلة، تبني وتغرس، وتكتب وتقرأ، وتعطي وتدافع.

أول ما فعله ﷺ بأمة الصحراء أن خطبهم ووعظهم وبشرهم وأنذرهم وأمرهم ونهاهم؛ فتحول عبّاد الأوثان إلى أئمة طُهر، ونجوم هدى، وتحول الحجاج إلى مرابطين في الثغور، وشعراء الخمر والمجون إلى أدباء للحكمة هداة للحق، والأعراب الجفاة إلى عبّاد ترجف أعضاؤهم في السّحر بالخشية.

والرسول ﷺ أعظم الخطباء كما قيل :

ما بنى جملة من اللفظ إلا وابتنى اللفظ أمة من عفاء

وقفات

عندي كتاب الجامع بين الصحيحين لصالح أحمد شامي، وهذا الكتاب هو مرجعي بعد القرآن، وكنت أتمنى أن أجد كتاباً بهذه الصفة فالحمد لله حصل هذا الكتاب فهو صحيح كله لأنه جمع صحيح البخاري ومسلم ثم إنه رتبه ترتيباً سهلاً ميسراً وعلق عليه تعليقاً خفيفاً وأضاف في الحاشية المعلقات في البخاري فأتى كتاباً يشرح الصدور ويريح البال فمن حفظه فقد حفظ علماً نافعاً مباركاً وحسبك به .

من فوائد المصائب

الذي لا تصيبه المصائب يُخشى عليه من مرض الغفلة، فيقسو قلبه، ويصيبه الأشر والبطر، ويصبح كالسكران لا يعي ما حوله إنما همه طعامه وشرابه وشهوته، لكن المصائب من أعظم ما يوقظ القلب ويحركه .

شرح ابن عقيل

كتاب لا يستطيع حل مغلقه إلا العلماء مع إيراده مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين وشواهد الصعبة عن شعراء يحتاج شعرهم إلى شراح فكانت مادة من أصعب المواد وليت أننا ندرس كتاباً عصرياً ميسراً

جذاباً قريباً إذاً لعرفنا النحو بسهولة ولوصلنا إلى المقصد عن قرب .

نحن والسلف

كان علماء السلف يفرّون من الشهرة فراراً ويذرون أنفسهم ولا يرون أنفسهم أهلاً للتصدر، فهذا إبراهيم النخعي كان إذا جلس إليه أربعة في المسجد قام وتركهم خوفاً من الشهرة . فكان ابن مسعود يمنع الناس أن يمشوا خلفه ويقول: إنها فتنة للمتبع وذلة للتابع . وكان ابن المبارك يغضب إذا قيل له بعد إيراده الحديث: ما رأيكم يا أبا عبد الرحمن؟ فيقول: ومن نحن حتى يكون لنا رأي . ومنهم من كان يقول: لو عرفتموني لحثيتم التراب على رأسي، إلى غير ذلك من أقوال وأفعال القوم في هضم النفس والتواضع ورؤية التقصير . أما نحن فتهافت على الشهرة وحب للتصدر وبحث عن عيوب الآخرين ونسيان لعيوبنا وارتياح لمن مدحنا وبغض لمن نصحنا لأن نبتنا مشوبة وإخلاصنا نادر وعبادتنا ضحلة، وكان السلف يفرّون من المناصب فراراً، ويرغمون على تولي القضاء فيهربون، ونحن نأتي المنصب عمداً ونلهث وراء القضاء ونتمزّق حتى نحصل على وظيفة ويهنيء بعضنا بعضاً إذا أسند إليه عمل دنيوي لأن السلف عرفوا وأنكرنا وصفت سرائرهم وخلطنا وعرفوا الطريق والتبس علينا الأمر .

وكان السلف يخافون من الفتيا، ويود أحدهم لو كفاه الآخر ويحذرون من المسائل ونحن نزدحم على باب الفتيا ونتسابق على الإجابة وكل منا يتمنى أن يجيب على السؤال قبل أخيه، لأن السلف

فكّروا في العواقب وتذكروا الوقوف يوم العرض الأكبر وخافوا يوم التغابن ونحن أردنا الظهور والتفوق على الأقران وجلب محبة العامة والحصول على عرض زائل من الدنيا.

وكان السلف يخفون أعمالهم ويسترون حسناتهم وينكرون كرامتهم ونحن أذعنا ما فعلنا ونشرنا جهودنا وأعلنا عن أعمالنا لأن السلف عاملوا الفرد الصمد جلّ في علاه، وطلبوا رضاه وأرادوا ما عنده، ونحن أردنا أن نُحمد على ما فعلنا ونُشكر على ما صنعنا لأن قلوبنا عند العامة وحبنا للعاجلة ورغبتنا في الدنيا الفانية. . فرحماك يارب.

اللسان البليغ

إن اللسان الصادق البليغ يفعل في الأمم فعل الجيوش الجرارة، والكتائب الهادرة، والجنود المغامرين، واللسان الصادق البليغ يخاطب الأرواح مباشرة، ويناجي الخلد بلا حجاب ويناجي البصائر بما أراد.

وبالكلمة المؤثرة الواصلة يدرك حداة الحق ورواد الفضيلة مطالبهم، فعند سماع الخطبة يشجع الجبان، ويسخو البخيل، وينبل الخامل، ويجاهد القاعد، ويثابر المحطّم.

وعند سماع الخطبة يُطعم الفقير، ويكسى العاري، ويُعان المنكوب، ويُمسح دم المصاب.

الخطب الهادرة الطنّانة تشعل الحماس في رؤوس المقاتلين،
والغيرة في نفوس المدافعين.

وبلغاء الخطباء يشعلون الحمية في أفئدة أبطال الكفاح، ويدعون
إذا ادلّهمَّ خطبٌ، ووقعت واقعةٌ وحلّت داهيةٌ، ليقولوا كلمتهم في
الحشود، ويلقوا عصا الحجّة في الجموع، فإذا هي تلقف كل باطل،
وتلتهم كل حدث.

بلغاء الخطباء ينسجون في وقفة واحدة تاريخاً طويلاً، وينظمون في
لحظة قصيرة أمالاً كبيرة.

إن انتصرت الأمة مجدوها حتى تصل هامتها الثرى، وإن غُلبت
رفعوها ولو كان رأسها في الثرى.

إن خطبوا في فن الشجاعة هوّنوا الموت على الجنود، حتى كأنه
حضور مهرجان، ومشاهدة حدائق ذات أفنان، ورغبوا الجيوش في
البسالة حتى كأن الحياة بلا موت لا شيء، والبقاء بلا دفاع فناء،
والعيش بلا نضال عار.

يهوّنون شأن العدو حتى كأن سيوفهم أقلام كاتبين، ورماحهم
أغصان لاعبين:

فمن في كفه منهم قنّاة كمن في كفه منهم خطّاب
وإن خطبوا في الأغنياء ملتَمسين البذل والسخاء جعلوا العطاء
حياةً، والإمساك موتاً، والإنفاق سعادة، والقبض شقاء، فعلى زجل

كلامهم تنهال الدراهم والدنانير، ومع وقع عباراتهم يسقط الذهب والفضة، ويخطبهم تفرغ القناطير المقنطرة من أكياسها، وتخرج الكنوز من أكاداسها، يخطبون في الفقراء فيحيلون مرارة العدم إلى السعادة، وبذاذة البؤس إلى المكرمة؛ فإذا الفقير محسود بفقره مغبوط بعدمه، يرى أن فقره سبيل إلى قلة التبعة، وخفة السير، وضحالة الخطايا، وارتياح الروح.

ويخطبون في المنكوبين فإذا تيجان المدائح على رؤوسهم، وألوية الفضل تخفق فوق هاماتهم، فكل منكوب يُرى أنه مجتبي بنكته، مصطفى بمصيبته، والخطباء اللامعون يحيلون بجلال العبارة وقدسيتها الكلمة صدمة الهزيمة إلى انتصار، وهزة الفاجعة إلى استعلاء، وهل الأحداث والوقائع والمثالات إلا نتائج للكلمات الملتهبة والخطب المجنحة الهادرة.

العمل.. العمل!

بعضهم صرف عمره في المطالعة والتحصيل وجمع المعرفة، ونسي العمل الصالح، ومن ينظر إلى القرآن يجده مدح العلم النافع لكنه المقرون بالعمل، وفي القرآن ذكر الطاعة من صلاة وصيام وزكاة وجهاد وتقوى أكثر من ذكر العلم المجرد، فليُتَبه لهذا.

انتبه!

أغبي الناس من يثق بحالته الراهنة من مال أو منصب أو جاه،

ويغفل عن تقلب الأيام، وتغيّر الليالي وعجائب الزمان، فتجده سادراً في لهوه، غارقاً في غفلته، لكن الحاذق متهيء دائماً، يقظ في كل وقت.

نحن والصحابة

أعمال القلوب عند الصحابة أعظم من الأعمال الظاهرة، فهم في النوافل من العبادات مقتصدون بالنسبة لبعض العباد في القرن الثاني والثالث، فتجد بعض العباد يصلي مائة ركعة أو مائتين أو أكثر في اليوم الواحد، بينما الصحابة اعتنوا بالإخلاص والصدق مع الله، والخشية والإنابة والمراقبة وغيرها من أعمال القلوب.

البسمة

البسمة هي السحر الحلال، وهي إعلان الإخاء، وعربون الصفاء، ورسالة الود، وخطاب المحبة، البسمة تقع على صخرة الحقد فتذيبها، وتسقط على ركام العداوة فتزيلها، البسمة تحل حبل البغضاء، تطرد وساوس الشحناء، تغسل أدران الضغينة، تمشح جراح القطيعة، «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، لأنك أدخلت عليه السرور وأتحفته بالحبور وأنست فؤاده بحسن الطلعة وأبردت لواعجه بإشراق المحيّا، فيا من أراد كسب الود تبسم في وجوه الناس تسل سخائم قلوبهم وتقتلع الشوك من نفوسهم. والتبسم هو الدواء المجرب الذي نصح به أرباب القلوب، ومن أراد الله به خيراً حسن خلقه وليّن قلبه

ونور محياه ببسمة رائقة لإخوانه تفيض عليهم أنوار السكينة وترسل عليهم نسائم الأمن، وليعلم عبوس المحيّا كالح الوجه جهم الخلق أنه هو الخاسر لا غيره لأنه فقد أحبابه وشرد بالعبوس أصحابه وضيع صداقة يدفع من أجلها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾ .

البيان الساحر

إن من البيان لسحراً يخلب الأبواب، ويلون الأمزجة، ويغيّر الصور والأحداث والأشياء والمواقف. وإن من الخطابة لسحراً يشجع الجبان، ويرد الجامح، ويعزي المصاب، ويسخّي البخيل، ويقدم الهيب.

وسحر الخطابة في سموها.. في عمقها.. في تأثيرها.. في معانيها.. في عواطفها.

وسحر الخطابة في إلقائها، وجاذبيتها، وحلاوتها، وطلاوتها، واللسان الذلق يصنع الأعاجيب، وينتج الأحداث، ويرسم الوقائع.

قالوا: أرسل (جورج واشنطن) - أول رئيس لأمريكا - رجلاً واحداً إلى (تكساس)، تلكم الولاية التي تمردت عليه، واستعصت على الفتح، هذا الرجل هو (هوستن) الذي سميت باسمه المدينة هناك، أرسله وحده بلا جيش وإنما كان معه لسان ذلق فصيح هذار خلّاب

فدخل هذه الولاية فقيراً مملقاً وجلس في مكتب محاماة يأتيه المظلوم فيخرجه ظالماً، والظالم مظلوماً، والسارق بريئاً، والبريء سارقاً، فاستحوذ على الناس إلا القليل حتى ضُمَّت هذه الولاية به إلى بقية الولايات! .

وكان الأحنف بن قيس هزياً نحيفاً ضعيفاً تحتقره العين، وينبو عنه الطرف، فإذا تكلم خطف الأضواء، وجلب الأبصار، واستنصت الأسماع، ومَلَكَ القلوب، وهذه هي البلاغة

كان بعض الخطباء كالعاصفة الهوجاء، إذا اندفع في الحديث يغضب ويثور، وينفعل ويمور ولسان حاله يقول: لا مساس، فتراه يفلق هام البيان بسيف الفصاحة البتار، ويقطع جبال الشكوك بمهند الحجة الصارم، فهو وحده رجل الموقف، وأستاذ الحدث، وسلطان المقام.

الخطابة هي جرأة صادقة، وإقدام فطيع، لا يعرف النكوص والالتواء، ومواجهة للجماهير من غير هيبة، ولا وجوم، ولا خجل.

والخطابة تحضير مسبق لما يُراد أن يُقال، وامتلاء الذهن بأطراف الموضوع، ورصد تام لحديث المقام، حينها يدلف الخطيب وهو واثق من نفسه تمام الثقة، متماسك القوى، قوي الإرادة لأنه قد أحرز مادته، وخمَّر أفكاره، واستعد للمواجهة، ولبس للخطابة لأمة النزال.

إن أول فشل الخطيب أن لا يُرَوَّرَ كلاماً في صدره، ولا يهيء أفكاراً في خاطره، وربما ظن أن وقوفه أمام الناس كفيل بإثراء ذهنه

بالمعلومات، وملء عقله بالأفكار، وهذا ليس بصحيح ﴿وَلَوْ أَرَادُوا
الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾.

والخطيب القدير يعيش الخطبة بقلبه وجوانحه وعواطفه، فهو يتكلم للناس لكن بعروق دمه، وشرايينه، وحشاياه، يتحدث عن الألم وهو أول المتألمين، يتوجع لما حدث؛ لا بلسانه بل بجنانه، فيظهر ذلك في خلجات صورته، وقسمات وجهه، ونبرات صوته، ولفتاته، وإشارته، ويتكلم عن البشري فإذا هو سعيد بما حدث جذلان بما صار يسعد الناس بما يحمله هو في نفسه وخفاياه.

والخطيب المصقع موسوعة علمية لا يضايقه الحديث عن أي جانب، بل هو كالسيل، كلما وجد فراغاً ملاءه، وكلما صادف مكاناً منخفضاً أفرغ فيه جموحه، يطالع كثيراً، ويتدبر كثيراً، يسبك العبارات، فيجعل الخطبة كهيكल الذهب، متناسقة، متقاربة، لا نشاز فيها، ولا التواء.

والخطيب يحتاج إلى تدريب سابق، ومران كثير، ولا يكفيه أن يطالع صفات الخطيب، وأن يقرأ سمات الخطابة، بل يعيشها هو بنفسه مزاوله ودربة ومراناً كالسباحة تماماً، فإن مجلداً ضخماً في طريقة السباحة لا ينفع شيئاً ما لم يتوجه الإنسان إلى النهر ليغمس نفسه فيه ممثلاً ما قرأ وما علم.

المكفرات

ليس لي ولك أنفع من مكفرات الذنوب التي تحط الخطايا حطاً

وتغسل السيئات كالصلوات الخمس والوضوء والذكر وصيام رمضان والصدقة وغيرها من الأعمال، وعليك بحمد ربك وشكره على أن جعل الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة والسيئة بمثلها، فيا من أثقله الذنب وقسا منه القلب، استغفر الرب وعد إليه وتب فإن الباب مفتوح والنوال يغدو ويروح، فاطلب منه هنا إقالة العثرة وغفران الزلة وستر الخطيئة فإنه كريم عمن أفضى له .

حياة الأمن

ينبغي أن يكون العبد طبيعياً في حياته فلا يكون فيها طوارئ مزعجة يفتعلها هو باستثناء المصائب التي يؤجر عليها، فعلى العبد أن يؤدي عبادة ربه في يسر وسهولة بحيث لا يزعج نفسه ولا يشدد عليها فتكون قلقه مضطربة وكذلك في علاقاته مع الناس فلا يشتت قلبه بكثرة العلاقات واضطراب المواعيد وزيادة الارتباطات لأنه سوف يكون في وضع غير عادي، فالواجب عليه أن يعيش حياة الأمن بحيث يؤدي كل عمل في وقته بهدوء وراحة بال ولا يكن في حياته طوارئ ولا استنفار لقواه، بل يكون مترسلاً على حديث: «إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ولضيفك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه» أما الارتباك والفوضوية والاضطراب فهو عذاب عاجل يقدم لمن خالف النظام والترتيب في حياته فلا تبلغ في جانب من حياتك على حساب جانب آخر بل العدل والوسط والنظام والانضباط ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ﴾ .

فائدة

كثير من المثقفين متشاغلون بعلومهم عن الآخرة، فهذا غارق في الأدب إلى أذنيه، وذاك في فن النقد إلى مشاش رأسه، وثالث في الجغرافيا إلى آخر قطرة من دمه، فقلت: متى يفرغ هؤلاء لإصلاح القلوب ومحو الذنوب، وستر العيوب، ومعاملة علام الغيوب؟؟.

دلوني على السوق

ما رأيت أبرك رزقاً من التجارة - إذا صدق صاحبها وراقب ربّه في بيعه وشرائه - فإن رزقها رغد طيب، وهي كسب من صالحى هذه الأمة وهي أحسن وأنفع من الوظيفة بل الوظيفة أضيق أبواب الرزق، والتجارة فيها انطلاق وحرية وملك للوقت وللتصرف. وليس بالضرورة أن يباشر طالب العلم التجارة بنفسه بل يدفع ماله بالمضاربة إلى رجل أمين ماهر يكفيه مئونة العمل، ومن تاجر فعليه بالصدق والمحافظة على تكبيرة الإحرام جماعة والزكاة واجتناب الحلف. ورأينا من كان في عيش ضيق ثم سلك التجارة فأتاه الله رزقاً رغداً من كل مكان. ونعوذ بالله من الكسل فإنه يحرم صاحبه من طلب العلم والرزق. وبعضهم يزيد مع الكسل تبريراً بارداً لكسله بأن سببه زهده في الدنيا وإعراضه عنها ومع ذلك تجده مقصراً في النوافل، كسولاً في عمل الصالحات، إنما هو في لهو ولعب، فيا عباد الله إذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله، والله هو الرزاق وحده سبحانه.

خاطرة

البضاعة التي لا تكسد عند صاحبها، وهي مطلوبة عند الجميع، علم الحلال والحرام، فكل المسلمين بشتى طبقاتهم بحاجة إلى هذا العلم، ويعذر من يقصر من طلبة العلم في الأدب أو اللغة أو التاريخ، ولكنه لا عذر له إذا قصر في الفقه.

فضل الجهاد

أكثر عمل الصحابة بعد الفرائض الجهاد في سبيل الله، ولذلك تجد فضل الجهاد في القرآن والسنة أضعافاً مضاعفة على العلم، وقد مارس الصحابة العلم في الحياة فزاولوه في عباداتهم وجهادهم وبيعهم وأخلاقهم، ولم يكن لديهم ترف علمي، إنما تعلموا العلم للعمل والتعليم.

الفك يدور

ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أن المأمون أوصى بعض أصحابه فقال: اغتنم فعل المعروف، فإن الفلك أدور، والدهر أجور من أن يترك أحداً على حال. ١. هـ (وكلامه عن جور الدهر فيه نظر) قلت: وهذا كلام ذكي ألمعي، فالذي لا يقتنص الفرص في الإحسان إلى الناس يفوته الخير، ويتغير عليه الحال، فالذي لا ينفع الناس بجاهه يندم حالة خموله، والذي لا يسعف الناس بماله يأسف حالة فقره،

والذي لا يخدم الناس بمنصبه يحزن يوم عزله .
 فالبدار البدار في فعل الخيرات والمسابقة بالصالحات ، ونفع عباد
 الله قبل دورة الزمن وتغير الحال ، وتبدل الوقت .

عند الشدائد

ركبت الطائرة مرة فلما جاءت لتهبط حصل بها عطل فبقينا أكثر
 من ساعة في دعاء وبكاء وتوبة واستغفار ، فلما هبطنا نسينا ، ولو أن
 العبد يبقى على حالته وقت الأزمات لعظم إيمانه وزاد صلاحه ، لكن
 الإنسان جحود غافل .

عصر السرعة

من أراد أن يكتب أو يؤلف فليختصر وليسهل الكلام للناس لأن
 البلاغة هي أن يفهمك من تكلمه أو تكتب له ، لا نريد تعقيداً لفظياً
 ولا نريد كتابة تحتاج عند قراءتها إلى مطالعة القاموس ، نريد أسلوباً
 واضحاً مشرقاً سهلاً بسيطاً يفهمه الحاضر والباد ، ولذلك اجتهدت في
 هذه المقالات أن تكون سهلة مفهومة وأعرضت عن التدبيج وتزويق
 العبارة وتحبير الكلام لأنني أريد أن يفهمني أكبر عدد من الناس ، إن
 البليغ حقاً هو من يفهم كلامه العامة والعلماء ، أما الإغراب وإيراد
 وحشي الكلام والتفنن في تصعيب العبارة فهذا من قلة الإدراك وبلادة
 الحس وجفاف الذوق ، نحن في عصر السرعة ، الناس يخطفون كل

شيء خطفاً فإذا أردت أن تكتب للناس مائة سطر فاختصرها في عشرة أسطر وسهلها ويسرها ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ .

الصدق منجاة

من أعظم صفات العبد الصدق ومن أرذل وأقبح صفاته الكذب وتجد في الناس من يعجبك مظهره ثم تفاجأ أنه يكذب، ويعرف ذلك من كثرة حبه للغرائب ومدح النفس وإلقاء الكلام بلا روية ولا تثبت وكثرة الحلف ولا يكون الكذب إلا من دناءة النفس وسواد القلب ومن عود نفسه الصدق لزمه وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع، ومن تذكر سوء السمعة عنه إذ كذب وسقوط المكانة وحقارة المنزلة أقلع عن الكذب وليحذر العبد من الاستهانة بقليل الكذب في المزاح وغيره فإنه يدعو إلى كثيره ومن كثر كلامه كثر سقطه. وكفى المرء مدحاً أن يوصف بالصدق فإن الصدق تاج على رأس صاحبه يشرفه في كل مجلس ويتبعه الثناء في كل مكان ويخلفه حسن الذكر بعد الموت، أما الكاذب فإنه مهين سافل لا خير فيه ولا قيمة له فاصدق في قولك وتحذر الصدق وحاسب في منطقتك واحفظ لسانك من سقط القول.

وعظ في غير محله

الذي يعظ السلطان مثل الذي يمازح الأسد، وبعض الوعّاظ والدعاة سمعوا أن الفضيل بن عياض وعظ هارون الرشيد وأن سفيان الثوري وعظ أبا جعفر المنصور، فأرادوا أن يفعلوا فعلهم مع سلاطين

عصرهم ونسوا أنهم ليسوا كأبي جعفر المنصور، وهارون الرشيد، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه، والسلطان لا يقبل الموعظة خاصة أمام الناس لأن في ذلك كسراً لجأه ولا يمكن أن تخلو به. وسمعنا من أراد أن يعظ السلطان فمدحه وأثنى عليه ومجده، ثم لَمَّح من بعيد لشيء من النصح فذهب مر الموعظة بحلوها ولن ينجو كفافاً، ومنهم من خالط السلطان بقصد نصحه وأخر النصيحة بزعمه حتى تجري المعرفة والصدقة ثم صار من البطانة ونسي النصيحة والموعظة. . والحمد لله على كل حال، فلا تتعب نفسك فدرء المفسد مقدم على جلب المصالح، واعلم أن واعظ عصرنا ينقصه الإخلاص أو العلم أو الحكمة أو معرفة طبيعة السلطان فيقع في ورطة، ولا يغرنك قول بعض الوعاظ: إنهم وعظوا السلطان فقبل منهم، هذا لأنه هز رأسه أثناء كلامهم فظنوه قبل ما قالوا، واعلم أن السلاطين عندهم في الغالب خداع ومكر وبعد غور فيتوهم الواعظ البسيط أنه قد خلب ألبابهم بكلامه وهذا من تلبس إبليس وما رأينا عالماً خالط سلطاناً وأصبح من بطانته إلا ذهب عنه نور العلم وهيبة الشرع وجلالة الورع والتأريخ شاهد بذلك.

ثورة المعلومات

كان الكتاب قديماً خير جليس في الأنام، ولكن غالب الناس اليوم انصرفوا عن الكتاب إلى المرئيات والسمعيات، وقد تغير الحال، وقل القراء، وكثرت المشاغل، وتعقد الوقت، فنصيحتي لمن استغرق

وقته في التأليف أن يهدىء من حماسه، وأن يختار عملاً صالحاً آخر أنفع وأجدى، وأن يلمح الفرق بين الماضي والحاضر.

خسة الدنيا

أفّ على هذه الدنيا الرخيصة، التي نجم فيها لاعب الكرة مارادونا من الأرجنتين، رجل مدمن مخدرات، كافر بالرسالات، وهذا يدلك على تفاهة وخسة الدنيا.

الولاية التي لا تقبل العزل

ذكر السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة الإمام أبي حامد الإسفراييني المتوفى سنة ٤٠٦هـ أنه وقع من الخليفة العباسي أمير المؤمنين أمراً وأحب أن يكتب له الشيخ أبو حامد: اعلم أنك لست بقادر على عزلي عن ولايتي التي ولائها الله تعالى، وأنا أقدر أن أكتب رقعة إلى خراسان بكلمتين أو ثلاث أعزلك عن خلافتك.

قلت: هذه نهاية العزة، وعلو المرتبة، فالعلم هبة الله، وعطية منه لا يعزل صاحبها، لأن العلم في صدره، والتقوى تاج على رأسه، وعلماء الأمة خُلِّدوا بعلمهم لا بمناصبهم، فأبي منصب كان لسعيد بن المسيب والحسن البصري وأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وابن قدامة وابن تيمية، بل كانوا يجبرون على الولاية فيرفضون ويسجنون ويهددون ليتولوا منصبا. فيأبون، فأبقى الله ذكرهم، وسطر مدحهم، وخُلِّد علمهم، ونفع بهم، بل وصل الحال كما تقدم لأبي حامد إلى أن

يهدد الخليفة بعزله، وما ذاك إلا لمعرفة قيمة ما يحمل من العلم وثمر ما عنده من المعرفة، نسأل الله باسمه الأعظم أن يصلحنا كما أصلحهم، وأن ينفعنا بعلمنا وينفع به غيرنا، وأن يجعله سبباً لرضوانه ووسيلة إلى رحمته.

الموسوعات

تغير الحال عن ذي قبل بالنسبة للموسوعات، فأصبح يقوم بها جامعات ومؤسسات، فلا تقصد بمفردك إلى تأليف موسع أو ضخم، لأنك سوف تفاجأ في الأسواق بما هو أكثر تحبيراً وتحقيقاً من تأليفك، لكن عليك بالتحليل والتأصيل والتحقيق، والنادر ذي الجودة فقط.

حتى يكون لكلامك وقع

إذا أردت أن تدعو الناس إلى بذل المال والجود بالإنفاق فهل تظن أنك إذا جمعت الآيات والأحاديث في الباب وعرضتها على الناس أنك تحصل على ما تريد؟ كلاً بل تجمع الآيات والأحاديث والعبر والأفكار ثم تصبغها بعواطفك وجاذبيتك وأنفاسك، ثم تروّض نفسك على القول، وتضع نفسك في مكان السامعين، وترى هل هذا الكلام مؤثر مقنع؟.

إن الكلام على عواهنه ليس خطابة بل الحديث ومطلق الكلام، والأمة تحتاج إلى خطباء جهابذة، يملكون المشاعر، ويستولون على العواطف، خطباء همهم عرض الرسالة الحق عرضاً قوياً مؤثراً واصلماً،

خطباء يجلجلون في المجامع العامة بغيرة الحق، ونعمة الصدق، وكلمة الإسلام.

وإن قطاعاً هائلاً من الناس لا يقنعه الدرس الهادىء الوديع، ولا يبهرجه الحديث المنساب الخافت، وإنما يهزه ويحركه من أعماقه ثرائر خطباء صُقع، وإيقاعات فصحاء ذُلق، تصل أصواتهم إلى سويداء القلوب وأعماق الأعماق، وإن الذين يظنون أن دور الخطابة ضحل، وأن الصياح والضجيج لا داعي له، أخطأوا خطأً بيناً، وغلطوا غلطاً فاحشاً؛ لأن أخطب الناس هو رسولنا (ﷺ) والذي أصلح بخطبه أمماً وهدى بوعظه شعوباً.

والناس مستويات ودرجات، فهذا يكفيه وضوح الفكرة وصفاء العرض، وذاك لا يفتفت ذرّات الالتواء والصدوف في نفسه إلا كلمات هائلة من الوعظ، وهدير متتابع من الخطب، ليستجيب لهذا النداء الصّامد ويدعن لهذا الخطاب الجارف الدامغ.

إن الحشود تحتاج إلى خطباء أقوياء مؤهلين، يؤدون واجب النصح، ووظيفة الإقناع، لهم من سرعة البديهة ما ينقذهم من ورطات المفاجأة، ولهم من رصيد التجارب ما يسعفهم في الأحداث، ولهم من روعة الهمم ما يدعوهم إلى معالي الأمور.

والأمة اليوم تحتاج إلى دور ومعاهد لتعليم الخطباء وتخريج الفصحاء، لتزرعهم في العالم، وتوزعهم في المعمورة، يلهجون بذكر الله، والدعوة إليه وتحبيب الناس في شرعه، وهذا مطلب سام وهدف نبيل.

ويا ليت أن هناك دورات للخطباء، واجتماعات سنوية لهم ليتدارسوا أوضاعهم، ويتلافوا أخطاءهم، ويحسنوا من أحوالهم، والله المستعان وهو الهادي إلى سواء السبيل.

مجالسة الأقران

غالب مجالس الأقران جدل وفعالية وإظهار للعلم وردّ على القرين فإن القرين يأنف من غلبة قرينه وظهوره بالحجة ولأن القلوب مريضة بداء الحسد والكبر فقل من ترى مستفيداً متواضعاً لقرينه. فتجد من لا يعجبه أن تسدد في كلامك بل منهم من يفرح بالغلطة منك فيحفظها ويسابقك على الجواب ويستدرك عليك وربما تغير وجهه إذا أصبت فمن ابتلي بمجالس الأقران فليكثر الصمت والتواضع والتبسم حتى ينتهي المجلس ولا يستأثر بالحديث فإن المجالس ثلاثة: مجلس مع من هو أعلم منك فالواجب الاستفادة منه، ومجلس مع العامي فحق تعليمه وإفادته، ومجلس مع القرين فلا تحرص على إظهار حجتك وبلاغتك عنده فإنك بذلك تثير أسد الحسد من مريضه بل عليك بمداراته حتى ينتهي ذلك المجلس وقل من مخالطته، فإن الزهو والعجب والحسد غالب على طلبة العلم، والله المستعان.

عش يوماً واحداً

من عاش في حدود يومه أصلح عمله، وضبط قوله، وحسن مظهره، ورضي برزقه، وحفظ وقته، واغتتم ساعات يومه، وأسعد نفسه، ونفى الهم عنه، لأنه نسي الماضي بهومومه وغمومومه، وترك

المستقبل بتوقعاته .

الحياة إنما هي يومك الذي أنت فيه ، فجرب أن تعيش فقط اليوم وحده .

وتحبون المال حُبًّا جَمًّا

عجبت من الناس وتلهفهم على المال وتعلقهم به وميلهم لصاحبه حتى لو لم يعطهم من ماله، فهم يعظمون الأغنياء ويعجبون بكلامهم ويرتاحون للجلوس معهم ويكرمونهم لا لشيء إلا أن عندهم مالا، ولا يغرّنك غالب من هوّن من شأن المال فإن هذه حيلة العاجز، فقد وجدنا من أحب لأجل المال ومن هجر من أجله بل منهم من كان يزهّد الناس في المال ثم ما لبث أن تزلف لأصحاب الأموال طمعاً في أموالهم ومنهم من ترك النوافل وهب وراء المال ومنهم من ترك بعض النسك والورع ليحصل على المال فلا تظن أن محبة الناس خالصة لوجه الله دائماً بل كثيرهم إنما يحب لأجل منفعة يريجوها، وإذا أردت أن تعلم منزلة المال عند الناس فجربهم عند قرض أو معاونة فإنهم ينفضون أيديهم منك وأنت أثقل شيء عليهم يوم تحتاج لمالهم بل منهم من يهجرك من أجل أنك طمعت في ماله أو وسوست لك نفسك الأمارة بالسوء أن تطلبه شيئاً من ماله، إذن فاجمع مالك من وجوه مباحة واحفظ مالك إلا من حقوقه فلن تجد بعد الله مثل مالك، حتى قالت العمامة: مالك هو عمك وخالك. وأنا أقول: بل المال قد يكون امراً أهم من العم والخال وما وجدت في الإخوان أسرع نجدة، ولا

أقرب إجابة ولا أحسن معونة من المال ولا يخدعك كلام من لم يجرب فتذهب مالك ثم تقلب كفيك ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ١٧ ﴾ . أسأل الله العفو والمغفرة .

فائدة

معاندة السلطان من أشد المحن وأضرها على العالم، فإن هذه المعاندة تمنع الناس من الانتفاع بعلمه، ويكون العالم مقيداً محصوراً عن نشر علمه، وبث فوائده، وهذا وأد خفي للعلم، ومن تعلم سياسة العلم نفع، والحكمة موهبة ربانية .

الخطابة المؤثرة

هل الخطابة إلا جذب النفوس، وامتلاك الأرواح، والتصرف في المشاعر؟ هل الخطابة إلا الاستيلاء على مستعمرات الأفكار، وفتح قلاع التصورات، والانتصار على الآراء المخالفة؟

الخطابة هي الإقناع، ونقل السامع من الغي إلى الرشاد، ومن الانحراف إلى الاستقامة، ومن الظلم إلى العدل .

يريد الخطيب أن يبكي الناس فيتوجع من قلبه، ويتأسف من خلوده ويتهدج صوته، وتنساب عبارات الفجيجة، وكلمات الثكل من بين شفثيه، وتتساقط الآهات مع الدمعات، والزفرات مع العبرات، فإذا الجمع مناخة، والكل مأتَم .

ويريد الخطيب أن يلهب الحماس، ويشجع السامع، فيهتف

بسطوة، ويمور بقوة، بإباء، فإذا الحضور في بسالة وإقدام، وإذا الأعين تترقب ساعة التضحية ولحظة الفداء.

الخطابة أن تأتي إلى الغضوب الحقود الممتلىء الثائر الجريح فتعالج قلبه، وتداخل نفسه، وتسلب سخيمته، وتزيل ضراوته حتى تبرد حرارته، وينطفئ لهبه، ويموت غضبه، فيعود حليماً صفوفاً مسامحاً.

والخطابة أن تأتي إلى المعاند الجموح المشاكس فتلين عريكته، وتخاطب فطرته، وتدغدغ مشاعره؛ حتى يثوب ويسلم ويدعن.

ليست الخطابة لفظاً بلا معنى، وقالياً بلا قلب، وعبارات بلا عبر؛ فكلها صوت وصورة، ماء وظل، ندى وظل، شبح وري، عواطف ومعان مثله وقيم.

في العالم الغربي يقوم خطيب فيتحدث عن البطالة متذمراً وغازباً فتساق معه الجماهير متذمرة غاضبة تزحف معه كالسيل المخيف، إذا أراد تهدئتهم قام فألقى خطبة يبرد فيها المشاعر، ويلطف بها العواطف، فكانه صب بحراً من الماء على تلك النار الموقدة.

طريق الراحة التعب

لن يصل عامل إلى مطلوبة حتى يتعب ويجد ويجتهد لأنه سنة كونية ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾. الطائر لا يحصل على قوته إلا بالبحث والكد والتعب، والسمكة تذهب وتجيء حتى تحصل على قوتها، والدودة في الطين تتحرك وتتقلب حتى تصل إلى ما يغذيها،

والنحلة تطير من زهرة إلى زهرة لتحصل على غذائها، فلا بد لمن أراد نجاحاً في الحياة أن يستهين بالصعاب في سبيل مقصوده وأن يصبر على الكدح حتى يصل إلى مطلوبه، وكثير ممن نجحوا في حياتهم لم يأتهم هذا النجاح مجاناً ولم يصل إليهم جزافاً فهم لم يعتمدوا على مجد سابق منتسب أو ملك أو جاه عريض بل شقوا طريقهم متوكلين على الله وقد كانوا موالي فقراء وغرباء وعجماء ولكن الفذ في همته وطموحه وجلده وصبره أدرك هذا النجاح العظيم في الدنيا والآخرة لأنه ثابر وجالد وكافح بلا نسب يذكر أو جاه أو مال أو عشيرة، بينما أخفق أبو جهل وأبو لهب وأمّية بن خلف مع ما عندهم من جاه ونسب ومال لأنهم أخلدوا إلى الأرض وعبدوا الهوى ورضوا بالدون وباعوا حياتهم بثمان بخس، وهذا عطاء بن أبي رباح من أكبر علماء التابعين عبد أسود أشلّ أفتس، صبر ثلاثين سنة وهو ينام في المسجد الحرام حتى طلب العلم وحفظ القرآن وألمّ بالفقه وأصبح مفتي الدنيا في عصره، وهذا الإمام البخاري صاحب الصحيح طلب الحديث ليلاً ونهاراً وطاف البلدان وأظماً نهاره وأسهر ليله وأجاع بطنه وأتعب جسمه حتى صار محدث الدنيا وأستاذ المحدثين بلا منازع.

وسيؤيه إمام النحو ومؤلف الكتاب الذي حار فيه العلماء وغرقت في بحره أفكار الجهابذة هذا الرجل شق طريقه بنفسه فهو أعجمي ليس له أسرة مشهورة ولا مال وفير ولا منصب خطير وإنما جد واجتهد وجاب البوادي وقطع الفيافي حتى فاق أقرانه وأصبح نجم زمانه.

فمن أراد النجاح فليعلم أن عليه واجب المصابرة على ثغور المجد لينال الفوز والظفر. أما الكسالى الذين آثروا الراحة وأعطوا النفس هواها فليس لهم نصيب في النجاح.

الطالب الذي لا يحفظ ولا يكرر ويناقش ويسأل ويثابر ليس أهلاً للفوز بالنتيجة المرضية. التاجر الذي لا يباشر تجارته ويحاسب عماله ويقوم بعقد الصفقات بنفسه ويطلع على سير تجارته نهايته الخسارة المالية الماحقة. الموظف الذي لا يراعي وقت الدوام وأداء العمل وأمانة المسؤولية وحسن مقابلة الناس هذا موظف فاشل خاسر، أب الأسرة في البيت إذا لم يقيم برعاية أسرته وإدارة شؤون بيته والقرب من أولاده والاطلاع على أمور منزله أب سيء الرعاية مخالف للشرع والعقل مخفق في تربيته لأهله. المرأة التي لا تهتم بزوجها ولا تعني بنفسها وبيتها وتهمل شؤون منزلها امرأة ليس لها في النجاح نصيب وهي تهدد نفسها كل يوم بالفراق أو حياة الفشل والضياع. إن النجاح معناه أداء الواجب على أكمل وجه وتحمل المسؤولية والدقة في القيام بالعمل وإرضاء الضمير واحترام الآخرين وإتقان الحرفة والصبر على المتاعب ومخالفة النفس الأمانة بالسوء والشيطان والهوى وأصحاب السوء.

أحسن كتب الأحكام

أحسن كتب الأحكام لديّ كتاب: بلوغ المرام للحافظ ابن حجر، فإنه مختصر محرر مخرج عام في غالب المسائل، ثم إن المؤلف اكتفى بحديث في كل مسألة في الغالب، وساق كلام أهل العلم على

الحديث، وأخذ من الحديث الشاهد فقط، وربما اتبع المنسوخ بالناسخ، والمرجوح بالراجح، فحفظ هذا الكتاب والتفقه فيه والاهتمام به لازم لمن أراد معرفة أحكام الدين بيسر وسهولة، وهذا الكتاب عندي أجود من المنتقى للمجد ابن تيمية ومن الإلمام لابن دقيق العيد ومن المحرر وغيرها.

الإمام النووي

لما صدق النووي رحمه الله مع ربه، وأخلص في علمه وعمله، وضع الله لكتبه القبول، وانتفع الناس بها، وعمّ خيرها وبركتها، ولا أعلم عند المسلمين كتاباً انتشر بعد القرآن مثل: رياض الصالحين، فهنيئاً للنووي هذا القبول.

علو في الحياة وفي الممات

هذه القصيدة من أجمل المراثي إن لم تكن أجملها قالها الأديب العالم الشاعر أبو الحسن الأنباري في الوزير العباسي ابن بقية الذي قتله السلطان عضد الدولة وصلبه ببغداد ظلماً وعدواناً وبغياً وحسداً فارتجت بغداد بكاءً وعويلًا على وزيرها المنفق الكريم المتصدق صاحب الأيادي البيضاء. وقام أبو الحسن الأنباري أصالة عن نفسه ونيابة عن الرجال والنساء والأطفال والأرامل من أهل بغداد وقدم هذه التعزية للوزير المقتول المصلوب المفترى عليه الذي سلبت منه حياته واغتصبت منه روحه وسرقت منه أيامه الخالدة، يخاطبه وجهاً

لوجه وهو على خشبة الموت مقطع الأوصال ممزق الثياب معفر الوجه قاتم المحيا نائر الرأس تتقاطر دماؤه على الأرض، وقد قابل الجمهور بقامته المهيبة ومدّ يديه المسمرتين على الخشبة كأنه يحيي ويشكر ويحتضن محبيه. والقصيدة لا تحتاج إلى شرح ولا إلى تعليق لكن تحتاج إلى تأمل وتوقف وإنصات، وهي فائقة إلى درجة أن القاتل وهو عضد الدولة سمعها فبكى وأرسل دموعه وقال: وددت لو أنني قُتِلت وصُلِبَت وقِيلَت فيّ هذه القصيدة. والآن إليكم هذه القصيدة الماتعة الرائعة:

لحقُّ أنتِ إحدى المُعجزات
وُقودُ نَدَاكِ أيام الصَّلَاتِ
وكلهم قيام للصلاة
كمدهما إليهم بالهبات
يضم علاك من بعد الوفاة
عن الأكفان ثوب السافيات
بحرَّاسٍ وحفاظ ثقات
كذلك كنت أيام الحياة
علاها في السنين الماضيةات
تُباعد عنك تعبير العُداة
تمكّن من عناق المكرمات
فأنت قَتيل ثأر النائبات
إلينا من عظيم السيئات

عُلُو في الحياة وفي الممات
كأنّ النَّاسِ حولك حين قاموا
كأنك قائم فيهم خطيئا
مددت يديك نحوهم احتفاءً
ولما ضاق بطن الأرض عن أن
أصاروا الجو قبرك واستعاضوا
لعظمتك في النفوس تبيت ترعى
وتوقد حولك النيران ليلا
ركبت مطية من قبل زيد
وتلك قضية فيها أناس
ولم أر قبل جذعك قط جذعاً
أسأت إلى النوائب فاستثارت
وصير دهرك الإحسان فيه

وكنت لمعشر سعدا فلما
 غليل باطن لك في فؤادي
 ولو أنني قدرت على قيام
 ملأت الأرض من نظم القوافي
 ولكنني أصبر عنك نفسي
 ومالك تربة فأقول تسقى
 عليك تحية الرحمن ترى
 مضيت تفرقوا بالمنحسات
 يخفف بالدموع الجاريات
 بفرضك والحقوق الواجبات
 وبحت بها خلاف النائحات
 مخافة أن أعد من الجناة
 لأنك نصب هطل الهاطلات
 برحمات غواد رائحات

خاطرة

هذا العصر، عصر حوادث وفتن، والسعيد من اشتغل بخاصة
 نفسه وأهله وقلل من الأصدقاء والعلاقات والاجتماعات، وتخفف من
 الدنيا وأقبل على إصلاح نفسه، فإذا اختلط بأحد نصحه ونفعه، وإلا
 كف أذاه عن عباد الله، لأن الأمور قد اختلفت، ودخل الداخل وكثر
 الخلط ومرجت الجهود وقلت الديانة.

ما هو المقصود بالنجاح؟

المقصود بالنجاح هو أن يكون الله راضياً عن العبد وأن يكون
 العبد راضياً عن نفسه وأن يكون من حوله راض عنده وأن يقدم نفعاً
 وأثراً في حياته.

فأما رضى الله عن هذا العبد رجلاً أو امرأة، فيكون بعبادة ربه كما

شرع سبحانه عاملاً بأمره منتهياً عن نهيهِ مطيعاً ربه كما أراد تعالى،
ينجح في الدنيا والآخرة. وأما أن يكون العبد راضياً عن نفسه فهذا
لا يكون إلا بفعل الخير واجتناب الشر، فإن النفس لا تهدأ والضمير
لا يرتاح إلا بعملها الصالح وتركها الطالح كما في الحديث «استفت
قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك». وأما رضى الناس عن هذا العبد فهو
أن يكون حسن الخلق معهم جميل المعشر يرجون خيره ويأمنون شرّه.
وأما أن يقدم نفعاً وأثراً طيباً في حياته فيكون هذا بعمله وجده واجتهاده
وصبره فإذا فعل العبد هذه المسائل الأربع فقد حقق في حياته نجاحاً
باهراً ووصل إلى غايته المرجوة من الحياة، ولا يتم نجاح إنسان حتى
يستكمل هذه المسائل الأربع، فمن الناس من أثر في الحياة وترك نفعاً لكنه
ناقص النجاح لأنه ما أَرْضَى ربه جلّ في علاه، فهذا مثلاً أنشتاين أعظم
رياضي عرف في العالم ترك للبشرية نظريات نافعة في فنه لكنه لم يكن
مسلماً فلم يكن نجاحه في الدنيا والآخرة وإنما كان في الدنيا فحسب،
وكذلك أدسون مكتشف الكهرباء وإسحاق نيوتن وغيرهم من أهل
التخصصات مثل بيكون، وديكارت، وكانت وشكسبير وجوته، وتشيلسكي
ووليم جايمس وسواهم، ومثل فرعون والنمرود وقوم نوح وقوم صالح
وقوم هود وقوم لوط وقوم شعيب وأهل الحضارات والدول الكافرة فهؤلاء
لم يحصلوا على رضى الله لمخالفة ما أنزله على رسله وشرعه في كتبه.

وأعظم الناجحين في الدنيا والآخرة هم الرسل عليهم الصلاة
والسلام فإنهم أرضوا ربهم ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ وأرضوا
أنفسهم ورضي عنهم أتباعهم المؤمنون بهم وقدموا للبشرية نفعاً فوق

ما يصفه الواصفون .

المرء ابن عاداته

رأيت العادة تغلب على الإنسان فإذا حياته مجموعة من العادات، فمن اعتاد فعل الخير ولازمه صار له صفة ثابتة، فالذي يعود نفسه البسمة عند لقاء الناس تنطبع عليه بعد مدة ويصعب عليه تركها، ومن عود نفسه ذكر الله تعالى وداوم على تحريك شفثيه بذلك اعتاد هذا العمل وصار جزءاً من حياته حتى أن بعضهم كان يكثر من الذكر لله في كل وقت، ثم يلازمها فتصير له عادة كمس لحيته عند الحديث والإشارة بيده كثيراً، فوصيتي أن تعتاد الأفعال الجميلة والأخلاق الحميدة؛ لتكون لك صفات دائمة فحب المطالعة والنهم بالقراءة لا تتأتي إلا بعد تصبر عليها وإلزام للنفس بها ثم تصبح عادة لا تترك ويتنعم بها القارئ ويلتذ، فالمرء يلتزم ما تعود:

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا وأجمل وقت لطبع عادات الفضائل هو زمن الصبا فعلى الوالد أن يعود ابنه كل جميل من القول والفعل حتى آداب الجلوس والمشي والكلام لترسخ عند هذا الابن ويشب عليها فإن السنوات السبع الأولى من حياة الإنسان هي حياة التكوين وسن القابلية والطفل في هذه السنوات كالصفحة البيضاء يكتب فيها الكاتب ما يشاء .

همم الصحابة

كان همُّ الصحابة الفهم عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ، ومعرفة دلالة الكلام، ومقصود النصوص، والعمل بها، فلم يكن أكبر همهم الحفظ، ولم يشتهر عندهم السرد للمحفوظات، وذكر عدد ما يحفظه الواحد منهم، والتباهي بالكم، بل جل عنايتهم بالفهم، وبذلك جاءت الآيات والأحاديث، فلما تأخر الزمن صارت أعداد أرقام المحفوظات هائلة، وضعف الفهم، وكثر سرد المحفوظات، وتسميع المتون وصارت مهنة، فأعظم منهج في العلم والعمل هو منهج الصحابة الأخيار، وهو عكوف القلب على النص وإخراج كنوزه بعين البصيرة.

أحكام عامة

غالب الفقهاء لهم اهتمام بالفتيا والقضاء، وهم أكثر مداخلة للسلطان من المحدثين، وغالب المحدثين فيهم زهد وورع وإعراض عن الدنيا ودأب في العلم، وهم أحسن الطوائف. وغالب النحاة فيهم فضول وتيه وعجب وكبر إلا ما رحم ربك. وغالب الفلاسفة فيهم قلة دين وشك في المعتقد، وشبهات وأوهام. وغالب الشعراء أهل هوى وانحراف وضعف إيمان. وغالب النساء قليلات دين، وغالب التجار أهل طمع وبخل وطول أمل. وغالب الأصدقاء عندهم قلة الوفاء ووجد الإحسان ونسيان المعروف:

كل هذا الخلق غر وأنا منهم فاترك تفاصيل الجمل

السجن

من أراد أن يعرف ضيق السجن وشدة معاناة المسجون، فلينظر في قول يوسف عليه السلام ﴿ أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي عند الملك ليخرجه من الحبس. ولم يقلها - مع قوة صبره - إلا بعد شدة وألم وضيق، ولهول السجن ومرارته. وهدد به فرعون موسى عليه السلام فقال: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ وتهدد به الكفار محمداً ﷺ ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ ومعني يثبتوك: يقيدوك ويحبسوك. ثم ذكر يوسف عليه السلام نعمة الله عليه فقال: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾.

فائدة

اقتصر في عدد الصفحات عند التأليف فيما يقارب المائتين صفحة، فالقليل يندثر، والطويل يمل، وعليك بالابتكار والجدة، وحسن التعبير والتحرير، وقد قلت الهمم في قراءة المطولات، والوقت قصير.

الأدب الأعرج

الصحيح في دراسة الأدب أن يختار أجوده وأجمله وهو ما حسن لفظه وعظم تأثيره وسلم من غوائل الانحراف ومزالق الزيغ، وهو

ما يدعو إلى مكارم الأخلاق وينهى عن سفاسف الأمور، وقد درسنا النقائض بين جرير والفرزدق ولم ننتفع منه إلا ضياع الزمان واشتغال القلب بما يؤذي وأحياناً ندرس الغزل عند امرئ القيس ومجنون ليلي وعمر بن أبي ربيعة وهذه دعوة للتبذل والإسفاف، وكان من الحكمة أن يختار لنا ما لذ وطاب من القصائد العذاب المشرقة السائرة البديعة كقصيدة حسان عد منا خيلنا وقصيدة علو في الحياة وفي الممات وقصيدة السيف أصدق أنباءً من الكتب وقصيدة تفت فؤادك الأيام فتا، واعتزل ذكرى الأغاني والغزل، ولكل شيء إذا ما تم نقصان وحكم المنية في البرية جاري وكذا فليجل الخطب ونحو ذلك، أما ضياع العمر وراء الغزل والوله والعشق والغرام وذكر الحبيب والشمث المقذغ والهجو الفاحش والمدح الكاذب وتحصيل الحاصل: كفلان مدح قصر السلطان وفلان يذكر شعر حبيبته وعلان يمدح ناقته وآخر يصف الذئب إذ عداه، إذن فالأدب: خلق وذوق وجمال ودين وفضيلة وأصالة وحياء.

ضعف التدبير

رثيت لطالب أشغل نفسه ووقته في حفظ ألفية العراقي، وكدهنه كذا حتى أشغله ذلك عن القرآن والحديث، وهذا من ضعف التدبير، لأن من استغرق عمره في الوسائل فمتى يصل إلى المقاصد.

خير القرون

كان الصحابة عاكفين على القرآن تلاوة وعملاً، وقد نهى عمر

أباموسى أن يشغل الناس في الكوفة بالرواية عن القرآن، وزجر عمر أيضاً عن كثرة الحديث، ليبقى الاهتمام بالكتاب العظيم، ثم جاء القرن الثاني فبدأت رواية الحديث بكثرة، ثم جاء القرن الثالث فبدأ التأليف في الجرح والتعديل والعلل، ثم جاء القرن الرابع فبسّطت مسائل الخلاف الفقهية، ثم جاء القرن الخامس فأكثر الناس من المختصرات والمتون والشروح، ثم أخذت الأمة تتوسع في الفنون على حساب الاهتمام بالقرآن، فأصبح الفن الواحد فنوناً كثيرة، فالحديث يشمل المتون والرجال والغريب والمصطلح والشروح، فصار القلب مفرقاً في أودية العلوم، فانظر ما أعظم فقه الصحابة وعلمهم وإيمانهم كيف عرفوا المقصود وأقاموا الأصول وقدموا الأهم.

أصدقاء الرخاء

كل الناس في الرخاء أصدقاء وأعوان خاصة لمن كانت الدنيا مقبلة عليه بمنصب أو مال فتجدهم يخدمون صاحب المنصب والمال ولو لم يجدوا عنده نفعاً على أمل أن ينفعهم أو يتزينوا بصحبته، لكن إذا قلبت له الدنيا ظهر المجن تنكر له أصحابه ونسيه أحبابه. والواجب عدم الركون إلى الناس مطلقاً بل الركون إلى الله وحده، فإن الناس سحابة صيف وذباب طمع بل ربما كانوا أعواناً للمصيبة بالشماتة والتشفي وكل منهم إنما يريدون غرضهم منك فإذا وجدوه طاروا عنك إلا أناس يعدون على الأصابع وقليل ما هم، يقول الحريري موصياً ابنه:

لا تغتر بيني الزمان ولا تقل عند الشدائد لي أخ وحميم
 جربتهم فإذ المعافر عاقر والآل آل والحميم حميم
 والمعافر هو الذي يسمر معك والآل الأولى هي القرابة والثانية
 السراب والحميم الأول الصديق الصاحب والحميم الثاني الماء الحار
 المؤذي.

عبيد المال

عرفنا تاجراً كبيراً كان أبخل الناس بماله وأحرصهم عليه
 وأطمعهم في جمعه مع سوء خلق حتى إنه يحاسب عماله على الشيء
 التافه الحقيق ويقتر على أهله وقد أصيب بالشلل فكان يجلس أمام متجر
 له في عربية فينهر السائل ويبخل برد السلام مع كبر زائد، ثم سافر
 للعلاج فمات فجأة غريباً عن أهله وقد حدثنا رجل أمين صادق أنهم
 شروا له كفنًا. ولم ينفعه ماله بل سوف يحاسب عليه درهماً درهماً
 ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ﴾. وعرفت حارساً في مسجد بلغ السبعين من
 عمره ولم يتزوج وليس له قرابة وقد عمل قرابة ثلاثين سنة يجمع رواتبه
 ولا يصرف ريالاً واحداً ويسأل الناس وكان لا يشتري لحماً ولا فاكهة
 ويجمع من الثياب والغتر التي تعطى له أكواماً ولا يلبس إلا ممزقاً
 ولا يأكل إلا خبزاً جافاً إلا إذا أرسل له طعام وأخبرني أحدهم أن عند
 هذا الرجل مبلغاً ضخماً في البنك وكان لا يزكي وكان إذا انتهى من
 الحراسة ذهب إلى السوق يجمع الكراتين الفارغة ويبيعها. ومن التجار
 من حرم أبناءه ما أباح الله لهم من متعة وكان ثرياً مرموقاً، فرفض أن

يشترى لأبنائه سيارات وكان له أخوات متزوجات فقيرات لم يلتفت لهن ولما مات حل موته على أهله وأبنائه كالبشرى وأراحهم الله منه .
وهذه القصص ليست من نسج الخيال فنعوذ بالله من البخل وفتنة المال :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاتته وفضول العيش أشغال

الغزالي

من أحسن كتب الإمام محمد الغزالي المعاصر، كتاب (جدد حياتك) لأنه دعمه بالنصوص والأمثلة . ولي كتاب : (لا تحزن) أحسب أنني جمعت فيه كل ما دار في فلك هذا الموضوع فليراجع .

فتنة المرأة

على العاقل أن يحذر فتنة المرأة وإغراءها وليجتهد في حفظ دينه فقد صح عنه عليه السلام أنه قال : «ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء» فعلى المسلم غض بصره والإعراض عن الصور والمشاهد الفاتنة مع عدم الاسترسال مع المرأة الأجنبية في الكلام وإن اضطر إلى ذلك فبقدر الحاجة بالمعروف وليكثر من الدعاء وعليه أن يشغل نفسه بعمل نافع مفيد مع الزواج وليعلم أن أكثر سقوط العظماء جاء عن طريق المرأة وكان دهاة الأمم إذا أرادوا إسقاط عدو لهم جاءوه من طريق المرأة فإنها مصيدة .

ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وقد عرفنا من فتنته امرأة وهو في الستين من عمره وزيادة.. فوجدنا من اهتدى ثم ترك بسبب المرأة، وسمعنا بمن قتل غيره بسبب المرأة، نسأل الله العافية والسلامة ومنهم من كفر وتنصر بسبب امرأة كما رواه ابن كثير في البداية والنهاية.

مقدمة ابن خلدون

وقفت ملياً مع هذه المقدمة الذائعة الرائعة فوجدت روعةً في البيان وحسن استقراء للتأريخ وسبراً للحوادث من رجل تقلبت به الأيام وصارع النكبات واختلف عليه الليل والنهار فمقدمته فقه للتأريخ وخلاصة لأيام الملوك والدول. وتكرار قراءة مثل هذه المقدمة يمنح القارئ ملكة واعية ناقدة فاحصة والعجب أن تاريخه ما يقارب عشر مجلدات كاد أن يُنسى وعاشت هذه المقدمة وشرقت وغربت حتى حللها علماء غربيون وشرقيون وأجريت عليها دراسات في جامعات أمريكا وبريطانيا وفرنسا، والملاحظ أنك تعود إلى هذه المقدمة فتجدها غضة طرية لما فيها من دقة النظر وسمو العرض وجمال الاستنتاج وخلاصة التجارب فليعلم طالب العلم أن التأليف ليس بالكثرة ولا بالتجميع والنقل البحث بل هو الإضافة والاستنباط والجدة والفقهاء في المنقول والمعقول فيا لهذه المقدمة من كتاب سار مسير الشمس وخلد خلود الحقيقة.

تأملات

لاحظت في الناس انصرافاً مذهلاً عن الدين، فغالبيهم غارقون في مباحج الحياة ومفاتها، أطالع في الصحف والمجلات ووسائل الإعلام فما هي إلا الكرة والفن والسينما والمال والسياسة، أنظر إلى الشارع فإذا هم يلهثون وراء رغباتهم، الأسواق تضح بكل جديد ومغري، المجالس حديثها عن المال والمتعة واللهو، فما عليك إلا بخاصة نفسك، فقد كدت أصاب بإحباط شديد ممّا رأيت من الانصراف والإعراض والصدود.. وأنا منهم، وأستغفر الله.

فائدة

إذا أتعبك الحفظ فاتركه تماماً وعليك بفهم ما تقرأ والعمل به، فإن مغالبة الطبع ومعاكسة النفس لا فائدة منه.

ونيسرك لليسرى

الرسول ﷺ بعث بالحنيفية السمحة ونُهي عن التنطع والتعمق والتشديد على النفس وقد رأيت مشدداً على نفسه وأهله وإخوانه وجيرانه فأصبح بعد التزامه ثقیل الظل جهم المحيّا فظاً غليظ القلب، وما أدري من أين أخذ هذه الأخلاق؟ والقرآن والسنة يدعوان إلى حسن الخلق ولطيف العشرة وجميل الخطاب ولكنه عكس الأمور وقلّب المسألة فتبسّمه نادر وقاموسه مليء بالنقد والسب والتشفي وهيبته مبعثرة شعثة وكان المفروض فيه أن يكون بعد تديته أحسن الناس خلقاً

وأجملهم هيئة وألطفهم عشرة، فليت هؤلاء قرءوا سيرة الرسول ﷺ واتبعوه ليسعدوا ويُسعدوا غيرهم فقد كان ﷺ يمزح مع أهله ويداعب الأطفال ويلطف الناس ويتحمل أذاهم وهو الأسوة الحسنة والمعصوم من الهوى والشيطان فدعونا من فلان وفلان من أهل الزهد والنسك والتصوّف واهلموا إلى الرحمة المهداه ﷺ.

إلى متى هذا التحصيل!؟

بعض العلماء كبر سنه ورقّ عظمه ولم ينشر علمه لا تدريساً ولا فتياً ولا وعظاً ولا خطابة ولا تأليفاً، بل لا يزال يطالع الكتب ويحفظ ما شاء، وقد حجب نفسه عن نفع الناس، أفلا يعلم أن زكاة العلم تعليمه ونشره، وأن تعلمه وسيلة فحسب للعمل به وتعليمه الناس وأنّ معلم الناس الخير تستغفر له النملة في جحرها والحوت في الماء، لماذا هذا الكتمان للعلم والبخل بالمعرفة، وما هذا الدأب في التحصيل مع البخل بالبذل حتى أنك لو جلست معه لأغرب عليك بأسماء كتب لم تسمع بها أنت ولا آباؤك الأولون وعنده من إدمان المطالعة ما يفوق الوصف ونحن نقول له ما هي الثمرة ومتى الإفادة والنفع بالعلم.

لا تمدح نفسك ولا تذرهما

بعضنا يشبه العجم في ذم نفسه وفي تواضعه المكشوف فيقول مثلاً العبد الفقير أحقر عباد الله والعبد المسكين المذنب المقصّر المخطيء أو خادم العلم والعلماء أفقر عباد الله وهذا لا داعي له

ولم يسبق به العمل من السلف الصالح، ويقابلهم قوم يمدحون أنفسهم إما تصريحاً أو تلميحاً فيقول أحدهم ولي في هذا الباب بحوث وكتب وقد حضر درسي جموع غفيرة وقد عجب الناس والحمد لله من حفظي ونحو هذا الكلام وهذا لا داعي له أيضاً وضرره أكثر من نفعه بل قدم نفسك باسمك مجرداً عن المدح والذم وألق عنك ألقاب الثناء والرياء ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ﴿٢٢﴾ وإنما أنت بهذه الألقاب والأوصاف مدحاً أو ذمّاً في عصور البعد عن الدين ومشابهة الأعاجم وقلة الورع والتنافس على الوظائف، وعمر وعثمان وعلي عرفوا بأسمائهم مجردة من مدح أو ذم أضافوه هم لها، بل الله زكاهم والرسول ﷺ ربّاهم والأمة قبلتهم والقلوب أحبّتهم والتاريخ شهد لهم.

أسماء ما أنزل الله بها من سلطان

لم يكن عند الصحابة ألقاب فخمة، ولا إضافات أو صاف باذخة، لأن الله قد أغناهم بما عندهم من صحة إيمان، وجلالة خلق، وعظيم سجايا عن تلك الشارات والألقاب التي ما أنزل الله بها من سلطان، فالصحابية هم المعنى وغيرهم اللفظ، وهم اللب وسواهم القشر، وهم القلب ومن بعدهم القلب. فلما ضعفت صفات النبيل في المتأخرين وسقم النبوغ تشبهوا بالعجم في الألقاب، فهذا شمس الدين، وذاك شمس الأئمة، والثالث درة العصر، وفريد الدهر، والرابع حافظ الدنيا وعلامة المعمورة، وأستاذ الأساتذة، وسواه حجة الإسلام، وإمام

الأئمة، وخاتمة الحفاظ، إلى غير ذلك من التهور الوصفي، والتبذير الشنيع في المدائح على حساب المعاني والحقائق.

دعاء

اللهم إنا نعوذ بك من آفات التصنع ومغبة الرياء وجمع الكبر، ونعوذ بك من خسة البخل ورذيلة التبذير، ومهانة الجبن وصلف التهور، ومذلة الفقر، وبطر الغنى، ونعوذ بك من سَقَط القول وبلادة الحصر، ونعوذ بك من لؤم النفس، وشح القلب، وشر خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، اللهم نق السريرة من النفاق، والبصيرة من الزيف، والقلب من الانحراف، اللهم طهر الباطن بالتقوى، والظاهر بالصلاح، اللهم اهد القلب، وسدد اللسان، وأصلح الجوارح، نشرك على النعمة، ونستغفرك من الخطيئة، ونشكو إليك فقرنا، ونعترف بتقصيرنا، نسألك رضى بالقضاء، واتباعاً للشرع وعملاً بالسنة، ونصرة للحق، وحباً للفضيلة، ورحمة بالمسلمين، اللهم لا تنسنا أمرك فنأمن مكرك، اللهم أفرغ علينا صبراً حتى لا نجزع من مصيبة، وألهمنا شكراً حتى لا نكفر نعمة، وأعطنا حكمة حتى لا نضل عن الصواب.

أمسك عليك لسانك

كررت هذا المعنى كثيراً لأنني رأيت في حياتي أن اللسان أضمر شيء على الإنسان، فكم من رجل حبس في كلمة وآخر جلد لأجل عبارة وثالث فقد رأسه وسال دمه من أجل جملة، هذا في الدنيا،

أما في الآخرة فيكفيك حديث معاذ: «وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» فاحذر لسانك! ولا تتكلم إلا بخير ولا تتعرض لأذية سلطان أو عالم أو داعية أو أي مسلم فإنك سوف تدفع الثمن إما هنا وإلا هناك يوم العرض الأكبر، وتفكر في كلامك قبل أن تنطق به فإنه إذا خرج منك لن تستطيع إرجاعه أو إصلاحه واجعل الناس لك لا عليك وقد كثر الغش وانتشر الحسد وزاد الطمع فأنقذ نفسك من رق كلمة غير نافعة قد تكون سبب كدرك العاجل وعذابك الآجل وانظر لأحمد بن حنبل مع تقواه وورعه ونسكه كان إذا جلس مجلساً قال: اللهم سلّم سلّم. فاطلب من ربك السلامة، فإن الهالكين أكثر من الناجين.

كتب لا أنصح بقراءتها

لا أنصح بقراءة حلية الأولياء لأبي نعيم، وصفة الصفوة لابن الجوزي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي، وإحياء علوم الدين للغزالي، لأن فيها مبالغات لعباد ليسوا علماء، وفيها شطحات صوفية، وتكلفات ليست من دين الفطرة، فبعض العباد لا ينام الليل، وآخر لا يأكل الرطب، وثالث يصلي في اليوم أربعمائة ركعة، وآخر يختم القرآن في اليوم مرتين، لماذا يا قوم لا نكتفي بالسنة، ونتعلم مع القرآن الأحاديث الصحيحة، ونترك بنيات الطريق، يقول صاحب المنهج: «من رغب عن سنتي فليس مني».

صلاة الفجر

معيار صلاح الناس وقيامهم بالدين صلاة الفجر جماعة لأنها في وقت راحة بعد سهر، وإذا أردت أن تعرف الناس في حيِّك فراقبهم في صلاة الفجر، ومما رأيناه وعشناه تخلف الكثير عن صلاة الفجر مع عدم المبالاة والندم على ما حصل وما ذاك إلا لموت القلوب، وقضية دعوى التدين والتقوى سهلة لكن العبرة بالعمل والتطبيق فإذا رأيت الرجل مقيماً للصلوات الخمس جماعة ورعاً في منطقه خائفاً من ربه نادماً على خطئه فهذا الذي يرجى له الخير ويبشر به أما المقصر في الصلوات المعجب بنفسه الغافل عن تقصيره فدعواه مردودة عليه ومحبته داحضة وهو من المفلسين، وقد رأينا من يظهر التدين والصلاح فإذا حانت صلاة الفجر خذله شيطانه وهواه ونفسه الأمارة بالسوء عن حضورها جماعة فغبن في صفقته وخسر ثقة إخوانه المؤمنين، ولا تمدح لنا أحداً ولا تزكي لنا عبداً بل أعماله تمدحه وأخلاقه تزكيه لأننا مللنا من الثناء على أناس تطبيق الإسلام عندهم باللسان ولكن إذا حصص الحق في حضور صلاة وصدق في قوله ووفاء بوعد وقيام بواجب فإذا الخذلان والفشل والرسوب ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

رأي الشيخ عبد الرزاق

يقول الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله تعالى، لو كان لي من

الأمر شيء لأحرق كل كتاب ألف إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا يتعجل متعجل لإنكار هذه الكلمة، بل عليه أن يدرسها وأن يقف عندها، وأنا لا زلت أتأملها، لأنها صدرت من عالم يقال: إنه من أعقل العلماء، وقد نسب إلى الإمام أحمد أنه أنكر تأليف الكتب في عهده، فكيف لو رأى عهدنا. وسأفصل الحديث عن ذلك - بمشيئة الله - في موضوع لاحق.

المجد الخالد

ذهبت الدنيا وأهلها وبقي العلم وأهله، فنيت الجيوش وبادت الدول وبقيت كتب العلماء تروي مجدهم أبد الدهر، انظر إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتراثه الخالد الذي هو أنفع للناس من تراث دولة بني أمية وبني العباس والدول التركية، كلامه يقرأ في كل بيت، فتاواه حية في مجالس العلماء، كتبه تزين المكتبات حتى في عصر الإنترنت يدخل اسمه من أوسع الأبواب ومثله كثير من علماء الإسلام فالمجد الخالد إنما هو في اتباع الكتاب والسنة والتفقه في الدين أما الحطام والكسور والدور فهي لهو زائل وعرض مضمحل، فاجتهد في تعلم العلم النافع واسأل أهله واجلس معهم وطالع كتبهم فإن من أحب القوم حشر معهم، وانظر إلى مجد أحمد بن حنبل ومكانته في قلوب الأمة جيلا بعد جيل وقارنه بملوك عصره المعتصم والواثق والمتوكل تجد البون الشاسع مع العلم أن أحمد بن حنبل عاش فقيراً في بيت من طين لا يملك إلا قوت يومه وهؤلاء الملوك كانت جيوشهم تسد الأفق

عندهم خدم لكن ذهب ذلك كله أدراج الرياح:
 كتب الموت على الكل فكم فل من جيش وأفنى من دول
 فيا من عنده قوت يومه ومصحفه مع رياض الصالحين وبلوغ المرام
 عرفت فالزم واعمل بما علمت فإنك في مجد خالد وعيش هنيء.

عش زمناً بلا قراءة

عش زمناً بلا قراءة ولا مطالعة، متأملاً، متفكراً، متدبراً، لتظهر
 لك بعض الأفكار، وينضج ما عندك من المقروء، وهذا وقت هضم
 للمعلومة كالصيام للمعدة، والتفكير مدرسة العباقرة.

آمنت أن الحب أعمى

في الحديث: (حبك الشيء يعمي ويصم) وقد آمنت لمارأيت
 وسمعت وعشت، تجد من يحب عالماً ويقبل كل ما يقوله ويصحح كل
 خطأ له ويلتمس له كل عذر، فكأنه عنده معصوم لا ينطق عن الهوى
 وتجد من أحب شاعراً فافتتن بشعره، فقصاصه ولو كانت قطعاً من
 الثلج تحف من الماس وحبات من اللؤلؤ، وتجد من أحب امرأة
 وعشقها كأنه عابد صنم يهيم بها، ومنهم من مات في حبها، فعلمت أن
 الحب لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إذا تمكن، فخطايا الحبيب
 حسنات وجرحه بلسم:

إن كان سرکم ما قال حاسدنا ما لجرح إذا أرضاکم ألم

وغلطة الحبيب لها تأويل وإساءته لها وجه آخر، وقليل إحسانه كثير مبارك فيه :

ويقبح من سواك الفعل عندي فتفعله فيحسن منك ذاك
 هذا هو طالب يحب شيخه فيصفه بالحفظ فإذا هو علي بن
 المدني. فإن حفظ شيخه الأربعين النووية نسب له حفظ الكتب الستة
 بأسانيدھا ومتونها، وإن قرأ زاد المستقنع أضاف إليه قراءة المغني
 خمس مرات من كيسه ثم يصف لك فهمه وزهده وورعه لأنه يتكلم
 بلسان المحب الهائم. وبالمقابل فالبغض قاض جائر وسلطانه ظالم
 يحرق حسنات من أبغضه، مناقبه عنده مثالب وصدقه خداع وتملق
 وحسن خلقه نفاق ودينه تستر وغناه غش وعلمه قعقعة :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا
 فيا عباد الله! العدل في الحب والبغض والرضا والغضب ونعوذ بالله
 من الهوى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

تجربة

قرأت مئات من كتب الفكر ودخلت مثلما خرجت، كلام بارد في
 الغالب، وإنشاء ولا دليل ولا تحليل، بل هي أقرب بمنهج علماء
 الكلام، ﴿شَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

أحاديث ظاهرها التعارض

* حديث الحكم بن عمرو: «نهى رسول الله ﷺ أن تغتسل المرأة بفضل الرجل، أو الرجل بفضل المرأة، وليغتربا جميعاً» رواه أبو داود والنسائي.

وعارضه حديث ابن عباس «أن النبي ﷺ كان يغتسل بفضل ميمونة» رواه مسلم.

والجمع بينهما أن يحمل حديث الحكم على كراهية ذلك لغير حاجة، وحديث ابن عباس جوازه للحاجة.

* وحديث أبي سعيد: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم» متفق عليه.

وعارضه حديث سمرة بن جندب: «من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل» رواه الخمسة ويقدم حديث أبي سعيد لأنه أصح وأصرح، فغسل الجمعة واجب.

* حديث جابر: (أن أعرابيا سأل النبي ﷺ عن العمرة أواجبة هي؟ قال: «لا، وأن تعتمر خير لك» رواه أحمد والترمذي.

عارضه حديث أبي رزين العقيلي: «حج عن أبيك واعتمر».

ويقدم حديث أبي رزين لأنه أصح من حديث جابر.

* حديث أبي قتادة: (لما أهدي للرسول ﷺ حمار وحشي وهو محرم فقبله) متفق عليه.

وعارضه في الظاهر حديث الصعب بن جثامة: «لما رد النبي ﷺ

حماره الوحشي، وقال «إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم» متفق عليه،
 فيقال: حديث أبي قتادة لم يصد لأجله ﷺ، وحديث الصعب
 صيد لأجله..

* حديث عثمان: «لا ينكح المحرم ولا ينكح» رواه مسلم.

عارضه حديث ابن عباس «أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو
 محرم». متفق عليه.

يقدم حديث عثمان لأن حديث ابن عباس وهم، وعند مسلم عن
 ميمونة نفسها «أن رسول الله ﷺ تزوجها وهي حلال».

* حديث ابن عباس أن النبي ﷺ «رد ابنته على أبي العاص بن الربيع
 بعد ست سنين بالنكاح الأول ولم يحدث نكاحاً» رواه أهل السنن إلا
 النسائي.

عارضه حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «أن النبي ﷺ
 ردها بنكاح جديد». رواه الترمذي.

والمقدم حديث ابن عباس لأنه أصح وعليه العمل.

* حديث حكيم بن حزام: (لا تبع ما ليس عندك). وحديث ابن عباس
 «أن الرسول ﷺ رخص في السلم».

فيقال: إنما أجزى السلم وهو بيع ما ليس عنده لأنه في كيل معلوم
 ووزن معلوم إلى أجل معلوم.

* حديث طلق بن علي في مس الفرج: «إنما هو بضعة منك» رواه
 الخمسة.

وحديث بسرة بنت صفوان: «من مس ذكره فليتوضأ» رواه الخمسة.

ويجمع بينهما أن حديث طلق في المس العام الذي لا يحرك الشهوة، وحديث بسرة في المس الخاص الذي تتحرك به الشهوة.

* حديث أبي سعيد: «الماء من الماء» رواه مسلم، وحديث أبي هريرة: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل».

فيقال: حديث أبي سعيد في الاحتلام، وحديث أبي هريرة في الجماع.

* حديث أبي بكر: (أنه ركع قبل أن يصل إلى الصف ولم يأمره ﷺ بالإعادة) رواه البخاري.

وحديث وابصة بن معبد (أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يصلي خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

فيقال: حديث وابصة فيه النهي عن أداء الصلاة وحده منفرداً وحديث أبي بكر إنما أقره على تلك الصلاة لأنه عقد الصلاة وحده وهو في طريقه إلى الصف ثم قال له: ولا تعد.

* حديث ابن عباس: (أنه ﷺ احتجم وهو محرم، واحتجم وهو صائم) رواه البخاري، وحديث شذاد بن أوس: «أفطر الحاجم والمحجوم» رواه الخمسة إلا الترمذي.

فالعامل على حديث شذاد لأن حديث ابن عباس وهم كما ذكر ذلك أحمد ويحيى بن سعيد الأنصاري، والصحيح احتجم ﷺ وهو محرم وليس فيه وهو صائم.

* حديث سمرة بن جندب أن النبي ﷺ (نهى عن بيع الحيوان بالحيوان

نسيئة) رواه الخمسة .

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص : (أنه كان يأخذ البعير بالبعيرين إلى إبل الصدقة بأمر رسول الله ﷺ) رواه الحاكم والبيهقي

يقدم حديث ابن عمرو لضعف حديث سمرة، وبعضهم قال: معنى حديث سمرة: لا يباع حيوان غائب بغائب، وهو بيع الكالئء بالكالئء، وعلى هذا فلا تعارض .

* حديث معاذ بن أنس أن النبي ﷺ (نهى عن الحبة يوم الجمعة والإمام يخطب) رواه أبو داود والترمذي، وقالوا: حديث حسن . .
وحديث شداد بن أوس: (رأيت أصحاب رسول الله في بيت المقدس يوم الجمعة محتئين).

يقدم حديث معاذ لأنه أصح وأصرح ولأنه قول .

* حديث أبي موسى في الصحيح قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان» (وشبك بين أصابعه) وحديث كعب بن عجرة في السنن: (إن الرسول ﷺ نهى أن يشبك الرجل بين أصابعه إذا أتى المسجد).
فهنا يحمل حديث أبي موسى إلى أن هذا وقع بعد الصلاة أو أنه لحاجة التعليم جائز، ولغير الحاجة ممنوع . .

* حديث أنس في الصحيح: (أن فخذ النبي ﷺ تكشفت يوم خيبر) وحديث جرهد مرفوعا: (غط فخذك فإن الفخذ عورة).

يحمل حديث أنس على أنه وقع من الرسول عن غير قصد .

وقال البخاري: حديث أنس أسند، وحديث جرهد أحوط .

* حديث عائشة عند مسلم: (ماذا أقول يا رسول الله إذا زرت المقابر، فعلمها ﷺ الدعاء)، وحديث أبي هريرة عند الترمذي: (لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور).

فحديث عائشة لمن زارها اتفاقاً لا قصداً، وحديث أبي هريرة من قصد ذلك وتعمده.

* حديث ابن عباس: (سقيت النبي ﷺ من زمزم، فشرب وهو قائم) متفق عليه. وحديث أنس: (نهى النبي ﷺ أن يشرب الرجل قائماً)، رواه مسلم.

فيقال: حديث أنس النهي في طلب الأكل والأحسن، وقيل: يجوز واقفاً للحاجة كزحام، كما عند زمزم ونحوه، ويكره لغير حاجة.

* حديث عائشة في الصحيح: (كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر بغلس)، وحديث رافع بن خديج مرفوعاً: «أصبحوا بالصبح، فإنه أعظم لأجوركم» رواه الخمسة.

فقيل: حديث عائشة يدل على أنه صلاها في أول الوقت، وحديث رافع يدل على الانتظار بها حتى يطلع الفجر. وقيل: يطيل القراءة حتى يسفر.

مع الكتاب

ما قرأت لأحد من المتقدمين والمتأخرين أجمل بياناً وأندى لفظاً، وأعمق معنى من الجاحظ، إنه نادرة الزمان في صياغة الحرف،

وأعجوبة الدهر في نسج الكلام، غير أنه رقيق دين صاحب مضادات وأوهام وشكوك، أما أحمد حسن الزيات من المتأخرين فكتابه ندية باهرة خلاصة، وما أروع تقابل الفواصل، واستقلال المقاطع، واختيار الجمل.

وأما طه حسين فسلس العبارة، مستطرد النفس، حالم الخيال، لكن الرجل صريع الشبهات.

أما العقاد فله من اسمه في أسلوبه نصيب، وكأن كلامه شعر الفرزدق قوة في جفاف، وعمق في يبس.

وأما الرافعي فغاية في طول النفس، وربما أغرب، وهو أمة وحده في هذا الفن.

وأما سيد قطب فبديع الإنشاء، لكنه مسهب مكرر يعيد الجمل كثيراً.

وأما الطنطاوي فله سحر الحلال يدهش العقول، وهو قادر على استنزاف دمع العين، وحزن القلب بما يكتب، وهو عندي منقاد الخاطر، طلق البديهة، متدفق القلم.

وأما محمد الغزالي المعاصر فله قاموس خاص، فيه جلال وهيبة، وهو يجبر الذهن على التلفت، وإنه لحسن الإيقاع، رخيم العبارة.

وأبو الحسن الندوي له مدار في العبارات لا يتعدها مع اهتمام بالتفخيم والتضخيم والتهويل، مع مسحة من الروحانية الزاكية.

سنة

لابد للعلماء والشعراء والمؤلفات المتميزة من مضادة ومناذرة حتى تشتهر وتذاع وتعرف، كما قال المتنبي:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
وهذه سنة، وانظر في أحوال علماء الأمة وشعرائها الكبار
ومؤلفاتهم المؤثرة، أما العادي فهو أقل من أن يصادم.

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستشهدون وهم شهود
لقد كان أبو بكر الصديق يدعى باسمه مجرداً بسيطاً سهلاً، وكذلك
عمر وعثمان وعلي وسعد وغيرهم، فهل نقص قدرهم لنقص الألقاب، أم
خف وزنهم لحذف الأوصاف، لا وربى، فهم في العيون والقلوب وبطون
الكتب وعلى رؤوس المنابر وفي حلبات المجامع. فالحذر من الإسراف
المتهاك على أوسمة الألفاظ، والإخفاق في عالم الذات، فإن الله لا ينظر
إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

خاطرة

لا يتذكر الموت أحد في الغالب إلا إذا خلا بنفسه وابتعد عن
الناس وصخبهم وكلامهم، فصار وحده، فاستجمع فكره، وتدبر أمره
وتهيأ لميعاده، أما وهو يكلم هذا، ويجلس مع هذا، ويزور ذاك، فأنى
له التفكير في الرحيل من هذه الدنيا.

فائدة

قد يكون المربي والواعظ أعظم وأنفع من المفتي، فإن المفتي نفعه عند نزول نازلة، وحدث مسألة، لكن المربي دائماً مع الناس، يزرهم عن المعاصي، ويحثهم على الطاعة، ويدعوهم إلى الفضائل، ويلهب مشاعرهم بوعظه، ويستثير همهم بكلامه خاصة إذا أوتي تأثيراً وبلاغة، وقد رأيت مربين في سيرهم ووعاظاً فاقوا كثيراً من الفقهاء المفتين، ونفع الله بكلامهم وإشاراتهم ووعظهم كابن الجوزي والجيلاني والغزالي وأبي معاذ الرازي وغيرهم.

وقفات

لا تخدع بمالك فما لجلج قارون في الأرض إلا ماله، ولا تغتر بحالك فما قتل الحلاج إلا حاله، ولا تركز إلى المنصب فنصب المنصب أنصب فرعون، وأشرف أبو جهل بالشرف على الهاوية، والتهب أبو لهب بنار الزعامة، وما ضر بلالاً لونه الأسود لأن قلبه أبيض، وما أضر سلمان نسبه الأعجمي لأنه تبع النبي العربي، وما قعد بابن مسعود فقره لأن غناه في قلبه، وما نقص أبو ذر من البر ذرة، لأن وزن الجبال من اليقين في قلبه، سبحان من إذا ذكرته ذكرك، وإن شكرته زادك، إن توكلت عليه كفاك، إن فوضت إليه وقاك، إن سألته أعطاك، إن افتقرت إليه أغناك، انكسار القلب بين يدي الرب خير من ملك كسرى، وقصر الظهر ساجداً له أروع من سلطان قيصر، لو عمرت

قلبك باليقين ما أعجبتك قصور السلاطين، إذا أراد الله هلاك نملة ريشها، وإذا قدر موت دودة أنعشها، الماعز حتفها في ظلها، والثعبان حياته في سمه، سلم للمقدور بالحذر، واترك المحذور ولا تعتذر بالقدر، القدر للمصائب لا للمعائب، فلا تكن جبري المعصية، قدي الطاعة، خارجياً مع الناس، مرجئاً مع النفس، معطل الصداقة مع إخوانك، ولكنك غال في حقوقك على أقرانك، ناصب نفسك العدا، وارفض المدح فهو للنفس ردى، أرسل خالد إيمانك على جعد شيطانك بسكين التوحيد، ومزق شهواتك فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها، وناد في أعمالك الصالحة ضحوا تقبل الله أضحيتكم، أنت حنبلي المحنة مع الدنيا، سني الشعائر في المنهج، فما لابن أبي دؤاد البدعة يناديك من مكان قريب، وما لجهم الانحراف يقول هل من مجيب.

تتبع العثرات

من أشأم خصال الرجل تتبع العثرات والفرح بالزلات وتصيد الأخطاء وهذه من علامات سوء الطوية وضعف العقل، ومن نصح نفسه أشغلته عيوبه عن عيوب الناس ثم إن استعداد الناس من أشق الأمور على الإنسان فإنه يعكر عليه حياته ويضيع عليه دينه وتجد عند من يشتغل بالردود على الناس وتتبع غلطاتهم من حاسية النقد وحب التشفي ما يصل إلى درجة الغليان فتصبح غدده مليئة بالسم لا يرتاح حتى يفرغها، فعليك بالبناء ونفع الناس ودع النقد الضار والاشتغال بالعيوب فإن الذباب لا يقع إلا على الجرح، والعبد بحاجة إلى أصدقاء

يدعون له لا أعداء يدعون عليه ويغضونه فعليك نفسك فتش عن عيوبها واتهمها وحاكمها وفي هذا شغل شاغل عن عيوب الناس . ولكن بعضهم أهمل نفسه بل زكاها ومدحها وذبح عنها وهو مليء بالعيوب ثم انصرف إلى إخوانه المسلمين فأكل لحومهم ونشر عيوبهم وفرح بهفواتهم واهتم بالرد عليهم وهذا من الخذلان وقلة التقوى وذهاب الورع ولما كان الجزاء من جنس العمل قيض الله لهؤلاء من كشف عوارهم ونشر عيوبهم ورد عليهم . وبالمقابل من ستر مسلماً ستره الله ومن ذب عن عرض مؤمن قيض الله من يذب عن عرضه جزاءً وفاقاً .

خاطرة

لو ملكت كنوز الدنيا وأنت لا تملك الإيمان والعمل الصالح، فاعلم أنك في شقاء، كان في عصرنا تاجر كبير، يعرفه غالب الناس بثرائه الفاحش، وكان معرضاً عن الله عز وجل، لاهياً غافلاً لعآبا، أصيب بسرطان في دماغه فما ترك طبيباً حتى استشاره، وصرف أموالاً طائلة في العلاج، وما ترك وسيلة للدواء إلا سعى فيها، ولكن هيهات فقد قضى نجه، وفارق الدنيا بلا عمل ولا مال ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ .

لا تظمنن إلى الدنيا

كم من الفواجع والمصائب عشناها ورأيناها ثم نسيناها، كان لي أخ شقيق طلب العلم إلى أن وصل الجامعة فأصابه مرض عضال،

فبترت يده اليسرى ثم لحق بربه بعد أشهر - غفر الله له -، وكنت أظن أنني لا أسلو بعده بالحياة، ثم نسينا!! وأعرف صديقاً لي من قبيلتي كان في مكتمل القوة والصحة، أصابه مرض خطير مفاجيء أقعده، ثم لحق بربه وخلف أهله وأسرته وبكوه، ثم اشتغلوا بالحياة، وكان لنا صديق في الجيش برتبة عالية أصيب فجأة بجلطة، فصارت الدنيا في عينيه سوداء، وضافت به الأرض بما رحبت، ولي صديق محب طالب علم له ابن بلغ السادسة عشرة خرج فجأة فصدم بسيارته وفارق الحياة، فوقع المصاب في سويداء القلب، ثم سلا أهله.

وكم رأينا وكم عرفنا وكم سمعنا من المصائب والكوارث والأحداث ولا نجاة:

ومن كلمت فيه النهى لا يسره نعيم ولا يرتاع للحدثان

في عصر الكمبيوتر

ما عاد لطالب العلم الذكي نشاط في التأليف مع عصر الكمبيوتر، فتكالب الناس عليه وتركوا الكتاب، وهو في تطور دائم، مع سهولة الاستعمال، ودقة الضبط، وتوفير الوقت، وقد ترك هذا الجيل كتب الجهابذة وأعرضوا عنها، فكيف بكتبنا نحن؟!.

مَثَل

هناك مثل عند الألمان يقول: السعيد من ينسى ما لا سبيل إلى تغييره. فالشيء الذي وقع وانتهى ليس هناك أجمل من تناسيه وطرحه

من الذهن، وعدم ذكره والتحدث عنه، فهذه هي السعادة، ورباطة الجأش.

القواعد الكونية والشرعية في المحن والمصائب

القاعدة الأولى: سنة التغيير والانتقال وتبدل الحال: وذلك أن الله قدر وجود الضدين، فإذا وصل الضد إلى حده انقلب إلى ضده، فالليل إذا أخذ مقداره، وأنهى مشواره عقبه الفجر، سنة ماضية، وقاعدة دائمة ثابتة، والنهار إذا قضى وقته المحدود، وعمره المعدود دهمه الليل واستولى عليه، لأن لكل منهما أجلاً مسمى، وهذا عام في الساعات والأيام والشهور والأعوام، وفصول السنة، ومواقيت الثمار، والحصاد، والحمل، والصحة، والمرض، والملك، والغنى والفقر، والعسر واليسر، والسرور والحزن، والاجتماع والفرقة، والحب والبغض، والعزة والذلة، والكثرة والقلّة، والنصر والهزيمة، والظفر والإخفاق، وغير ذلك من الصفات والأحوال، لأن هذا ما أراد الله لهذه الدار وما كتبه على أهلها من التقلب في الأطوار على طيلة الأعمار.

فمن هذه السنة الماضية، والحكمة القاضية نستفيد نتيجة عدم دوام الشدة وأنها سريعة الزوال، وأنه لا بد من تغييرها إلى الرخاء، وعسرها إلى يسر، لأنه لو لم يحدث ذلك لكان في هذا نقص لحبل التقدير، ومعاكسة لسنة اللطيف الخبير، وهذا لا يمكن أن يحصل أبداً، ولا يقع هذا مطلقاً، لأن سنة الله لن تجد لها تديلاً ولا تحويلاً. ولولا أنني التزمت في هذه السنن أن لا أذكر أثراً ولا دليلاً من الكتاب

والسنة وكلام الحكماء والأدباء والشعراء لبرهنت على صحة هذه السنة، ولكن خوف الإطالة والإثقال، ولأن من بحث عن هذه الأدلة وجدها وحصلها فلا معنى للإكثار من نقلها هنا.

القاعدة الثانية: أن الشدائد تبدأ كبيرة ثم تصغر، وأن هولها لا يستمر مع عمرها، بل لها صدمة مفاجئة، موجعة في أولها، ثم تبدأ بالضمور والاضمحلال والانحسار كالجرح ينفجر ثم يبدأ في الالتئام حتى يبرأ، فما على العبد إلا الصبر عند الصدمة الأولى، فعندها يكون الاحتساب والأجر، أما ما سوى ذلك فإن السلو يغلب النسيان والذهول وورود الواردات وانشغال القلب فكأن العبد ليس له كسب إلا في الصبر عند اللحظة الأولى، وهي التي يتميز فيها الرجال، ويشرف فيها الأحوال، فمن وقعت به مصيبة فلا يظن أنه سوف يبقى في هذه المصيبة، قبل أن ينجلي ذلك الهول الذي ولف عليه عند حدوثها، وذلك الكرب الذي ألم به وقت نزولها، هذا لا يكون أبداً، فإن المحنة مثل الضيف يغادر المنزل فيختفي شخصه شيئاً فشيئاً إلى أن يغيب، فمن لطف الله وكرمه سبحانه أن وطن النفوس على التعامل مع الشدائد ولو بشيء من المشقة والتعاشيش معها ولو بكثير من العنت، لأن المصيبة ما حلت لتقضي على العبد مثلما يقضي عليه الموت، وإنما نزلت تمحيصاً واختباراً وتهذيباً وتصفية وكفارة وتأديباً.

القاعدة الثالثة: أنه لولا الشدائد ما عرفت قيمة النعم ولا ذوق الراحة، وطعم العافية، فإن أحلى وأغلى ما تكون النعمة بعدما يصاب

العبد بشدة، ولو لم يصب بهذه الشدة لما شعر بما هو فيه من النعيم، ولقضى عليه الملل والسأم والضجر، وذهل عما عنده من الخير، وغفل عما لديه من النعم، ولكنه يوم يصدم بمحنة يستفيق فيذكر أيام الراحة وساعات السعود، فيقدرها حق قدرها، ويعرض عليها بالنواجذ، ويحدث لها شكراً، ويقيدها بالطاعة، وهذا لمن عرف سنن ربه في المصائب.

ولو أن العبد لم تمر به الشدائد لرأيت عيشه مشوباً بالقلق منغصاً بالهموم، لأنه في رتبة دائمة مملّة، وفي هيئة واحدة ثقيلة، فالتبدل من حال إلى حال يعقب لذة وفرحة ونشوة لا يجدها إلا صاحب المحنة، يقول أبو تمام:

والحادثات وإن أصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها
فالصحيح لا يعرف قيمة الصحة حتى يصاب، والمطلق الحر في
الأرض لا يقدر الحرية حتى يسجن، مثلما أن الشبعان لا يجد للطعام
مساغاً حتى يجوع، وكذلك الريان لا يحس بالحاجة إلى الماء حتى
يظماً، والله المستعان.

القاعدة الرابعة: أن مما يخفف على المصاب أن كل يوم يمر به يلقي عن كاهله بعض هذه المحنة ويقربه من الفرج، لأن زمن المحنة محدود بزمن مؤقت لأجلٍ مسمى فكلما مر بالمصاب ساعة فقد سقط عنه تبعه لأنه في طريقه إلى اليسر، فلا يتناول المنكوب الزمن، فإن الفلك يدور لصالحه، وعقارب الساعة تعلن دنو فرجه، والليل لا بقاء له مع النهار، وقد ذكروا أن يحيى بن خالد البرمكي كتب لهارون

الرشيد من السجن: اعلم أن كل ساعة تمر تأخذ بحقها من عذابي وبحقها من نعيمك حتى نلقى الله عز وجل أنا وأنت. وهذا كلام شريف يدل على حصافة العقل، فصاحب المصيبة كلما غربت عليه شمس يوم فعليه أن يفرح لأنه ذهب بجزء من الألم والعذاب، وقد قال عمارة بن عقيل:

نرى كل يوم مر من سوء حالنا يمر بيوم من نعيمك يسلب

القاعدة الخامسة: أن الله الخيار فيما حدث، وله سبحانه الحكمة المطلقة فيما حل، فإن كل ما قدر على المسلم من خير وشر فهو خير له حتى ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن ذلك يعم ما قدره الله على العباد من المعاصي بشرط التوبة والندم والاستغفار والانكسار، فما دام أن كل ما يصيب العبد خير له فكيف يكره العبد الخير ويفر من المصلحة، وليعلم أنه ليس كل محنة تصيبه سوف يطلع على سر الخير فيها، ونكتة المصلحة، لأن هذا ليس من شأنه، إنما هذا من شأن اللطيف الخبير، وعليه القبول والتسليم، فليس الخير هو الذي يظنه العبد دائماً خيراً، وليس الشر هو الذي يتوهمه العبد شراً، ولو كان ذلك كذلك لكان العبد عالماً بالغيب، كاشفاً لأسرار القدر، عارفاً بمواقع القضاء، وليس هذا إلا الله الواحد الأحد ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ ١٣ .

القاعدة السادسة: أنه إذا اشتد الكرب وبلغ غايته ووصل ذروته، جاء الفرج، سنة ماضية وحكمة قاضية، وكانوا يقولون: اشتدي أزمة تنفرجي .

والعرب تقول: إذا استوفى مقداره واكتمل آذن بالرحيل، لتتقلب الحال كما سبق في القاعدة الأولى، فعندما يرى المصاب ازدحام الكرب، وتكاثف الظلمة وشدة المحنة فسوف يفاجأ بزوالها لا محالة، لأن الله ما ابتلى بالمحنة لديمها، وكل شيء يقبل التحول والزوال إلا الواحد المعبود بحق سبحانه، ومن استقرأ التاريخ ودرس العبر وطالع المثالات علم أن اكتمال الشيء نقصانه، ونهايته خاتمته، سواء كان نعيماً أو شقاء كما قال الشاعر:

لكل شيء إذا ما تم نقصان

وقول الآخر:

إذا تم شيء بدأ نقصه ترقب زوالاً إذا قيل تم
وكانوا يقولون: إذا أراد الله إهلاك نملة خلق لها ريشاً فإذا طارت هلكت، لأن طيران النمل غاية الكمال، فإذا وصلت إلى هذه الغاية بدت سنة الله في كل من استوفى حقه بتغير حاله، وتبدل مقامه، لتبقى السنة الإلهية في الكون محكمة ثابتة دائماً، فإذا اشتد ظلام الليل عقبه الفجر، وإذا اكتمل البدر أصابه النقص وإذا تم ضوء الشمس في الظهيرة أدركها الزوال، وكذلك المصيبة إذا تعاضمت وتفاقت فهي بشرى بزوالها وارتحالتها.

القاعدة السابعة: أن العبد إذا أصابه اليأس وانقطعت به السبل، وأظلمت في وجهه الحيل، جاء الفرج ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ لأن العبد إذا انقطع أمله في الناس وتكاثف ليل اليأس في قلبه، انبعثت فطرة الله في قلبه بالرجاء في الله

ضرورة، والرجوع إليه حتماً، والانطراح على عتبات ربوبيته، وسجود القلب في مصلى عبوديته ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ حينها يفرد العبد ربه وإلهه بالرجاء والسؤال والأمل.

وهذا سر التوحيد، فيغيثه الله بالفرج، ويتداركه بالعون، ولذلك قال الشاعر:

فأقرب ما يكون المرء من فرج إذا يشأ

لأن سنة الله الماضية أن لا يخيب من رجاه، ولا يرد من دعاه، ولكن من أشرك معه في المسألة والتوجه لم يحصل على مطلوبه ولم ينل مرغوبه، فإذا أخفق العبد في طلبه من الناس، وأحبط من جهتهم وجد الرغبة في ربه، وأفرد المسألة لمولاه، وعند هذه اللحظة يستجيب الأحد الصمد، فيكشف السوء عن عبده ويزيح الغمة عنه، ويبدله مكان العسر يسرا، ومكان الكرب فرجا، ومكان الغم سرورا، فإذا بدأت تأس من تحقق أمر، ومن حصول مطلوب فاعلم أنه قد دنا الفرج وحصل اليسر، ونزل الغوث، والله أعلم.

الوعظ قضية كبرى

بعضهم يهون من شأن الوعظ ويرى أن الوعظ قصاص لا شأن لهم، وهذا خطأ، فإن الوعظ من سنن المرسلين ومن مهماته الكبرى ﷺ وعظ الناس ﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ وكان في السلف من يعظ ولا يفتي ومنهم من يفتي ولا يعظ وكل له نفع ولم

يهون أحدهم من شأن الآخر ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ﴾ ورأيت للوعظ نفعاً عظيماً يفوق الوصف، فهل تاب من تاب إلا بالوعظ؟ ومن الناس من لو عرضت عليه مائة فتوى لم يلتفت لها فإذا وعظته انزجر ورجع. وكان في الأئمة وعَاظ أَعَادُوا النَّاسَ إِلَى رَبِّهِمْ وَأَصْلَحَ اللَّهُ بِهِمْ ما لم يصلح بكثير من العلماء مثل ابن سمعون وأبي معاذ الرازي وابن الجوزي، فمن فتح عليه باب الوعظ فليلزمه ولا يلتفت لكلام مثبّط وعليه بصحة الحديث وترك الغرائب والشواذ وإصلاح العمل والتوسط بين الخوف والرجاء وعدم إملال الناس.

العزلة النافعة

في العزلة.. البعد عن مواطن الرياء وهو من محبطات الأعمال فإن من جلس وحده لا يجد من يرائي له أما من خالط الناس فإن نفسه تدعوه إلى التصنع وإظهار الفضيلة فإن الإنسان من طبيعته إظهار الحسن من نفسه وستر السيء، والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور، فمع الخلطة تجد العبد يزيّن ألفاظه فإن كان صاحب علم أحب التصدر في الغالب واستأثر بالمجلس وأحب أن يستنار بفهمه وأن ينوه بعلمه وإن كان ذا عبادة أظهر الزهد في الدنيا وتمتم بالتسبيح وتوجع وتفجع عند سماع أخبار العصاة وربما لم يكن بتلك المنزلة من التقوى.

وفي العزلة.. السلامة من الكذب فإن النفس أمارة بالسوء وحب التزيّد في الحديث عادة وجلب الانتباه بغرائب الحكايات وعجائب المنقولات محبب إلى النفوس فلا يزال الشيطان يؤزّ العبد حتى يلمح

القصة ويجنّي الحديث ويذيل الخبر في الغالب وهذا كذب والعياذ بالله .
 وفي العزلة . . الأمان من التهديد والوعيد الذي ينقله الغاوون
 فإنهم يحبون الأراجيف وينشطون للشائعات ويرتاحون لبث الأخبار
 المخيفة من قتل وحبس وحروب ودمار وجوع وتخطيط لكارثة وتدبير
 لحادثة حتى يبقى قلب السامع في مزعجات وتعيش نفسه في خيالات
 ولو كان وحده لرضي بموعد الله من الكفاية وتفويض الأمر إليه
 والتوكل عليه والقرب منه .

وفي العزلة . . السلامة من صلف المتكبرين وإعراض المتجبرين
 وزهو المختالين، فإن من الناس من يستهين بمن خالطه أو صادقه
 بغلظته وفضاظاته وزهوه وعتوه وكبره وفخره وخيلائه ودعاويه فإن
 سكتَ له أذلك وإن عارضته عاداك وجافاك وقلاك فإياك إياك .

وفي العزلة . . النجاة من عيون الحاسدين وأبصار الكائدين فإن في
 حديق العيون رصاص يقتل، وسهام تجرح، وقذائف تدمر، فله كم من
 نعمة سلبت بعين نظرت وكم من موهبة أهدرت بلحظة عين أرسلت
 والسلامة لا يعدلها شيء ومن تعرض للعيون رشقته ومزقته فكم من
 حاسد ملأ قلبه الطمع وخيم على روحه الجشع يفتك بنظراته ويقتل
 بلحظاته .

وفي العزلة . . تذكر الذنوب والتفكر في العيوب والاشتغال بنقص
 النفس عن نقص الناس فإن من اعتزل ظهرت له أخطاؤه لأنه لا يرى
 أخطاء الآخرين وبدت له عيوبه لأنه شغل بها عن عيوب العالمين

فتجده بين ندم على ما فات يستفرغ دموع عيونه وآهات قلبه وبين عمار لوقته في الطاعة وتديبر لمستقبله واستعداد لرحيله وتهيؤ لانتقاله .

وفي العزلة . . إسقاط الحقوق عن النفس والواجبات عن الشخص فإن الناس لا يعذرون لأنك إن زرت فلاناً وتركت علاناً عتب عليك ونفر منك ولكن لو عودت الجميع ترك فضول الزيارة إلا في الواجبات الشرعية عذرك الجميع وعفواً عنك .

الحشو في التأليف

إلى متى هذه الرسائل المكررة في الماجستير والدكتوراه، التي امتلأت بها الرفوف، وأشغل بها طلبة العلم، ولو صرف الطالب جهده في فهم كتاب من كتب سلفنا وتلخيصه ونوقش لرأيت العجب العجاب بدل هذه الجزئيات، ونفخ المجلدات، والتشبع بهذه المكررات، وقل لي بربك لو كلف طالب الدكتوراه بدراسة وفهم تفسير ابن كثير، أو المغني، مدة أربع سنوات ليلاً ونهاراً، أليس أنفع له من تحقيق تأريخ أصبهان، والعالى والنازل، والمؤتلف والمختلف، أو البحث في مسألة المدبج والمضطرب، والرواية الشاذة، فليت طلبة العلم اتجهوا لأمهات الكتب دراسة وفهماً وتدبراً، كنت رأيت علماء فقهاء، أما تبديد الجهد في الجزئيات، وإتخام المكتبة برسائل لا يقرؤها أحد ولا يدري بها بشر، فهذا هو تمزيق الجهد وتضييع العمر، والله الموفق .

توقير الصحابة واجب

إذا رأيت الرجل ينال الصحابة أو أحدهم فاتهمه على الإسلام وأنفض يديك منه فإن هذا النيل علامة مرض في القلب وخور الضمير ورذالة النفس لأن الله زكاهم والرسول ﷺ رباهم وقد شهدوا التنزيل وعرفوا التأويل فمن تعرض لهم بعد هذا فقد أراد الله هوانه وكتب خزيه وحل به سخطه ومقته فالله الله في الدفاع عنهم والذب عن أعراضهم، وتوقيرهم ومعرفة مناقبهم والعيش مع سيرتهم العطرة الفريدة والترضي عنهم وحبهم وحسن الظن بهم وبغض من أبغضهم. واعلم أن من هوان الرافضة على الله سبهم لأصحاب محمد ﷺ وهذا العمل الشنيع من الرافضة والتصرف الفظيع لا يتم إلا بخذلان من الله فقاتل الله أعداء الصحابة وقطع دابرتهم وزلزل دورهم وخسف بهم الأرض من تحتهم كيف يجترئ قلب باتهام الصحابة؟! وهم آيات في الطهر نجوم في المثل قصص في التضحيات ملاحم في البطولات أحاديث في المناقب..؟ اللهم إني أحببت الصحابة فاحشرنني معهم يا أرحم الراحمين.

نتائج بحث

بحثت عن العلماء فإذا قليلهم عامل مخلص، وطوائف منهم وقعوا في الجدل والحسد والمباهاة وحب الدنيا، بحثت عن الشباب فإذا غالبهم وراء الرياضة والفن والمغريات، بحثت عن التجار فإذا التعامل المحرم والربا والغش والتحايل وإهمال الدين، أما العامة فغالبهم جهلة قعدت بهم هممهم عن طلب العلم والسؤال عن دينهم،

وغالبيهم وراء الدنيا والقييل والقال والفنون الشعبية، أما النساء فجلهن في غفلة مع سوء عشرة، وتعرض لفتنة، وتضييع حق، فغفوك يارب.

توسط في الأمور

رأيت من يتأنق في لباسه ويتعب نفسه في هندامه حتى أصبح يخدم لباسه بدل أن يخدمه هذا اللباس، فلا تزين تزين المرأة ولا تتبدل تبدل المملوك بل توسط بين ذلك مع النظافة وطيب الرائحة. ورأيت من الشباب من يتمشلق ويلبس بشتا بين الناس فيجلب نظر الناس ويشتهر به وهو ليس ببارع في علم أو عبادة أو منصب وفي الجمع من هو أرفع منه ولباسه كلباس عامة الناس. ومنهم على الضد من ذلك يلبس ثوبا باليا وغترة متهالكة مع بعثرة الهندام وشعث الرأس واللحية ليخبرنا بأنه عالم الزهاد وبركة العباد. وخير الأمور أوساطها وما أحسن مسaire ما عليه غالب الناس في اللباس لأن الشهرة فيه مذمومة والتكلف ممقوت سواء في اللباس أو غيره. فإن الصحابة لما أطحوا التكلف نفع الله بعلمهم ووعظهم وعاشوا اليسر ونحن تكلفنا في غالب أمورنا فمنا من إذا وعظ زوق الكلام وأغرب على الناس وأظهر من الخشية ما ليس في قلبه واشتكى من تقصير الناس وهو على شاكلتهم ومنا من يقتحم الفتيا بلا ورع لكن خشية أن ينسب إلى التقصير ومنا من إذا ذكر الحديث سرد أسماء من خرج من الأئمة في كتبهم طلباً للعلو والزلفى عند الناس والحظوة لديهم ليكبر في عيونهم وهذه معاملة غير الله وقل أن ينفع هذا الوعظ والفتيا والتدريس لأنها بلا روح.

فسبحان العالم بما في القلوب! ورحم الله امرأً أصلح سريرته.

متاع الغرور

أعرف تاجراً كبيراً جمع من الدنيا ما لو وزع على أهل مدينة لصاروا أغنياء، أصابه شلل ثم نقل من مدينته إلى مدينة أخرى ليتعالج فمات فجأة بعيداً عن أهله وأولاده، فتصدق عليه أحد المسلمين بكفن، فسبحان الله ما أحقر الدنيا، وأحقر من اغتر بها ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ ١٨٥ .

احذر التجريح

أنهاك نهياً جازماً عن التجريح وهو غمز وهمز الهيئات والجمعيات والشخصيات لأن هذا مذهب متصيد العيوب متطلب العثرات وبهذه الطريقة يكون الناس كلهم لك أعداء وتخسر الناس بثمن بخس فعليك بالبناء ولا يكن همك النقد واثن على الجانب المشرق في حياة الناس . أما الرد على المبطل فبقدر دفع شبهته ومنع بدعته ودحض باطله وحماية الملة وصيانة الدين وما زاد على ذلك فلا خير فيه ولا نفع من ورائه . وفي عيوبنا شغل شاغل لنا عن عيوب الناس ، واعلم أن من اشتغل بعيوب الناس وخطاياهم قيص الله من ينش عن عيوبه ويهتك ستره ويظهر عواره جزاءً وفاقاً . ومن ذب عن أعراض المسلمين وقبل عذرهم وأحب سترهم جند الله له من يذب عن عرضه وينشر محاسنه ، ويثني عليه . واعلم أن الاحتمال دفن للمعائب وأن الجزاء من جنس العمل .

النجاح يبدأ بحسن القصد أولاً

وهو أن ينوي العامل الخير ويريد الفعل الجميل فلا تنطوي نيته على فساد أو فعل مشين ضار يضر بنفسه أو بالناس حوله من أقوال السوء وأفعال الشر فإن النفوس الشريرة ليست ناجحة بل هي ضد النجاح فليس كل من أثر في الناس وترك تاريخاً وصياً ناجحاً بالضرورة فلست أرى الحجاج بن يوسف وأبا مسلم الخرساني والحاكم العبيدي الفاطمي ناجحين ولو أنهم تركوا آثاراً وقدموا أفعالا لأنهم أساؤا السيرة وأخطأوا في أعمالهم وكذلك هتلر النازي ولينين وستالين وماوتسي تنج والشيوعيون، فليست الشهرة والظهور هو النجاح فإن الشيطان من أشهر الشخصيات لكنه الغاوي الأكبر في العالم. وكم من رجل مغمور لا يعرف وهو ناجح كبعض العباد والتجار والفلاحين والزهاد بل قد يكون الخمول وعدم الصيت من أسباب نجاح هؤلاء، إذاً فالقصد الحسن وإرادة الخير هو العامل الأول في النجاح ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾.

فقه التاريخ

ينبغي لمن يقرأ التاريخ ألا يكون همه المتعة فحسب من سماع الأخبار ولكن عليه بالاعتاظ من قصص التاريخ فإن الله قص علينا في كتابه لتتعظ. ثم على القارئ أن يتعرف على سنن الله عز وجل في الأمم والدول والملوك فيحلل ما يقرأ ويجمع القرين إلى قرينه والشبيه

إلى شبيهه ليكون ذا بصيرة ووعي فمثلا يطالع تطبيق سنة الله في الأمم وهي أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله، فينظر في التأريخ ليجد قصصاً كثيرة تؤيد هذه القاعدة فكم من ماكر حبك لغيره ومكر بسواه فعاد مكره على نفسه وصرع بمثل ذاك المصرع. ومثل قاعدة: إن الله لا يصلح عمل المفسدين. يجد في التأريخ أمثلة على ذلك كالدعوات التي قامت على الفساد والخراب فإنها انتهت إلى البوار. ومثل قاعدة فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا فإن الظلمة إذا بالغوا في الظلم ووصلوا إلى ذروته حل بهم الدمار ولحقهم الزوال وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ تجد أن هذه القاعدة لا تتخلف ولا تتبدل على مر التأريخ تجد أن أصحاب الدول وسادتها إذا بلغوا في الفساد ذروته والترف نهايته أصابهم داء الأمم قبلهم فحل بهم الوعد الأكيد من الدمار والخراب.

فعلى من طالع التأريخ أن يعي ما يقرأ ويطالع قدرة الله في خلقه من ولاية وعزل وإكرام وإهانة ونصر وخذلان. أما قراءة التأريخ لمجرد الاطلاع والمتعة فالكل يجيدها وهذه لا روح فيها ولا فقه. ثم إن في قراءة التأريخ مسألة الاعتبار والعظة فيتعظ القارئ بما يقرأ فتردعه قراءته عن الظلم لما يرى من أحوال الظلمة ولا يركن إلى الدنيا لما يرى من تقلبها بأهلها وعليه بالزهد فيها لما يعلم من سرعة زوالها، ويتنظر الفرج إذا حل به كرب لما سمع من حصول اليسر بعد العسر ولا يغبط أهل المناصب والجاه والمال لعلمه أنها عارية وليصلح عمله فهو الباقي معه ثم لينظر فيمن ذهب من الأمم بقيت أخبارهم وسيرهم

إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فليجتهد في إصلاح عمله وحسن خلقه :
وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

تأليف الكتب

غالب من ساهم في إبعادنا عن النصوص، بحسن نية، حينما أتى ليشرح النص، نجح نجاحاً كبيراً باهراً، في قطع صلتنا بهذا الفيض الغامر المتدفق من الكتاب والسنة. ولقد أصاب العالم الكبير عبد الرزاق عفيفي وكان من أعظم صفاته رجاحة العقل وسداد الرأي، أصاب في أمنيته أن لا يكون هناك إلا قرآن وسنة خالصة من كلام الناس، بل ذهب إلى اقتراح رمي كل كتاب غير الوحيين في البحر، وكنت أستغرب هذا الرأي حتى غامرت في قراءة الشروح والتفاسير والتعليقات والردود، فإذا بي أبتعد رويداً رويداً عن مصادر العلم النافع ومنابع الهداية الربانية كتاباً وسنة، ولو لم أعش هذه التجربة لما أعجبني قول الشيخ عبد الرزاق هذا.

وقد قالوا في مجال التجارب إن مكتشف الكهرباء توماس أديسون جرب مئات البطاريات قبل اكتشافه الكهرباء وكل هذه البطاريات كانت غير صالحة لهذا الاستكشاف، فقيل له: أضعت العمر والجهد في هذه البطاريات، فقال: لقد استفدت من هذه التجربة أن هذه البطاريات لا تصلح مرة ثانية، فارتحت من العودة إليها، وعن طريق هذا الإخفاق وجدت النجاح.

لقد كان أهل الفضل والعلم والصلاح إلى عهد قريب يتناولون الكتاب والسنة تناولاً سهلاً ميسوراً بلا شرح ولا حواش ولا زيادات، وانظر إلى تأليف الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة في تقيدهم بالنص وبعدهم عن الحشو، وعلى هذا سار كثير من أهل العلم في تركهم الإسهاب عند تقرير النص تدريجاً وتعليماً، ولن أنسى رجلاً صالحاً كان من أهل القضاء قديماً وهو من بقية السلف في هديه وسمته وكان إماماً في الملز بالرياض وكان أعمى فطلب من طالب علم أن يقرأ علينا بعد كل عصر أحاديث من رياض الصالحين، فكان الطالب يقرأ علينا الحديث مجرداً بلا تعليق ولا شرح، فتنشط أرواحنا، وتخشع قلوبنا، وتنشرح صدورنا، ثم بدا لهذا الطالب أن يعلق على كل حديث يشرح لنا كلام الرسول ﷺ أفصح الناس فلما شرع يشرح زجره الشيخ وصاح به: دعنا من كلامك، اقرأ الحديث فقط ويكفي.

وهذا هو الصواب، لأن الحديث ما هو إلا كلام من بكى لوعظه المنبر وهو من عود، والحديث غني بروايته وإشراقه وجماله عن بسط أكن وعن شرح متحذلق إلا ما دعت إليه الضرورة الملحة.

ووفد من القويعية رجل عابد زاهد حافظ للقرآن طال عمره في الطاعة يدعى هميجان القحطاني فلما صلى مع أحد الأئمة في الرياض قام بقراءة بعض الأحاديث، ثم أخذ هذا الإمام يحلل الكلمات لغويّاً، فصاح هذا الرجل: هذا حشو، وقام من المسجد.

إن فكرة تأليف الكتب غير القرآن والسنة فكرة طارئة تكلم فيها

بعض العلماء، فقد نقل عن الإمام أحمد بن حنبل أنه أنكر تأليف الكتب، وكره ذلك، والأصل في هذا منعه ﷺ كتابة حديثه ثم إذنه بعد ذلك للحاجة وهذا في الحديث خاصة، وهو كلام المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وفي حديث صحيح: «إنما ضل بنو إسرائيل لما كتبوا كتابا وتركوا التوراة» ولما رأى عمر رضي الله عنه رجلا يقص على الناس من كتاب دانيال ضربه بدرته، وقال: تقص علينا من كتاب دانيال، والله يقول: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ولم يكن عند الصحابة كتاب غير القرآن، وكانوا يحفظون الحديث عن ظهر قلب حتى عصر التابعين..

دراسة الأدب

ليت الطلاب لا يدرسون نقائص الفرزدق وجريير لأن فيها قاموس الشتم والسباب والقذف والفحش، والطالب بحاجة إلى سلامة ذوقه وطهارة ضميره من ساقط القول ومرذول الحديث. وأحسن من نقائص جريير والفرزدق قصائد الكرم والشجاعة والصبر والزهد والإحسان إلى الناس وهذا متوفر في أشعار العرب المحفوظة. وما أدري ما هو مقصد من قرر على الطلاب هذه النقائص والهجاء المقذع؟ أليس هذا عدوان على الأدب وثلم للدين وخرم للمروءة فأين العقل والدين؟.

يقولون لي: فيك انقباض

هذه قصيدة العلامة القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز

الجرجاني الأديب النابغة حسنة جرجان، وفرد الزمان، ونادرة الفلك، وإنسان حدقة العلم، ودرة تاج الأدب، جمع بين خط ابن مقلة ونثر الجاحظ ونظم أبي تمام وقصيدته هذه هادرة بالقيم مليئة بالشمم مرصعة بالهمم، وهي بديعة ذائعة، فريدة رائعة، عجيبة شائعة إنها تثب إلى قلبك مباشرة وتغوص إلى أعماقك وتساغر في دمك وتصل إلى خلدك في سرعة الضوء ورقة الغيث وديب السحر، إنها مسك وعنبر وياقوت وجوهر وريحان معطر ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ أدعها بين يديك فاقرأها بلا ثور، وارجع البصر هل ترى من فطور، ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي القارىء فليسافر مع شوارد الإيمان يوم يرسلها العلماء الأفاذ في سماء المثل وفي دنيا السجايا الحميدة، إنها قصيدة أخاذة ثائرة خلافة فيها أسرار وحديث لا ينتهي وشجون لا تنقضي وذكريات تمور مور الموج الصاخب الهادر الغاضب وتمر مرّ السحاب المتدافع المتلاحق وتسعى سعي الرياح الهائجة. وهكذا فليكن الشعر عذوبة ورقة ومخاجة وجزالة، وسمواً ونبلاً وإيحاءً وتأثيراً، والآن أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه وأترككم مع القاضي الشاعر المؤثر الجرجاني:

يقولون لي: فيك انقباضٌ وإنما
أرى الناسَ مَنْ داناهم هانَ عندهم
ولم أقضِ حقَّ العلم إن كنت كلما
وما زلتُ منحازاً بعرضي جانباً
إذا قيل: هذا منهلٌ قلتُ: قد أرى
رأوا رجلاً عن موقفِ الدُّلِّ أحجماً
ومن أكرمته عزة النفس أكرماً
بدا مطمعٌ صيرتُه لي سلماً
عن الدُّلِّ أعتد الصيانة مغنماً
ولكن نفس الحر تحتمل الظما

مخافة أقوال العدا: فيمَ أو لِمَا؟
 وقد رحْتُ في نفس الكريم مُعظماً
 أُقلِّبُ كَفَيِ إثرَهُ مُتندماً
 وإن مال لم أتبعهُ هلاً وليتما
 إذا لم أنلها وافر العرض مُكرماً
 وأن أتلقَى بالمديح مُذمَّماً
 إليه وإن كان الرئيس المُعظماً
 وكم مغنم يعتدُّه الحُرُّ مغرماً
 لأخدمَ من لاقيتُ لكن لأخدمَا
 إذا فاتباعُ الجهلِ قد كان أحزماً
 يروح ويغدو ليس يملكُ درهماً
 ويصبحُ طلقاً ضاحكاً مُتبسِّماً
 ولو مات جوعاً عِفَّةً وتكرُّماً
 كما حين لم نحرسُ سماه وأظلمَا
 ولو عظَّموه في النفوسِ لعظَّمَا
 مُحيَّاه بالأطماع حتى تجهَّما
 ولا كلُّ فكري مُنجداً ثم مُتهدَّما
 إذا قلتُ: قد أسدى إليَّ وأنعمَا

أنزهها عن بعض ما لا يشينها
 فأصبح عن عيب اللئيم مسلماً
 وإني إذا ما فاتني الأمرُ لم أبت
 ولكنه إن جاء عفواً قبلتهُ
 وأقبضُ خطوي عن حظوظ كثيرة
 وأكرمُ نفسي أن أضاحك عابساً
 وكم طالب رقي بنعماه لم يصل
 وكم نعمة كانت على الحُرِّ نعمةً
 ولم أبتذل في خدمة العلم مُهجتي
 أشقى به غرساً وأجنيه ذلَّةً
 وإني لراضٍ عن فتى مُتَعَفِّفٍ
 بيتُ يُراعي النجم من سوء حاله
 ولا يسألُ المُثربين ما بأكفَّهم
 فإن قلتُ: زندُ العلمِ كابٍ، فإنما
 ولو أن أهل العلمِ صانوه صانهم
 ولكن أهانوه فهانوا ودنَّسوا
 وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفزني
 إلى أن أرى ما لا أعصُّ بذكره

تأملات

للنفس إقبال وإدبار، وإشراق وانطماس، ونشاط وفتور، وخير

ما روضها المسلم عليه هو هدي رسول الله ﷺ، فتعطي النفس حقوقها من المباح وتستوفي حظوظها من الطاعة.

وترك الرسوم والقيوم أقوى للنفس وأيسر عليها، فلا عبادة مخصوصة إلا ما ورد بها الشارع الحكيم، ولا لبسة مخصوصة وكذلك الجلسة والنوم والأكل والأوراد والنوافل، وتخصيص بعض الأوقات ببعض العبادات والتكاليف بما لم يرد مشقة وعنت، واغتنام نشاط النفس فقه جليل، وتركها عند الخمول والكسل هدي نبيل، فمثلا في قراءة القرآن يجدد على النفس بالأساليب ما ترتاح له، فمرة نظراً ومرة غيباً ومرة حدرأً ومرة ترتيلاً ومرة سرّاً ومرة جهراً ومرة ليلاً ونهاراً، وصباحاً وضحياً وظهراً وعصراً ومغرباً وعشاءً، وعلى حسب القوة والرغبة قلة وكثرة.

فمثلاً الصلاة، وفترة النشاط وما يصاحبها من خشوع وإقبال فتغتئم، وعند الإدبار والفتور يسدد ويقارب حتى يعود بارق الأمل وسابق العهد، وتطويلها مرة وتخفيفها مرة أخرى وتكثير نوافلها عند النشاط والصحة والفراغ.

وكذلك قيام الليل يغتنم صفو النفس ونشاطها في ليلة وكأنها آخر ليلة ويسدد عند فتورها اعترافاً بطبائع النفوس ونقلها في أوقات الليل بين أوله ووسطه وآخره، وبين الصلاة بين جودة وضعف وقلة وكثرة بلا تحديد بل كأن ليلة الصفو لا تعود فتغتئم، وكأن ليلة الفتور لا بد منها فلا بأس ولا انكسار، وكذلك الذكر والدعاء كمّاً وكيفاً وعموماً

وخصوصاً ونشاطاً وفتوراً، فتتنقل النفس في رياضة بلا قيد طليقة من التحديد والرسوم، مسامحة من التضييق على لون واحد، معفية من التقيد بكيفية خاصة عون على الاستمرار والإشراق والانفساح، وفي الوقت من ليل ونهار صفاء وتكدير.

وللأيام على بعضها خصائص وفضائل فعليةا تُراض النفس، وكذلك - مثلاً - اللباس فما تيسر يُلبس بلا تحديد ولا تكليف، وكذلك الطعام والشراب وسائر المباحات، وكذلك السمات والأدب والخلق له إشراق وانطماس من حيث الرضا والغضب والحلم والجهل والذنب والتوبة والسداد والخطأ، فطلب الأكمل مطلوب ولكن للعرف والعادة أثر في العادات.

الاعتراف بالواقع لا بُدَّ منه بلا قنوط ولا يأس، فلبعض المجالس نفحات بالخير: من صمت عن جهل، وتكلم بعلم أو مصاحبة وقار وتؤدة أو سماع فائدة، ولبعضها كدرٌ وشؤمٌ: من تكلم بإثم أو لغوٍ واستماع ما يشين أو طيش في حركة وانفراط في أدب، فالأول مطلوب واغتنامه مرغوب، وكأن هذا المجلس آخر مجلس في الحياة لكثرة الامتعاض عليه والندم حتى يُخل بما حصل من وقت جديد لعمل جديد، ومجالسة الناس أشكال وألوان، فمن عالم وعابد وصالح وعاقل وأحمق وموزون ومفرط واقع ولا محالة، فالاعتراف بهذا مؤكد وإنزال النفس هذه المنازل لا بُدَّ منه وترويضها على ذلك ضرورة.

والحياء عسر ويسر وصفاء وكدر وأمن وخوف وسرور وحزن

وترحة وفرحة واطمئنان وضحك وبكاء وانزعاج ونجاح ورسوب وصحة ومرض ونشاط وكسل، فعبادة الله مطلوبة في هذه الأحوال فإنها منازل للمسافر ولكل منزل حقه الذي يليق به، ولكل نفس صفات لا توافق الأخرى، فلا يتقَمَّص الإنسان شخصية غيره فإنه قتل له، فلكل إنسان صوت خاص ولون خاص وصفات خاصة، فلا تقليد ولا تبعية للآخرين فيما هو من جبَلات النفس وطبائعها، نعم، الواجب الاقتداء بالأخيار في صفات الخير وما يُكتسب من الفضائل، ولكن ذلك ممتنع في الجبَلات التي جُبل عليها الإنسان من الطبائع التي لا تخل بالدين ولا بالمروءة، فالإنسان يتعرّف على نفسه ليعرفها بصفاتها.

إلزم منهج الرّعيّل الأوّل

من درس علوم السلف الصالح وذاق طعمها وشرب من معينها، وتفياً ظلالها فإنه لا يريد منهجاً آخر غير هذا المنهج المقبول المحبوب، فهو منهج السداد والاستقامة وغيره ملتوٍ معوّج، وهو سهل يسير وسواه صعب عسير، وضوح في الرؤية، سلامة في العاقبة، أمن في المنقلب، حسن في المصير، سكينه في النفس، سعادة في الحياة. فيا من نصح نفسه ويا من خاف ربّه ويا من احتاط لدينه أوصيك بمنهج السلف الصالح وهو ما كان عليه رسولنا ﷺ والصحابه الأخيار والتابعون الأبرار وأئمة الإسلام الأطهار عقيدة وعبادة وعلماً وخلقاً وسلوكاً ودعوة وحياة.

كلُّ المشارب غيرُ النيلِ آسنهُ وكلُّ أرضٍ سوى جبرونٍ جرداءُ

منهج السلف هو فهم الكتاب والسنة على فهم الصحابة والعمل بهما وتقديمهما وهجر كل بدعة وزيف والإعراض عن كل نحلة ومذهب يخالف هذا النهج السوي والطريق الرضيّ عسى الله أن يحشرنا مع تلكم الصفوة المجتابة والفرقة الناجية والطائفة المنصورة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَنَّهُمْ أَقْتَدَةٌ﴾ .

أما الفرق الضالة الهاربة من الحق المتلصصة على الملة الزائغة في الرؤية فهم أقلُّ وأذلُّ وأضلُّ من أن تعجب من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ومن سرى في دمه حب منهج السلف فإنه لا يتركه أبداً.

مَحَابِبُهَا الَّتِي كُنَّ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ مَحَلًّا لَمْ يَكُنْ حُلًّا مِنْ قَبْلِ حَيَّا الله الإمام الأعظم والرسول الأكرم ﷺ وحيًا الله أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا والصحابة والتابعين والحسن وابن سيرين وابن المبارك وأبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد وابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، اللهم أحببناهم فيك وقد قصرنا في العمل فاحشرنا معهم لأن رسولك ﷺ قال: «المرء يحشر مع من أحب» .

رأيت أمريكا

رأيت أمريكا، رأيت أرضها وسماءها، وهواءها وماءها، فإذا هي ليست كأرضنا وسمائنا وهوائنا ومائنا، لأن تلك لا تحمل الإيمان والحب والطموح .

ورأيت أمريكا: هدير مصانع، وضجة معامل، وحركة إنتاج، لكنه

صخب بلا معنى، وأصوات بلا حياة، ليس فيها إيمان وحب وطموح.
ورأيت أمريكا: عيوناً بلا إيمان، وأذاناً بلا دعوة، وقلوباً بلا يقين،
وجثثاً بلا رسالة، لأنها لم تعرف الإيمان والحب والطموح.

ورأيت أمريكا: طائرة وسيارة وسخانة وبرادة وحديداً وآلات، لكنها
مسلوبة الطمأنينة والسكينة، لأنها فقدت الإيمان والحب والطموح.

ورأيت أمريكا: فإذا الكلب مقدس، والقطة مبعجة، والخنزير
محترم، أما العالم فكادح لغير مصير، والمهندس ساع لغير هدف،
والطبيب يعمل بلا احتساب وثواب، لأنهم ضلوا عن الإيمان والحب
والطموح.

ورأيت أمريكا: امرأة مسفوكة الكرامة، وبيتاً مهدوم العفة،
ومجتمعاً مهزوز المبادئ، لأنه ما أجاد الإيمان والحب والطموح.

ورأيت أمريكا: قطيعاً بلا راع، وركباً بلا قائد، وسفينة بلا ربان،
ظلمات بعضها فوق بعض، لأن أمريكا ما عاشت الإيمان والحب
والطموح.

ورأيت أمريكا: فإذا الذي أعجب الناس أغضبني، وإذا الذي
أسرهم أحزنني، وإذا الذي أفرحهم غمني، لأنني ما رأيت الإيمان
والحب والطموح.

ما رأيت الإيمان بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا.

ما رأيت الإيمان بالفضيلة والإحسان والعدل والسلام.

وما رأيت الحب للأهداف الجميلة، والمبادئ الأصيلة والأخلاق الجميلة.

وما رأيت الحب لمن يستحق الحب، للباريء المصور، الخلاق الرزاق، ذي القوة المتين، وللمصطفى الهادي الرحمة للعالمين، السراج المنير، وللدین الخالد، والرسالة العالمية، والمحجة البيضاء.

وما رأيت الطموح لمعالي الأمور، للثواب الجزيل، لسعادة القلوب وراحة الضمير.

وما رأيت الطموح لتزكية النفس، وطهارة الباطن، وغسل الجوارح وإنقاذ الناس.

ما كان الرفق في شيء إلا زانه

أعظم ما قد يفوت على بعض الدعاة والجماعات الإسلامية الرفق، فلا يصلون إلى نتيجة ولا يحصلون على ثمرة، لأن في الحديث: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» فتجد خطاب بعضهم حارًا حادًا ونبرته قاسية وكلامه تهديدًا ووعيدًا شديدًا أكيداً لكل عنيد بليد مرید رعديد وتجد في قاموسه من الشتم والسب والنبر ما يخوف الناس ويصرفهم عنه ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّيْنَتْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

فيا أيها الدعاة والوعاظ والمصلحون والخطباء رفقاً في القول ورفقاً في العمل وليناً في الخطاب وليناً في الخلق، خافوا الله في قلوب الناس أن تنفر، الهدوء في التعامل السماحة في الحوار، دعونا من الغضبات

العنترية والصولات المضرية التي ما قتلت ذبابة ولا ذبحت بعوضة وعليكم بهدي محمد ﷺ فهو سيد الدعاة وقدوة المصلحين وقد نهى عائشة أن ترد بعنف على اليهود فادعوا القلوب بالحب ووحدوا النفوس بالإخاء، وأشيعوا في أرواح الناس الأمن وبشروا ولا تُنفروا ويسروا ولا تُعسروا، وإن رفضتم هذا فسوف تصطدمون بحائط شائك لا منفذ فيه ولا طريق.

الفرج بعد الشدة

سنة ماضية ثابتة لا تتغير: إن مع العسر يُسرا وبعد الشدة فرجاً، وقد قرأت ما كتب عن هذا الموضوع وسمعت كلام العلماء والأدباء والساسة والعامة، فكلهم مجمعون على أن كل شدة إلى رخاء وخذ بعض القصص السريعة غير المشهورة:

* رجل يشرف على الهلاك هو وأهله من شدة الجوع فيُهدى له سمكة منتنة فيشق بطنها ويجد في بطنها درة غالية باعها بآلاف الدنانير وصار غنياً.

* حدثني رجل من الصالحين أنه بات هو وأطفاله في جوع شديد وفي الصباح نزل إلى السوق وليس معه ريال واحد فناده رجل لا يعرفه ودفع له ثلاثين ريالاً فأخذ ما يلزمه من طعام ولباس وفاكهة يوم كان للريال قيمة باهظة.

* رجل اشترى طيور البيغاء في بغداد بأربعمائة درهم فماتت عنده ولم يبق إلا واحد منها وقد خسر الرجل كل ما يملك فدعا ربّه ونزل السوق بالطائر فشراه أحد الوزراء بألف درهم فعاد غنياً.

* نزل داعية مشهور من اليمن بأهله في إحدى البوادي فانقطع عنهم الماء وأشرف هو وأطفاله على الهلاك فقام وصلى ودعا وبكى فنزل عليهم الغيث في نفس اللحظة حتى امتلأت الأودية .

* أمر المنصور بن أبي عامر بقتل رجل فأراد أن يكتب يقتل فكتب يطلق ثلاث مرات يكرر هذا العمل وفي الأخير صاح قائلاً: هذا فوق إرادتي، وهذا من الله، وأمر بإطلاق الرجل .

* توعد الخليفة الهادي أخاه هارون الرشيد بالقتل فقامت أمه لترجاه وتبكي عنده فرفض طلبها فصفت قدميها على مصلاها تدعو القهار جلّ في علاه فسمعت صوت الهادي فأتت وإذا هو في سكرات الموت ثم ذهبت روحه في تلك الساعة .

* قبض يزيد بن أبي مسلم والي أفريقيا على أحد عمال عمر بن عبد العزيز وحلف أن يقتله قبل الصلاة وقد حانت الإقامة فانشغل وأقيمت الصلاة فقام يصلي بالناس فاغتيل الوالي في الصلاة، وفك هذا الرجل ونجا سالماً، فسبحان الغالب على أمره جلّ في علاه . ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٨٢﴾ .

طريقة الحفظ

من أراد الحفظ - وأعظمه وأجله حفظ القرآن - فليقلل المحفوظ وليكرره كثيراً حتى يطبع في ذهنه ويرسخ في قلبه، فبعضهم كان يكرر المقطع من القرآن مائة مرة وبعضهم سبعين مرة ولا ينتقل إلى مقطع آخر حتى يتقن الأول لثلاثين مرة في الاضطراب . وعليه أن يكثر من الاستغفار، ولا

يرهق نفسه بحفظ عدة متون فإن النفس إذا كَلَّت عميت ومن رأيي أن طالب العلم إذا أتقن حفظ القرآن كفاه هذا، وبقية العلوم تفهم فهماً، ولم يكن علماء السلف يحفظون الفقه وأصوله والمصطلح والفرائض إنما فعل ذلك المتأخرون وهم أقل علماً وفهماً، ومنهم من حفظ هذه المتون وأُسي القرآن وهذا من قلة الفقه، ومنهم من حفظ ألفية العراقي في علوم الحديث وأعرض عن الفقه الذي عليه مدار العلوم وهذا خطأ. والموفق من وفقه الله.

وقفات تدبّر

قاعدة: القرآن يعطي كل قضية قدرها وحجمها ومساحتها من الاهتمام والذكر، فمثلاً التوحيد لما كان الأصل الأصيل أكثر الله ذكره، وأبدى وأعاد حتى صار كل القرآن توحيداً، فهو إما أمر به أو نهى عن ضده أو خبر عنه، ومثل الغيبة ذكرت بقدرها في آيات معدودة، إلى غير ذلك من الأمثلة.

قاعدة: إذا نهى الله عن شيء أمر بضده، وإذا أمر بشيء نهى عن ضده، فأمر بالتوحيد ونهى عن الشرك، ونهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأمر بالبر والتقوى والصلاح.

قاعدة: المقصود في قصص القرآن العظة والاعتبار فهو يترك التفاصيل والجزئيات التي لا طائل منها، كلون كلب أهل الكهف، وأنواع الطيور التي أمر إبراهيم عليه السلام بضمها إليه، وغير ذلك.

قاعدة: ذكر سبحانه في كتابه أن مهمة الرسل عليهم الصلاة

والسلام هي البشارة والندارة، والإشهاد في الآخرة على أممهم، يبشرون بالجنة وينذرون النار، وهذه مهمة كل مصلح وداعية، فليس لهم مطلب ولا مقصد إلا هذه المهمة العظيمة.

فائدة

الصحيح أن غير المكيل والموزون لا يحرم النسا في شيء من ذلك، سواء بيع بجنسه أو بغيره، متساوياً أو متفاضلاً.

قال عمر رضي الله عنه: نُهِنَا عَنِ التَّكْلِيفِ

فلا تكلف في القول بتشقيق الخطب والتفاسح وطلب الإغراب، والتشديق بالألفاظ وتنميق السجع، والتفهيق لقصد الرفعة.

ولا تكلف في الفعل بإجهاد النفس، والمشقة على الجسم، وحمل الأمر في العبادة، بل القصد.

ولا تكلف في العلم بالخوض فيما لا يغني، والغوص على الدقيق، وتعمد الأغلوطات، والسؤال عما لم يقع.

ولا تكلف في اللباس والهيئة بالإسراف والبذخ، وإضاعة الوقت في التزين، وكذلك لا تكلف للتبذل والتصنع بالتقشف لإرضاء الناس.

ولا تكلف في المعيشة بالإنفاق فوق الطاقة، وتحمل الدين من أجل نفع الناس، وإرهاق القلب بجمع المال أكثر من الحاجة.

التردد ليس من صفات الناجحين

فالناجح لا يتردد ولا يرتبك ولا يغير اتجاهه سريعاً لأن ذلك يضع عليه الجهد والوقت كالذي يبني ثم يهدم أو كالذي يكتب ثم يمحو ما يكتب، وأكثر الفاشلين سبب فشلهم التبديل والتغيير، فنعرف من دخل بعض الكليات الشرعية فلما درس فصلاً وفصلين ذهب إلى اللغة أو التربية أو الاقتصاد وهكذا حتى تخرج زملاؤه وهو لا يزال متردداً محبطاً، ومن التجار من تاجر في العقار فلما تحسن دخله وحسن وضعه انقلب إلى تجارة الملابس ثم تحول إلى تجارة المواشي فضاعت أمواله وذهبت خبراته أدراج الرياح، وإلا فلو ثبت لنت، ومن فتح عليه باب رزق فليلزمه، ومنهم من كان خطيباً ماهراً يخلب الألباب ويأخذ بالقلوب ثم ترك ذلك وشارك في جمعيات خيرية تعاونية أفقدته موهبته وما تميّز به، ومنهم من فتح عليه في العلم فحسن حفظه وفقهه ثم أعرض عن ذلك إلى العبادة وهجر العلم. وهذا التردد والتذبذب عند الجميع هو سبب الفشل والإخفاق، فمن أراد النجاح فليصمد وليواصل وليستمر وليبدع في مجاله الذي خلق له ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُؤْتِيهَا﴾ كل مُيسّر لما خُلق له.

ونصيحتي للآباء أن يتركوا أبناءهم على سجيّتهم واختيارهم في دراستهم ووظائفهم ومواهبهم وأعمالهم وتبقى الرقابة على جانب التدين والقيم والأخلاق لأن هذه لا مفاوضة فيها بإجماع العقلاء، إن بعض الآباء يختار لابنه القسم الدراسي الذي يرتاح له هو بغض النظر

عن رغبة هذا الابن فيفضل الابن في دراسته لأنه يدرس في تخصص لا يحبه، ويصر بعض الآباء على وظيفة لابنه لا يرغبها الابن فيفضل في وظيفته ويختار الأب زوجة لابنه ويغصب ابنه على حبها والعيش معها فتتج زواجاً فاشلاً. إن النجاح مصحوب بالرغبة في الشيء وحب هذا الشيء سواء كان علماً أو مهنة أو وظيفة أو دراسة أو زوجة لازم من لوازم النجاح. أما فرض رغبات الآخرين على شخص آخر فهذا تدمير للموهبة والنجاح، إذاً علينا أن نترك الناس لرغباتهم في تخصصهم وأعمالهم وحرّفهم مع مراعاة القيام بأوامر الله واجتناب نواهيه.

زمن الدراهم

صدق الشاعر القائل:

فصاحة سحبان وخط ابن مقلّة وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس ونودي عليه لا يباع بدرهم
فإن كنت في شك من ذلك فانظر إلى عصرك، فصاحب المال عندهم موقر مكرم معزز ولو لم يعطهم شيئاً من ماله بينما تجد العلماء والأدباء لا يعبؤ بهم إلا نفر قليل من الناس لما يرجونه من منفعة منهم. فالمال عند الناس وهو الحسب والنسب والعم والخال وصاحب المال إن أكثر الكلام قالوا: فصيح ملهم وإن أكثر السكوت قالوا: حكيم متأمل. وإن لبس الغالي قالوا: أحب إظهار نعمة الله عليه وإن لبس الرث البالي قالوا: زاهد متواضع. أما الفقير فإن تكلم قالوا: مكثر مهذار. وإن سكت قالوا: أخرس أبكم. وإن لبس الجميل قالوا: دعي

أخذ ما ليس له . وإن لبس المرقع قالوا: حشفاً وسوء كيل .

المغني درجة أولى في الفقه

حبذا كتاب المغني في الفقه لابن قدامة فهو الشهد المصفي والعلم الفرد في باب، فقد عرفته وعرفت غيره فبان فضله وظهرت مزيته فهو عندي المرجع الأول في الفقه بلا منازع وقد خبرت المحلى وهو على فضله فج العبارة فيه شذوذ في الطرح . والتمهيد على شرفه غير مرتب . وفتح الباري له منهج خاص في شرح الحديث، وبقي كتاب الفتيا والفقه المغني مع تقوى صاحبه وذكائه المفرد وسعه علمه وبعده عن النيل من الأئمة والحط على العلماء ثم إنه مرتب مبوب ناصع العبارة عذب الإيراد فجزي الله ابن قدامة خيراً وجعل كتابه له ذخراً .

الأمنية الغالية

لما حصل يوسف عليه السلام على الملك وعلى تعبير الرؤيا واجتماع الشمل بالأهل وبلوغ الغاية في السلطان تاقته نفسه إلى الأمنية والمقصد الأسمى فدعا ربّه ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ وهي غاية ما يتمناه العاقل الأريب وأقصى ما يريده العبد الراشد الواعي لأن أمر الخاتمة أمر عظيم فهي نتيجة السعي وحصيلة العمر بها يحدد المصير وتعرف العاقبة وليس أمراً سهلاً أن يموت الإنسان مسلماً ويلحق بالصالحين، فقد يدرك الإنسان أمانيه في الدنيا لكنه يموت غير مسلم، وقد ينال منصباً مرموقاً ومالاً وفيراً وزوجة حسناء ودوراً

وقصوراً ولكنه يموت غير مسلم، وقد يحظى الإنسان بشهرة ذائعة وموهبة جياشة وصيتاً ضخماً وحضوراً مذهلاً ولكنه يموت غير مسلم، فإذا مات غير مسلم فلا المال ينفعه ولا المنصب يرفعه ولا الجاه يحميه ولا السلطان ينافح عنه، ولا القرابة تؤويه، ومن هنا كانت أمنية يوسف ومقصده أن يموت مسلماً وأن يلحق بالصالحين، وهي أعظم هواية في عالم الهوايات لأن بعض المنحوسين حظاً الممسوخين خلقة الغاوين نهجاً لهم هوايات ليس منها الخاتمة الحسنة والعاقبة المحمودة، منهم السخيف التافه اللاهث وراء الفن ومنهم البارد المغفل المفتون بالكرة ومنهم الأحقق المجنون بالدنيا وهؤلاء أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون.

آلآن وقد عصيت

أسرفت في الذنوب واعتديت، كذبت الرسول وافترت، ثم أتيت، آلآن وقد عصيت، تجبرت في الأرض وتعاليت، وتكبرت على العباد وتماديت، ثم جئت تقول ياليت ياليت، آلآن وقد عصيت. جاءك الرسول وما اهتديت، ونهاك عن الطغيان وما انتهيت، ودعاك فأبيت. آلآن وقد عصيت. أريناك الآيات فكأنك ما رأيت، وأسمعناك الخطاب فكأنما ما دريت. آلآن وقد عصيت.

مع القراءة والكتب

* من الكتب ما تأخذ منها أكثر مما تأخذ منك: كالحديث الشريف واللغة والأدب والرقائق والمشوقات والتاريخ، ومنها ما تأخذ منك

أكثر مما تأخذ منها: ككتب الفقه المذهبية وخاصة إذا كدرت بالحواشي المملوءة بكلام الناس من قيل وقال، فإنها مذهبة للعقل في غير جدوى، وكذلك كتب أصول الفقه النظرية أو المنطقية كالمعتمد والمستصفي، وما أنفع الموافقات وأعلام الموقعين.

* والحذر من التكرير في طريقة القراءة في فن واحد، فإنه يذهب الوقت ويعود الحديث عشرات المرات كمن يقرأ مختصر البخاري ثم الصحيح نفسه ثم تيسير الوصول ثم جامع الأصول ثم الجمع بين الصحيحين، فإنه بهذه الطريقة أعاد الحديث على الأقل عشر مرات ولو صرف الجهد في غيرها لكان أولى.

* ليست تقوى الله سبحانه وتعالى حجراً على أحد وعلى صنف، فتجد التقوى في غير مظانها كبعض التجار والعوام والجنود وتجد فقدانها في مظانها - وهي المصيبة - كطلبة العلم والعلماء والوعاظ، فالله المستعان.

* النقل من الكتب في موضوع واحد فيه فائدة جمع المادة والتسهيل على القارئ، ولكن لا جديد فيه، وأنفع منه استعراض النصوص وإخراج بنات الأفكار، وومضات الأنوار وتدبيح فقه النص.

* الحفظ يجمع شتات المادة ويعزز الذهن بالفوائد ولكن فهم النصوص وتقييدها على قواعدها الكلية ووضعها على مقاصدها خير من ترديد محفوظ لا يفهم، وفهم العلم خير من حفظه والحفظ وسيلة ليس إلا.

* خير ما يُحفظ كتاب الله فإذا فرغ منه فما استطاع من الحديث وما بعد ذلك فيما استجاد من الشعر الجميل وغير ذلك فهوّن على نفسك،

وأربع على قلبك .

* قراءة حديث المصطفى فن راقى فمن أراد أن يستفيد منه فليأخذ كتاب الحديث وكأنه جالس بين يدي رسول الله ﷺ عن يمينه أبو هريرة وعن يساره جابر بن عبد الله رضي الله عنهم ثم يستمع ما يقال فإن الكلام عربي فصيح ولينسى عنعنة الحسن وتدليس الأعمش فلها وقتها ومجلسها .

* إذا قرأت ترجمة عالم أو زاهد أو رجل فضع قوله على قول محمد ﷺ وفعله على فعله فإن وافق فهو تحصيل حاصل، وإن خالف فخذ هذا القول أو الفعل المخالف بيدك كليهما فصرَّ هذه الأقوال والأفعال ومزقها ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم خذ عصاك وعد إلى بيتك .

* أنفع عبادة وأسهل عبادة وأيسر عبادة ذكر الله عز وجل فترنم في رياضها وترنح في خمائلها وتمش في بساتينها واجعلها شغلك الشاغل وما زاد عليها من النوافل فحسن .

* القراءة الخاطفة هي الإمام السريع بالكتاب أو بالباب في أقصر وقت وهي مختصرة للوقت مشجعة على الاستفادة وهي ليست قراءة التمكن لكن لها فائدة جمع شتات الموضوع واسترجاع المعلومات .

* من العلم ما يحتاج له مع كل نفس، ومنه ما يحتاج إليه في وقت عن وقت ومنه في اليوم ومنه في الأسبوع وفي الشهر وفي السنة وفي العمر، ومنه ما يختلف من شخص إلى شخص فقد لا يعمل طالب العلم في حياته كلها بأحاديث الولاية والتجار وغيرها ولكنها جيدة في معرفة

- الأحكام وفي زيادة العلم وتوضع أبواب العلم على هذه الطريقة .
- * ليس عزو الحديث إلى غير البخاري ومسلم تصحيحاً له فالمهم في الحديث معرفة صحته أو معرفة ضعفه وعلّة هذا الضعف وليس المهم حفظ من خرج كاهل السنن والمسانيد وغيرهم .
- * كتب الأدب أكثر فائدة وعوداً من غيرها، أعني بكتب الأدب هنا الأدب النبوي الشريف ككتاب الأدب المفرد للبخاري، لو جرد من الأسانيد، فإن الأسانيد مع معرفة درجة الحديث تطويل للطرق وسلب للوقت .
- * من فوائد كتب التراجم والأدب والظرف والطرائف مد العقلية التربوية والملكة الاجتماعية برصيد من المعرفة لكثير من مواقف الحياة والأشخاص والمقامات ما نظر إلى كتاب الأذكياء والحمقى والمتطفلين وسير أعلام النبلاء وأعلام القرون وغيرهم حتى سير الفجار الضلال .
- * لأن أعترل وأفيد نفسي خير لي من أن أخالط الناس وأتضرر .
- * عِظْم منزلة المسلم وعلو درجته في الجنة لا في الدنيا فليكن هذا مطلبه دائماً .
- * لا يخلو كتاب من فائدة، وليس العلم بكثرة الرواية، وانظر ما يلزمك في يومك فاعمله، وخصلتان هما روح الإيمان ووقوده: الذكر والفكر، والزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما يخشى ضرره، وكفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم، والوقوف بين أمرين اضطراب وحيرة والحزم والحزم بشيء بعد الاستخارة والمشاورة .

طه حسين وكتبه

في بداية الطلب كنت أحسن الظن بطه حسين وأسمع كبار الأدباء يثنون على أسلوبه فلما قرأت كتبه بإمعان بان لي أن الرجل مريض القلب عنده لوته في فكره وفي غدده سم زعاف حتى على ثوابت الدين، وقد ولى الرجل وجهه شطر الثقافة الغربية وأحبها وشغف بها ونادى بني قومه لاعتناق الحضارة الغربية والانسلاخ من الشرق وتراثه ثم إن الرجل يخفي في نفسه ما الله مبيديه من أفكار تسعى لهدم ميراث الأمة المباركة وتركتها الربانيّة، ومن أراد أن يعرفه على حقيقته فليطالع ما كتبه الأديب الفذ العبقري مصطفى صادق الرافعي ليرى ضرر هذا الرجل ومدى ما سوّلت له نفسه الأمانة على دينه وأمته. فاحذر ما كتبه وخذ الحيطة مما سطره وتنبّه إلى تراثه فإن السم في ذلك العسل. وفي الله الجيل شر الدجاجيل.

وصايا عامة

لا تحرص على الشهرة فإن الرأس كثير الأوجاع وفي الاشتهار نهاية الأخطار، ومن كان بينه وبين ربه معرفة قلبية استغنى بها عن كل معرفة. ورأينا من يتكلف في أقواله وأفعاله ليكون مقبولاً عند الناس فلا يقع له ذلك لأن مفاتيح القبول في السماء، ولقد تغيرت أحوال الناس فلا مواسة ولا تراحم إلا في النادر فأصبحت المصالح تحكمهم والمنافع تربطهم حتى أنك تبحث عن يواسيك ولو بكلمة فتعجز أن تجده فغالب من يتحجب لك إنما هو لحاجة في نفس يعقوب فإذا قضاه مرّاً

كأنك لا تعرفه ولا يعرفك وإذا تحببت أنت لأحد شك فيك، فتحبب إلى علام الغيوب وتقرب إلى مقلّب القلوب يكفك من عزواً ومن هانوا، وإياك وتناول الفضول وهي الزائدة عن الحاجة فإنها قاتلة كزيادة الكلام والخلطة والطعام والمنام واللباس ونحوها وما رأيت كالوسط وهو طعام بين طعامين ولباس بين لباسين وبيت بين بيتين ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ .

النفق المظلم

عرفتُ شباباً تنسَّكوا وحفظوا القرآن وتعلّموا السنة وأصبح على وجه الواحد منهم نضرة النعيم بسبب العبادة والذكر والخشوع ثم مالوا إلى السياسة وحديث الساعة والقليل والقال والقضايا الدولية والاقتصادية بحجة العلم بالواقع فذهب ذاك البريق وأنسى القرآن واندرثر علم السنة لديهم وكثر كلامهم واضطربت أقوالهم وضاعت أوقاتهم واشتغلوا بما لا يعني وتكاسلوا عن العبادة وهجروا قيام الليل. وهذه الملاحظة لاحظها غيري من طلبة العلم وهم كثير.

القاموس الأثيم

يا أيها المسلم الذي علمه الوحي شريف الخطاب وحسن القول، أزل من قاموسك اللغوي كلمات الشتم والسب واللعن والطعن، نظف لسانك من اللغو، أكرم فمك عن قول الزور، قدّر الملائكة الذين يكتبون حديثك ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ إن العبد الصالح

كالنخلة اليانعة المتهدلة بالرطب الشهوي الهنيء يرميها الطفل بالحجر فتساقط عليه رطباً جنياً. فيا أيها المسلم أخرج من حياتك كلمات الإثم والبهت والزور واللغو ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ واجعل مكانها حسن القول وجميل اللفظ وأطيب الحديث ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فإياك أعني ونفسي، أريد أن تبتعد عن القول الإثم فإن الكلمة قد تشعل حرباً وتزيد كرباً وتغضب ربّاً وتجرح قلباً، وكم من رأس سقط بكلمة وكم من عنق قطعت لأجل عبارة وكم من زوجة طلقت لسوء جملة. فاتقوا الله عباد الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم.

نعوذ بالله من سوء الخلق

رجل جعله الله عذاباً على أهله وجيرانه، شرس الخلق جهم المحيا عابس الوجه صلفاً عجولاً طائشاً ضرب زوجته مرات كثيرة وفرّ منه بعض أبنائه وشكاه جيرانه وبكوا من سوء معاملته، إذا دخل بيته صمت أهله وخاف أطفاله لا يمزح ولا يضحك ولا يتبسم، الكلمة تشيره، يده أسرع شيء إلى الضرب ولسانه أعجل شيء للسب لا يُعرف له صديق، عاش الحياة مكدرّاً منغصاً ثائراً غاضباً سفيهاً، هو عذاب على نفسه وأهله وجيرانه. فاحذر عمل هذا. واعتبروا يا أولي الأبصار.

رفقا بالقوارير

رحم الله الإمام أحمد يقول: صاحبت زوجتي أم عبد الله أربعين سنة ما اختلفت معها في كلمة. وهذا غاية الخلق وكمال حسن العشرة، فهل من

عاقل يحسن التعامل مع زوجته وأخته وابنته، إن النساء ضعيفات، وفي الحديث: «اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم». واعلم أن الكلمة النابية تحطم المرأة فيكاد ينصدع قلبها من البكاء. فرفقاً بالقوارير وصبراً على ما يصدر منهن وكل بني آدم خطاء وعليك بالاحتمال فإنما هي أيام قليلة لنترحل من هذه الدار الموحشة، واجعل مكان الكلمة القاسية جملة لينة ومكان العبوس بسمة، ففي الحديث: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» وعليك بالشناء على ما تراه من حسن وجميل، فاشكر على ترتيب المنزل واشكر على حسن إعداد الطعام وتجافى عن الأخطاء وتجاهل الغلطات وتغافل عن الزلات لتصفو لك الحياة ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

الفارغون

أكثر الناس ما عندهم خير من الآخرة: لهو ولغو ولعب وغرور، شيوخ طعنوا في السبعين وهم أطفال في اهتماماتهم: سهر على الغيبة ونقل للنميمة وقتل للأعمار، شباب في أبهى حلل الصبا: هائمون ضائعون غارقون في الملذات، تجار يأكلون الربا كأكلهم الخبز وليس في قائمة الإنفاق عندهم زكاة المال ولا صلة الرحم ولا بناء المساجد ولا إطعام الجائع، موظفون لا يدركون أمانة المسؤولية وثقل التبعة، وكثير من طلبة العلم في حسد وجدل وتتبع للعثرات وفرح بالزلات واغتياب بنكبات الغير، فليس عليهم من آثار العلم إلا براويز لشهادات علمية معلقة ﴿تَجَعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ بُدُونَهَا وَتُحْفُونَ كَثِيرًا﴾ فيا أيها الأريب كن حلصاً من أحلاس بيتك واعتزل الناس إلا من خير وتهياً لسفر بعيد ليس بعده رجعة وزادك قليل

وطريقك طويل وحملك ثقيل وأنت غافل عن الرحيل.

إن البقر تشابه علينا

كل طائفة من أهل البدع تضيفي ألقاب الكمال على رموزها وتخلع حلل المدح على أعلامها: فالرافضة عندهم الكاشاني والكليني والطبرسي والمعتمدي هم آيات الله في الأرض بحور للعلوم ومحيطات للمعارف، والمعتزلة يرون الزمخشري وعبد الجبار والبلخي نجوماً سائرة وأقماراً سافرة، والجهمية أشغلونا بمناقب محمد بن الجهم وبشر المريسي وأحمد بن أبي دؤاد وهؤلاء في معزل عن الحق الصراح فما ندري من نصدق ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾، ولكن الحمد لله عندنا ميزان في دقة الشعرة توزن به الشعيرة وهو الوحي المعصوم كتاباً وسنة ونحن عندنا عملة ليست زائفة وبضاعة ليست مزجاة علم أعلامنا وسعود أيامنا محمد ﷺ، ثم يتلوه الزمرة المباركة الطاهرة من أئمة أهل السنة والجماعة. فيا أهل البدع دعونا من هذا الغثيان والسخف فإن من تهوك في المنهج وانحرف عن الجادة وهجر الحق وخدع الأمة وزاغ عن الصراط ليس بأهل أن نسمع منه ولا كرامة ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ المبتدع فاقد الصواب مظلم النظر مشوه المعرفة ممسوخ الفطرة.

التوفيق من الله

قد يكون العالم عادي الذكاء، لكنه رزق همة ودأباً وصبراً على

التحصيل ومواصلة على الطلب فوصل، وكم رأينا من بارع في الذكاء لكنه عاطل من الفضل خامل في همته .

بعضهم يطلب العلم فإذا تميز عن أقرانه أو حصل على منصب بعلمه ترك الطلب وأخلد إلى الراحة ورضي بالدون، وهذه ضحالة الهمة .

إليك يا طالب العلم

* العلم أوسع من أن يحاط به فليُنظر فيما لا بد منه ومن كل علم أجوده والأهم فالأهم، والتوسع في الأمور خير وبركة وتسديد، وفي العزلة تفهم للواقع وصيد للفوائد ونبأ عجيب فإن من بقي مع الناس دائماً سَج فكره وسف عمله ورضي بالواقع .

* الداعية له مكاتته فكلما فقدته العيون اشتاقت له القلوب فينبغي له أن يخرج وقت الحاجة لا غير .

* ربَّ ذنب أحدث توبة ومنع عجباً وأدخل رقة وانكساراً، والمواهب موزعة حتى لا تكفر النعم .

* شرف الوقت بقيمته عند الله تعالى لا عند الناس :

في ازدياد العلم إرغام العدا وجمال العلم إصلاح العمل

* من لا يحفظ القرآن ولا يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن .

* من المحبرة إلى المقبرة - والفائدة تؤخذ ممن قالها فربَّ ذرَّة في مزبلة .

وقيل لابن المبارك إلى متى تكتب الحديث؟ قال: (لعل الكلمة

التي تنفعني ما كتبتها بعد).

* وقول الأندلسي في تعظيم الحديث:

فلا تضع في سوى تقييد شاردة عمرا يفوتك بين اللحظ والنفس

* من خرج إلى الناس بما عنده من علم وترك الزيادة دائماً هي بداية النهاية.

* يقولون إن من علمته بلسانك لا يتعلم أيداً، إذ لا بد من الفعل مع القول ثم لا بد

من التكرير والملازمة والإعادة والمداومة فإن كلمة المرة ليست مستقرة.

* ساعة في السحر، وساعة في الصباح، وساعة في المساء جلسات روحية

تفيض سكينه وأمناً وبركة ونوراً وفتحاً وتوفيقاً وحديث: «اغدوا وروحوا

وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا».

* هل يكون طالب علم من ليس له ورد بالليل.

* افعل الأروح لقلبك وإذا خالطت العوام فتغافل عن سقطاتهم.

* إياك ثم إياك من تجريح الأشخاص أو الهيئات أو بعض الجهات

ولا تتكلم إلا بخير.

* لا يكون المكثراً إماماً قط، وإكثار الكلام للنساء والأطفال.

واجعل رجاءك دون يأسك جنة حتى تزول بهمك الأوقات

واستر عن الجلساء بشك إنما جلساؤك الحساد والشمات

الصباح.. الصباح

يقول ﷺ: «بارك الله لأمتي في بكورها»، فأعظم الوقت بركة

وأجمله بعد الفجر، فمن أراد حفظاً أو مطالعة أو كتابة أو سفراً أو

تجارة فعليه بالبكور صباحاً، حيث توزع الأرزاق وتصفو الأذهان وتدب الحياة في الكائنات وتسرح الطيور وتهب النسائم. وقد جربت وقت الصباح فوجدته أحسن لحظات النهار والليل، صفاء ذهن وتوقد خاطر وبركة في العطاء وفتح من رب الأرض والسماء، فأحسن الكتابة ما كان صباحاً وأجود الحفظ وأتقن العمل ما كان صباحاً، هذا إذا لم يسبقه سهر أو يصاحبه مرض، وللضرورات أحكامها، فبادر نهارك في أوله وخذ اليوم بصباحه وإن كنت في علم أو عبادة أو تجارة أو سفر لتنال بركة دعوة الرسول ﷺ.

العُجْب يقصم الظهر

وجدتُ أنّ النفس تعجبُ إذا رأت صاحبها سُدد في عمل أو أحسن في قول أو أبداع في صنعة فإذا أراد الله بالعبد خيراً ابتلاه بتقصير يقذع نفسه ويذهب كبره ويجتث شجرة العجب منه فيكون الخطأ والتقصير رحمة في حقه. وكم رأينا من حافظ للعلم سريع البديهة ذلق اللسان رأى لهذه المواهب من نفسه فأعجبه وتاه بها وتباهى، فسلب التقوى والإخلاص، وعند بعض العباد من رؤية أنفسهم وتزكيتهم لها وازدراؤهم لسواهم ما يلفت النظر ويفوق الوصف فكم من عابد إذا ذكر العصاة تأوه وهز رأسه وكاد لا يصدق مع العلم أننا كلنا ذاك الرجل ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ وربّ عاص ندم وتاب وأقلع وأناب وأنت أيها العابد معجب تائه مزك لنفسك فأنت في ذنب أعظم من ذنبه ثم أليست المنة لله وحده فهو الذي هدى واجتبي وعلم

فليس لنا إلا السكوت على خجل والاستحياء من نقص العمل ويكفينا خطأ كثرة ما يُنعم علينا مع تقصيرنا في الشكر وفتورنا عن الذكر وتباطؤنا في القيام بالأمر. . فرحماك يارب .

خاطرة

عجبتُ لبعض طلبة العلم يجمع الكتب وينسخ ويُصور، ويتلهف على كل كتاب ليس عنده، وهو لم يضبط شيئاً من العلم وقراءته قليلة، وإدراكه ضعيف، لكنه مغرم بالجمع فقط .

يا ضَيِّقَةَ الأعمار تومضي سهلاً

زرت بعض كبار الأدياء المشار إليهم بالبنان، فرأيتَه مستغرق التفكير في كلمة غريبة وحشيّة، يبحث عن أصل تركيبها واسم وادٍ من الأودية اندثر، وقد قارب هذا الأديب الكبير الثمانين، فعجبتُ كيف صرف عمره في هذا الفضول الذي أشغله عن كتاب الله والعلم النافع، والعمل الصالح، وعلمتُ أن السداد والاختيار توفيق من الله عزّ وجل .

الغنى غنى النفس

لا يغرك ما تراه من مظاهر الأغنياء في الملابس والمراكب والمساكن فإن غصص المال أضعاف لذته، وإنما الغني خادم لماله، فإن تعامل بالربا ومنع الزكاة والحقوق الواجبة فقد تمت خسارته. وفضول المال أشغال وهموم وغموم. وأحسن العيش الكفاف. فلا تغبط أهل الأموال فإن قلوبهم

مشتتة ممزقة وراء أموالهم، وما أعلم أسعد من رجل عنده كفاف وهو مستقيم على أمر الله ورزقه الله القناعة فإنه سليم من الغموم في الغالب خفيف الظهر من الحساب غدا وهو أهنا عيشاً من الأثرياء فهو يأكل بعد جوع فيجد للأكل طعاماً ويشرب بعد ظمأ فيجد للماء لذة وينام بعد كد فيحصل له راحة وهو في أمن وسكينة يقول ﷺ: «من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها». أما الأغنياء في الغالب فلا يجدون لذة الطعام والشراب والمنام لكثرة تعبهم وأوقاتهم مشغولة بمتابعة أموالهم وهم خائفون على هذا المال من هبوط الأسعار والجوائح، فيا سعادة من وجد لقمة حلالاً وسلم من الدين ورضي بما قسمه الله له:

ملك كسرى يغني عنه كسرة وعن البحر اجتزاء بالوشل
اللهم أغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك.

خاطرة

لا أشرف ولا أعز ولا أسعد من الصدق، إنه تاج على رأس صاحبه فتجد الصادق قوياً شجاعاً واثقاً من نفسه آمناً مطمئناً مهيباً محبوباً وهذا الكنز العظيم ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

الفتيا مزلة

لا تحرص على الفتيا فإنها مزلة، وقد كان علماء السلف يفرون منها ويخافون عاقبتها لتقواهم وخوفهم من ربهم، تعرض على مالك

أربعون مسألة فلا يجيب إلا في ثمان والباقي بلا أدري . وكان الصحابة يتدافعون الفتيا ومنهم من كان يحمر وجهه خوفاً إذا سئل فخلف من بعدهم خلف أحبوا الفتيا طلباً للمنزلة والرفعة والتصدر عند العامة مع قلة البضاعة وضحالة التقوى وشح الورع، وهذا من الخذلان . وهل من العقل إنقاذ غيرك بإهلاك نفسك؟ فهل من تقوى تعصم من هذا الاندفاع في الفتيا .

لا تتشغل بالتوافه

أكثر المشاكل في البيوت من التوافه وغالب ما يحصل بين الزوجين لسبب بسيط تافه كعدم غسل الملابس أو تطيب البيت أو ترتيب المنزل فيستمر الشجار حتى ربما يحصل الفراق . ومن الحكمة عند مثل هذه الأمور الصمت من أحد الزوجين لأن المزايدة في الكلام والحرص على الرد من أحد الطرفين تأجج الفتنة وتزيد المشكلة اشتعالاً . فيا أيها الرجل صمتاً صمتاً حتى تضع الحرب أوزارها، أو خروجاً من المنزل حتى يسكن الغضب وتهدأ العاصفة، وليتنا نعطي المسألة حجمها فلا نضخم المسائل ونبالغ في الأحداث وما أحسن ذكر الله عند دخول المنزل والبسمة عند اللقاء ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ ١٧ ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ ١٨ .

خاطرة

من لم يتألم لم يعرف طعم الراحة، ومن لم يجع لم يعرف ذوق

الشعب، ومن لم يمرض لا يدري بنعمة الصحة، ومن لم يسجن لا يدرك روعة الحرية والانطلاق، والمصائب عبر.

فتح الباري لابن حجر

هذا الكتاب بين الشروحات كالغرة في وجه الفرس، اسمه الفتح لأنه فتح من الله عزّ جلّ، لم يأت بعده مثله لأنه لا هجرة بعد الفتح، بلغ الغاية في الضبط والإتقان، والتحقيق والتحرير، فلا عاش الحسود، مئات المراجع، آلاف المسائل، سيل لا ينقطع من الأفكار، والآثار، أمواج تتدافع من المعاني والعبر، يقدمه مؤلفه لكل محب للسنة في شجاعة، فلا نامت أعين الجبناء، هذا الكتاب روحاني الأداء، لأنه مملوء بالصلاة والسلام على الإمام الأعظم ﷺ، وهو جذاب لأنه ينتقل بك من روض إلى روض، ومن خميلة إلى خميلة، تبويب للبخاري يسر الناظرين، وسند كنجوم السماء، فارجع البصر هل ترى من فطور، وألفاظ الحبيب ﷺ التي هي أكاليل الكلام وتيجان الألفاظ، ثم تحليل دقيق للحافظ، جمع فيه بين الرواية والدراية، والنقل والعقل، في ذكاء عجيب، وقدرة فائقة ومهارة بارعة، والله در الهمم، ماذا أنتجت وكيف أبدعت، ثم خلف يأخذون عرض هذا الأذنى ويتجافون عن مجرد قراءة هذا التراث، والاطلاع على كنوز هذه التركة، ثم ينسبون أنفسهم للعلم والعلماء، ألا ما أبعد الهوة، وما أكثر الفرق، فيا طلبة العلم ويا أتباع الرسول ﷺ دونكم الفتح، دنا قطافه وطاب ثمره صنوان وغير صنوان، يسقى بماء واحد، أعوذ بالله من

خسة الهمم التي تناقلت بأصحابها فلا يقرءون ولا يفهمون ولا يحفظون ولا يعلمون، ولكن يأكلون ويشربون وينامون ويسرحون ويمرحون .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .

الزيادة

زيادة العلم بالتعلم، والعقل بالتجارب، والدين بالعبادة، والخلق بالتربية، والمال بالتدبير والاقتصاد، والأصدقاء بحسن الخلق، والأعداء بالكبر، والأمراض بكثرة الأكل، وجودة الرأي بالثبوت، وقوة القلب بالشدائد، وحسن الذكر بإصلاح الباطن .

القبول

من الناس من يتخاشع في مشيته ويظهر نسكه ويطأطئ رأسه يريد صيد قلوب الناس والمنزلة عندهم، فلا يزداد إلا بعداً ولا يجد حباً ولا قبولاً، لأن القلوب بيد علام الغيوب، فعامله وحده وأصدق معه ليقبل بقلوب العباد إليك . ومن هم الناس حتى تحرص على مدحهم هذا الحرص؟ هل هم إلا ذباب طماع وسحاب صيف، ودخان نار، الكلمة ترضيهم وتغضبهم، يقبلون إذا أقبلت الدنيا، ويدبرون إذا أدبرت، وإذا وثبت عليك بما لا تشتهي وثبوا معها، فيا إخوة عاملوا الله ودعوا الناس ودعونا من النسك الظاهري مع فساد القلوب، بل لاصلاح حتى نصلح الظاهر والباطن ليكون الظاهر طاهراً والباطن بلا باطل . والنيات النيات فإنها أصل كل عمل .

البطالة

تجد في الناس من يتخلف عن الصف الأول ويصلي في آخر الصفوف ويشكو من تطويل الإمام في الصلاة ويستعجل الخروج من المسجد ومع ذلك هو من أول من يحضر الولايم وجلسات اللهو ويحضر الطرب ويقف خارج المسجد فيحدث صاحبه طويلا، ثم لا يفتح المصحف إلا نادراً وهو مدمن على قراءة الصحف والمجلات، وذكره لله قليل وهو من أكثر الناس كلاماً فيما لا ينفع ويسرف في الإنفاق على نفسه وشهواته ثم هو لا يعرف الصدقة ويستثقل سماع موعظة من واعظ أو شريط ويرتاح لسماع الأغاني والقصائد، وما هذه إلا البطالة وموت قلبه وخسة همته . أعاذنا الله من موت القلوب وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته .

الأقرب فالأقرب

من الدعاة والوعاظ من اشتغل بالناس ونسي أهله وأهمل أطفاله بحجة دعوة الناس وإصلاحهم، وهذا خلل في الواجبات، فإن القيام على الأهل واجب ودعوة الناس نافلة وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول . ثم ما فائدة إصلاح الآخرين مع فساد الأهل وضياع الأطفال؟ حتى إن بعضهم لا يدري عن أمور أطفاله ولا عن مقدار حفظهم لكتاب الله ولا لدقائق حياتهم وأخبارهم . وهذا تفريط كبير وخطأ ضخم، فأعط كل ذي حق حقه ولا تطفف في الحقوق ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ .

نتوب إلى الله تعالى

المؤمن يذنب ويتوب، والفاجر يمضي قدماً في الذنب لا يندم على خطيئته ولا يستغفر من سيئته. والمؤمن إذا أخطأ انكسر وندم وتحسر، والفاجر يخطيء ويضحك لأن قلبه قد مات. ورأيت أناساً انطفأ نور الإيمان في قلوبهم فهم يستهزئون بالدين وأهله ويتفكهون بالعلماء ويسخرون من الدعاة وليس للآخرة عندهم خبر، وتراهم لا يتناهون عن منكر فعلوه ويذكرون صاحب اللحية فيغمزون ويلمزون وهؤلاء قل أن يوفقوا لتوبة وإنابة بل هم أبعد شيء عن ذلك لأنهم يرون أنهم مصيبون ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ ورأيت من الصالحين من إذا أذنب أظلمت الدنيا في عينه فبكى وشكى وانكسر وتأسف فعلمت أن في قلبه حياة فهو الموفق للتوبة ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾.

حسن التصرف موهبة

رأيت طالب علم يحفظ في سنن الترمذي، وحفظه بطيء، وقد أخذ عليه حفظه ليله ونهاره وقطعه عن كل شيء حتى عن القرآن، فعلمت أن الاختيار وحسن التصرف موهبة.

التخصص ركن من أركان النجاح

وهو أن يتعرف الإنسان على قدراته ومواهبه والعمل الذي يناسبه

ثم يتوجه إلى هذا العمل بقوته ونشاطه سواء كان هذا التخصص علماً كالشريعة أو الطب والهندسة أو عملاً كالتجارة أو الزراعة أو البناء لأن من علامات الفشل عسف النفس وإكراهها على تخصص لا يناسبها، وقد ذكروا أن انشتاين أكبر رياضي في العالم كان بليدا في بعض المواد كالإنشاء والرسم ولكنه لما توجه للرياضيات أتى بالعجب العجاب، ومثل سيبويه إمام النحو وعبقرى الدنيا طلب الحديث فلم يكن من اللامعين فيه فلما طلب النحو أدهش العالم لأن مواهبه تناسب مادة النحو وكم رأينا من طالب فاشل في بعض العلوم عبقرى في علوم أخرى فلو أن كل طالب وجه إلى ما يناسبه لكثر العباقرة والمنتجون. وهذا يعطيك معرفة بفشل بعض خطط التعليم العام الذي يقوم على حشر المواد على طالب صغير في السن مبتدئ في العلم، وبهذه الطريقة في التعليم يفشل الطالب في بعض المواد التي لا تناسبه ويضعف في المواد التي يرتاح إليها، وقد درست أنا وزملائي في مرحلة المتوسط سبع عشرة مادة بما فيها الإنجليزي والحساب والهندسة والجبر والعلوم بأقسامها الثلاثة الفيزياء والكيمياء والأحياء والتربية والثقافة وغيرها، فأصاب الفشل والإحباط أكثرنا في كثير من هذه المواد وضعف محصولنا في مواد الدين والعربي وما ذاك إلا لأن من قرر هذه المقررات تنقصهم الخبرة والإدراك التام بمعرفة مواهب الطلبة، ولو أننا درسنا أربع مواد وهي القرآن والنحو والتوحيد والفقهاء لاستفدنا فائدة عظيمة ولنبتغ منا من نبتغ وكنا ارتحنا من هذه الفوضوية في المقرر وقد خرجنا من هذه المرحلة أضعف ما يكون في المواد

الأساسية أما الإنجليزي والرياضيات والعلوم فعليها السلام لم نستفد إلا العناء والتشتت وكرهية هذه المواد لأننا كنا نحفظ في القرآن والفقه والأدب ونطالب بحل الواجب مع النشاط الثقافي فكنا في حالة من العنت والمشقة والجلد لا يعلمها إلا الله فنصيحتي لمن أراد أن ينجح أن يتخصص وأن يجمع ملكته الفكرية على واحد أو اثنين أو ثلاثة فحسب لترى العجب العجاب في التحصيل والنبوغ والنجاح.

العلم المُيسر

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، قال مجاهد: يسرنا العلم فهل من طالب علم. ومن خصائص العلم الشرعي سهولته ويسره، وما جاء تفسيره من قبل أهل البدع من المعتزلة وأمثالهم فإنهم أدخلوا مصطلحات وقعدوا قواعد ليست من الدين فاغترّ بها بعض أهل السنة فظنوا من الدين، فتصور صعوبة العلم وهوله على الناشئة وضخموا ظرف تحصيله واشترطوا حفظ متن في كل فن مع دراسة المنطق وعلم الكلام وشيء من الفلسفة فكلت قرائح الطلاب وفترت هممهم وبردت عزائمهم حتى تركوا طلب العلم جملة، وإلا فإن الصحابة طلبوا العلم في مدة وجيزة في يسر وسهولة فنفعوا وانتفعوا، فنصيحتي لطالب العلم أن يترك الطرق الملتوية العرجاء وأن يقصد إلى علم السلف كتاباً وسنة وعليه بفهم المقاصد وفقه النصوص أما الوسائل والحواشي والردود فإنها مضيعة للعمر مشغلة للقلب وليست من العلم، ولم تكن المتون إلا بعد القرن الثالث يوم كثرت

مصطلحات الأعاجم على العلوم، ومن رزقه الله بصيرة اهتم بحفظ القرآن وتدبره والعمل به ودرس حديث النبي عليه الصلاة والسلام وميّز بين صحيحه وسقيمه وتفقه فيه وأخرج كنوزه ثم تهيأ للآخرة وترك فضول الكلام وفضول العلم وفضول الخلطة وفضول المال فإن العمر أقصر من ذلك والموت يأتي بغتة والغفلة غالبة والذنب حتم والله المستعان.

الشدائد

للشدائد التي تصيب العبد فوائد عظيمة لا يدركها إلا من شرح الله صدره، وأنار قلبه، فمناها أنها تفتح الأسماع والأبصار والقلوب، التي خيم عليها ليل النعم، وأناخ بها ضيف الرفاهية، وغطتها حجب الغفلة، ومنها أنها تقوي القلب وتوقظه من غفلته، وتنبهه من سكرته، ثم هي التي تجود الرأي، وتجعله حصيفاً دقيقاً عميق التفكير، كثير التجارب، قوي الإدراك ثم إنها تذكر بالنعم، وتجعل لها قيمة في النفس ووقعاً عند العبد، ومذاقاً عظيماً بعد انكشاف الكربات، وطعماً لذيذاً بعد نزوح الغمرات، ثم إن للفرج بعد هذه الشدائد سروراً لا يعدله سرور، وحبوراً لا يماثله حبور، وكان مثل العرب الدارج يقول:

الغمرات ثم ينجلنّه ثم يذهبن ولا يجنّه

ثم إنها تعود العبد على الصبر والاحتمال، فيكون عنده من المران والتعود والتدرب على تلقي الأحداث ما يهونها ويسهل أمر الشدائد.

الجملة

من علامة جهل الإنسان فرحه بالدنيا ومبالغته في لباسه وافتخاره بنسبه ومنصبه وسروره بماله واحتقاره للناس، فإن هذا جاهل مرّكب، لأن هذه الأمور يشترك فيها كل العالم ويعطاها الكافر الخسيس والوثني الملحد، وإنما الفرح بالتقوى والطاعة والعلم النافع فحسب ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وِرْجَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ثم إن الدنيا ظل زائل لا تدوم على حال ومن عرفها قبحت عنده وهانت عليه:

دار متى ما أضحكك في يومها أبكت غداً قبحاً لها من دار

داء الغفلة

ركبت الطائرة مرات كثيرة فكنا بين السماء والأرض وهذا مظنة الخوف واللجأ إلى الله جلّ في علاه ولكن أكثر الركاب أو كلهم مشغول بنفسه وقراءة ما أمامه من صحف ومجلات ولم أر منهم من يقرأ القرآن ويبتهل إلى الله بدعاء فعلمت أن الغفلة غالبية: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾. ويا لنا من قوم غافلين حقاً نمطي الجو ونحن في الفضاء على قطعة حديد ثم نضحك ونلهو وكأننا نيام ولو كان في القلوب حياة لتضرعنا ولدعونا الله وأكثرنا من الاستغفار وتذكرنا الموت وجددنا التوبة ولكن القلوب صدأت والذنوب تتابعت وأكثر الجلساء عاطلون فارغون وشهوات الدنيا كالحمة مع قلة الطاعة فهل من ناصح لنفسه يصيح بها عليها أن تستفيق فقد تَقَضَّى العمر في اللهو فيا حسرتاه من هذا

الإعراض: ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ وهل للإنسان عمر آخر غير هذا العمر فلماذا نصرفه صرف الأحمق المبذر للدراهم وليس الغبن هنا لأن القلب في موت ولكن الغبن هناك إذا بعثر ما في القبور وحصل ما الصدور وعرض الكتاب المنشور.

من القلب إلى القلب

كان كلام السلف يؤثر في القلوب وكان وعظهم يقدح في النفوس لصدقهم مع ربهم وطاعتهم لمولاهم وأصبح الواعظ فينا اليوم - إلا ما ندر - مثل العامة فلا قيام ليل عنده ولا زهد صادق ولا معاملة خاصة مع الله، وبعضهم صار الوعظ عنده وظيفة يتقاضى عليها راتباً شهرياً وربما وعظ الناس ليؤدي العمل الوظيفي فلا تجد لوعظه قبولاً، وقد كان ابن سمعون الواعظ الشهير يرضى بالقليل ولا يأخذ من أحد شيئاً ويلزم المسجد كثيراً وهو الذي وعظ عضد الدولة الملك الجبار حتى أبكاه فأرسل له كيس ذهب مع الخادم وقال للخادم: إن قبل الذهب فاقتله وجثني برأسه فلما أعطاه الذهب رده وقال: قل لسيدك أنا لا آخذ على وعظي أجرة وهذا ثوبي له معي أربعون سنة إذا دخلت بيتي طويته، وكان أبو معاذ الرازي إذا وعظ الناس تحول المجلس إلى مناخة وربما أغمي على الكثير منهم حتى قالوا عنه: لو ضرب بسياط وعظه الصخر لذاب، ولو ربط إبليس في مجلسه لتاب، وكان بعضهم يمرغ وجهه قبل الموعظة في التراب ويلح على ربه ويبيكي ويسأله

القبول وأن يكون لكلامه وقع . وأصبح الواعظ فينا اليوم همه حسن كلامه ناسيا العمل فصار كلامه بارداً .

لستان ما بين البيزبيين في الندى يزيد بن عمرو والأغر بن حاتم

معرفة بلا عمل

عرفت من الناس من يعرف الحلال والحرام ويذكر الموت ولقاء الله عز وجل ولا يعمل بمقتضى ذلك، فليس لديه خشية ولا قيام بالأوامر ولا ترك للنواهي . وحادثت أناساً يخلّون بالصلاة فإذا لديهم قصص في التقوى وأخبار عن الصالحين وأحاديث عن السلف فعلمت أن المعرفة شيء والعمل شيء آخر وأن الفاجر لا يخالف الأمر لجهل ولكن لقلة الخوف وعدم المراقبة فلا يغرّنك كلام من تكلم حتى يعمل لأن القول سهل والعمل صعب والمحك : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

فائدة

خير الوعظ والتدريس ما كان سهلاً واضحاً يفهمه العامة وينتفع به الخاصة، وهذا نهج القرآن والسنة، أما مخاطبة نخبة من الناس بكلام خاص فهذا له نفعه في حدوده وزمانه فحسب، وقد يحتاج إليه وتبقى البركة والنفع الأعم في مخاطبة الجمهور .

ودع التوقع للحوادث إنه للحي من قبل الممات ممات فالهم ليس له ثبات مثلما في أهله ما للسرور ثبات

لولا مغالطة النفوس عقولها لم يصف للمتيقظين حياة

وإن تعجب فعجب أمرهم

تذاكرنا أنا وبعض الإخوة أمر كبار السن مع غفلتهم عما يراد بهم صباح مساء وكلنا غافلون في الجملة لكن هؤلاء أصبحوا على سفير القبر وذهب طيش الشباب منهم وضعف العظم ووهن الجسم ومع ذلك كأنهم صبيان في تصرفاتهم ولك أن تصدقني، لقد زرت أديباً مشهوراً قد زاد على الثمانين فإذا هو يكتب عن أودية ورمال الجزيرة العربية. فقل لي بربك: ما فائدة هذا العمل في الدنيا ومردوده على الناس؟! أما في الآخرة فبالإجماع لا ينفع شيئاً، وعرفنا رجلاً قارب التسعين شارك مع فرقة الطرب والرقص كأنه ابن عشرين سنة. ورأيت شيخاً كبيراً يفرط في المزاح ويضحك ويلهو ويلغو كأنه طفل. فسبحان من قسم العقول وأيقظ من شاء وأغفل من شاء لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

مختارات

* لما رأى سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قوماً يتنفلون في المسجد بين الظهر والعصر قال: ليست هذه العبادة، العبادة هي: التفكير في دين الله والفقهِ عن الله.

* خالط الناس ودينك لا يَكْلُمُونَهُ - ولا حكيم إلا ذو تجربة - والوقار مع الناس والدعابة مع الأهل.

* سبحان الله ما أنفع صحيح البخاري مهما كرر ومهما قرئ من كتب

غيره .

* كلمة معاذ رضي الله عنه لرجل وصاه فقال: «قم ونم وضم وأفطر واكتسب ولا تأثم وابدأ بعمل الآخرة ثم عد إلى حظك من الدنيا ما تنظمه انتظاماً» أو كما قال .

* لما كان يخلو ابن المبارك رحمه الله مع كتبه قيل له في ذلك قال: «أجالس الرسول ﷺ وصحابته .

* ما أحسن أن يجمع الخطيب والواعظ آيات وأحاديث ثم يوشحها بأسلوبه الجميل وبقليل من كلام الأئمة وبيسير من جيد الشعر والأمثال والقصص .

* الإلحاح في الدعاء توفيق من الله ، والله عز وجل يقول بعد أن يبين أنه أصلح لذكريا زوجه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ وعمر رضي الله عنه يقول: «إني لا أحمل همَّ الإجابة ولكن أحمل همَّ السؤال» .

* قال بعضهم: إني لأستغفر الله حتى أنال مطلوبي ولا يمنعني كوني في الطريق أو في السوق وربما استغفرت ألف مرة .

* ﴿ أَلَا إِنَّ آيَاتِ اللَّهِ لَأَخَوَفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، لا في الدنيا ولا في الآخرة فليَمَّ الحزن والهمُّ إذا .

* ما أرق ساعة يخلو فيها المسلم مع رقائِق الآيات والأحاديث والأشعار والسير فيذكر الموت ويسكب عبرات التوبة ودموع الإنابة .

* من له همة عالية ومقصد نبيل فليحفظها في قلبه وليكتم سره ثم يعمل في وسائلها ولا يثنيه لومة لائم أو إغراء مغر أو مراعاة أحد .

* ما برز الأخيار والنبلاء إلا بالشجاعة والثقة بالنفس، وإلا فإن عند غيرهم بضاعة وكنوز ولكنهم تخوفوا وجبنوا فما شعوا وما لعوا.
 * المكرر أحلى، والعلم النافع ما اعتصم في كل مسألة فيه بدليل.
 * على المبتدئ أن يخفي نفسه ويدس شخصه ولا يتعجل الظهور حتى يرش ويغلظ ساقه والبدايات لها أثر في النهايات.
 * كلمة: لي، وأنا عندي، لا تليق بالعبد الفقير المسكين العاجز.
 * إذا اختلطت الأصوات وكثر اللغظ فليكن لك عند الله رغبات في الذكر والدعاء فهذا وقت الهمة العالية.

فما أطال النوم عمراً وما قصر في الأعمار طول السهر
 * المفسدات كثيرة منها فضول الكلام والنظر والخلطة والطعام والنوم والجماع، وكثرة النوم تضيع الوقت على السالك، وأول اليوم مرحلة مباركة للمسافر تقطع عليه المسافات العظيمة..
 * كثرة الخلطة بالناس تعود النفس الخمول والكسل عن طلب العلم والعبادة فهي - أي الخلطة - إما للنفع أو لرفع السامة والملل.
 * المعجم الهندي هو من عامل الله بالتقوى فنشر الله طيبه بين الناس فأحبهه القلوب.

* أنفع التفسير هو معاني الكلمات اللغوية ومقاصدها أما التعلق بكلام الناس، وتشقيقاتهم فهو بعيد عن التفسير ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾.

* الخلق الحسن وجه طليق وكلام لين، وأجمع تعريف له هو (ترك الغضب).

- * الصادق يعرف صدقه في لحظه ولفظه وسماته ونبرة صوته .
- * عمر رضي الله عنه يوم السقيفة يقول: وكنت زورت في صدري كلاماً لأقوله . فعلى المتكلم قبل أن يبدأ أن يهدأ ويجمع أفكاره ويركز ما يقوله ويبينه في صدره أولاً ثم يتكلم .
- * من فقه الخطيب ترتيله وترسله في كلامه وتقليل إشارته وهدوء نبرته وقوة حجته .
- * من جلس معك فلا تتركه حتى تزرع في قلبه خيراً ولو بكلمة أو حركة أو إشارة .
- * دقائق الليل غالية فلا ترخصوها بالغفلة ، والوقت هو الحياة .
- * انظر لكتب شيخ الإسلام لما فيها من فقه ويسر وشمول وهذا من فتح الله عليه .
- * قال ابن المبارك: من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة .
- * رب آية واحدة من كتاب الله تعالى تحدث في القلب أثراً عميقاً واستجابة حية وسماعها بقلب واع وسمع يقظ كفيل بالحياة .
- * بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ، والكرامة لزوم الاستقامة ، وثبات النفس على الخير بلا تأخر نصر عليها .
- * الجلوس مع البطالين حُمى الربيع ، ما جربت انفرادك في طريق وسيرك مع الناس بالنسبة لذكرك وتفكرك .
- * استمع أو اتل أو طالع أو أذكر الله ولا تضيع من وقتك شيئاً ، إذا كانت

لك حاجة فأوجز في قضائها.

* إذا جالست الناس فأكثر من التبسم والصمت، ولا تكن مع الذين يجعلون ما رزقهم الله في ظهورهم وفي بطونهم.

* سئل أحدهم عن قرص الشعر فقال: هو عمرك فاصنع به ما شئت.

* من راعى الناس في الطاعات فاته خير كثير.

* هل تذكر فوائد الذكر الخفي كما ذكرها شيخ الإسلام؟ فقال أحد

العارفين: لا تيأس من عدم حضورك مع الذكر فالفتح نفحة.

* من كلام الزهري رحمه الله تعالى: (من أخذ العلم جملة فاته جملة)

والبخاري رحمه الله تعالى يرى إدامة النظر في المحفوظ احفظه.

* من كلام ابن عون: (ثلاث أحبهن وأحبهن لإخواني فذكر: تدبر القرآن

وتفهم السنة وكف الأذى عن الناس).

* الماجريات مهلكة للوقت (وهو ذكر ما جرى للشخص في الحياة) وطول

العمل مع زيادة في المعرفة.

* من كلام ربيعة بن عبد الرحمن: (لا ينبغي لمن عنده شيء من العلم أن

يضيع نفسه).

* يقول الحسن في النفاق (ومثله الرياء): ما خافه إلا مؤمن وما أمنه

إلا منافق.

* العمامة تصنع الشيخ، وطالب العلم يعرف بجلوسه وخشوعه ودخوله

وخروجه وسكينته..

* صاحب القرآن يعرف بليته إذ الناس ينامون، وبصومه إذ الناس يفترون،

وبصمته إذ الناس يخوضون، وبحزنه إذ الناس يضحكون.

* كما تقدم أن الجودة مع القلة، فمن ألزم نفسه بتدبر القرآن وتفهمه صعبت عليه الختمة، وكذلك الصلاة فمن أقبل عليها بخشوع وإخبات صعبت عليه الكثرة، بينما عدم الجودة تغري بالتكثير والسرعة.

الإطلاع الواسع

لا تزيد القراءة صاحبها إلا معرفة وسعة أفق وكلما طالع الإنسان تراث الناس وثقافتهم كلما اتسعت دائرة معرفته ونما عقله خاصة إذا قرأ النافع المفيد. وإنني أتأمل أموراً ظهرت لي وتجارب انكشفت لي ليس سببها إلا المطالعة في الكتب فقد مرت بي العجائب والغرائب والتجارب والمصائب وطويت أمامي القرون طيّ السجل للكتب وكأن الأمم جمعت أمامي في صعيد واحد فيا من صبر على العزلة وفتح له باب المعرفة ومصاحبة الكتب لا تأسف على شيء فاتك فما فقدت إلا حاسداً أو ملولاً أو ثقيلاً أو بغيضاً أو أحمقاً ومن ذاق حلاوة العزلة مع الكتب النافعة لا يريد بها تبديلاً ولو أعطي ملك كسرى وقيصر.

القول السديد

وجدت أن اللسان مفتاح لقلاع الإنسان ورأس الأعضاء وأن الكلمة لها أثر على القلب والعمل، وأن أكثر الذنوب من اللسان بل قال بعضهم تسعة أعشار الذنوب من اللسان: ككلمة الكفر والكذب والنميمة والغيبة والسخرية واللعن والشتم وغيرها من الذنوب ومن وقى شر لسانه فقد وقى، ثم إن اللسان سريع الأثر كالسيف المسلول أحياناً

يغلبك على قول كلمة تندم عليها حيث لا ينفع الندم، وتجد العابد قائم الليل صائم النهار ثم يغتاب أو يكذب فيذهب أجره، وتجد العالم الورع المتقي تزل منه كلمة جرح في مسلم فتبقى فيه ثلثة لا تمحى. ومن نصح نفسه سجن لسانه وأطال حبسه فإن لم يستطع فليعتزل الناس ما استطاع فإن من جلس مع الناس وأطال معهم الجلوس جرّوه إلى الكلام شاء أم أبى، ولو لم يكن من الجلوس معهم إلا فضول الكلام لكفى بها خسارة فإن غالب الناس فارغ من الاهتمامات صفر من الهمة يسأل عن الأخبار والأسعار والأمطار ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ولو كان عندنا هم لبخلنا بوقتنا ولزمنا بيوتنا وبكينا على ذنوبنا. لكن سكرة الهوى غالبية والعادة لازمة وليس لها من دون الله كاشفة.

احذر أبا نؤاس الشاعر

احذر أبا نؤاس إن قريضه سم ويدعو الناس للعصيان
أبو نؤاس شاعر مهتك، شعره مجون وسخف وانحطاط فما عليك
إلا بمصادرة ديوانه إن كنت تريد حظراً صحيحاً على القلب وصيانة ثقافية
للأهل ورقابة على الأجيال ولا نرى أدباً مثل هذا الأدب العاري الذي
يدعو لسوق الرذيلة ويحطم الفضيلة ولا يخدعك ثناء بعض الأدباء
على ديوان أبي نؤاس فذلك مبلغ علمهم ولو نهلوا من معين القرآن
والسنة ورضعوا ثدي الثقافة الراشدة الواعية ما قالوا هذا الكلام، لكن
الهوى غلاب والرشد غائب والعقل في حجاب والنفس أمارة.

إياك وكتاب الأغاني

كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني على سعة دائرته وكثرة شواهده كثير الأذى ظاهر الفحش مليء بالسم وصاحبه رقيق الديانة عديم الورع. واقتناء مثل هذا الكتاب ضرر على الأبناء وليس للعبد أن يورث أهله ما يسوءهم ويساعد على بعدهم عن الدين فإن الكتب يقرؤها الولد والضيف وتبقى تبعثها على من جاء بها فاحذر هذا الكتاب. أقوله عن معرفة تامة بالكتاب ففيه من التفسخ وقلة المبالاة والكذب ما يكدر خاطر ويزعج القلب ولا يغرك مدح ابن خلدون له فهو نظر إلى شيء وسكت عن أشياء و عليك في الأدب بأنس المجالس وروضة العقلاء وعيون الأخبار والعقد الفريد على حذر من هذا الأخير. وكتاب الأغاني تنقصه الأمانة في النقل والرشد في الرأي والنصيحة في الدين فقد حشاه صاحبه بالمجون والفحش وفيه تسهيل للمعصية وتحبيذ للمخالفة فويل لهم مما كتبت أيديهم:

أما الأغاني فهو مورد شبهةٍ فالأصفهاني في الأغاني جاني

ضياع العمر

واحسرتاه تَقْضَى العمر وذهبت الأيام مع نقص في العمل وتقصير في السير وكل يلام ولكن أعظمنا لوماً شيخ طعن في السن يتابع الرياضة مفتون بالكرة وآخر يحضر مجالس الغيبة ولا يذكر الله إلا قليلاً، ورأينا من بلغ الثمانين وهو في حفلات الطرب يرقص كأنه

ابن عشرين وكأنه لا يعلم أنه على شفير القبر. وكل هذا من الخذلان وعدم التوفيق. وماذا عليهم لو أدمنوا ذكره سبحانه وحفظوا العمر بالطاعات وأكثروا من الصالحات وبكوا على ما سلف من السيئات. هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها ما بال أشيب يستهويه شيطان

القرآن يدعوك للسعادة

القرآن يدعو إلى حسن الظن بالله، والتوكل عليه، والفأل الحسن، والثقة بموعد الحق سبحانه، وانتظار الفرج منه وتيقن اليسر بعد العسر، ويحذر من الحزن على ما مضى لأنه مكتوب، والخوف من المستقبل لأنه غائب، ويعد بالغنى بعد الفقر، والعزة بعد الذلة، وينهى عن اليأس والقنوط والإحباط وسوء الظن والشك ويأمر بإخراج دغائل النفس وأمراض القلوب، من حسد وحقد وغل وشحناء واجتناب التجسس وتتبع العثرات والفرح بالزلزلات، ويأمر بالصفح والعفو والصبر والإحسان والغفران، وكتم الغيظ وحبس الغضب، وحسن الخلق.

إن هذا الكتاب الكريم أعظم كتاب يدعوك للسعادة والفرحة والسرور والحبور والبشر، إنه يبشرك أن اهدأ وأثبت واسعد وتفاءل وافرح واستبشر فإن وراء الليل صباح، وخلف الأكمة روضة، وبعد المفازة نهر، وعند الصخرة عين باردة، ومع الشمس ظل، وبعد التعب نوم هادىء عميق مريح ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

السنة في خطبة الجمعة

صلينا مع خطيب جمعة فأطال بنا طويلاً يدع الحليم حيراناً، أنسى آخر خطبته أولها وخرج من موضوع إلى آخر وأسهب في السرد وأطنب في الحديث حتى ذهب روح الخطبة ورونقها ونام بعض الناس، أما علم هذا الخطيب أن أعظم الخطباء عليه السلام كان يوجز في خطبته مع حسن كلامه وروعة بيانه وإشراق لفظه ويقول: «إن قصر خطبة الرجل وطول صلاته مِثْنَةٌ من فقهاء». ومعلوم أن الكلام إذا زاد عن الحاجة أصبح كالكوب المملوء ماءً إذا زيد عليه ماءً تحدر منه بلا نفع، فيا أيها الخطيب اتبع السنة وأوجز في الكلام وحسن اللفظ وارفق بالناس فإن منهم من حضر إلى المسجد قبلك بساعات، ثم ما هو الداعي لحشد الموضوعات بعضها في بعض وكثرة هذا الكلام الإنشائي؟ إنه دليل على العيِّ وعدم الإمام بالموضوع.

للنجاح خطة عمل

لكل ناجح في الحياة هدف يسعى إلى تحقيقه، وخطة عمل مرسومة أو برنامج معروف مدروس يسعى إلى تحقيقه؛ وإذا سألت أحدهم عن هدفه فقال لك: لا أدري، فاعلم أنه فاشل لن يذوق النجاح في حياته فطالب العلم مثلاً لا بد أن يحدد مراده ومستقبله وهدفه وتخصصه إن كان يريد أن يكون مفتياً فعليه بدراسة الفقه وأصوله وفتاوى أهل العلم وأدلة المسائل والخلاف والإجماع، وإن أراد أن يكون واعظاً فعليه بدراسة فن الخطابة والتأثير وحسن العرض والقصص والشواهد

والأمثلة، وإن أراد أن يكون قاضياً فعليه بدراسة الأحكام وأحوال القضاة وأبواب التشريع وواقع الناس، وبهذا التحديد والتركيز والضبط ينجح طالب العلم في تحديد مراده والوصول إلى هدفه، كما أن أهل الطب لهم تخصص في الأسنان والجراحة والباطنية والأنف والحنجرة فكذلك أهل العلم الشرعي لا بد لكل واحد منهم من مجال يجيد فيه، وكان الصحابة رضوان الله عليهم لكل منهم وجه من الخير يجيده فمعاذ بن جبل أعلمهم بالحلال والحرام وعلي بن أبي طالب في القضاء وأبي بن كعب في قراءة القرآن وزيد بن ثابت في الفرائض وحسان بن ثابت في الشعر، وحذيفة في أحاديث الفتن، وابن عباس في التفسير.

الفنيمة الباردة

ما رأيت أنفع ولا أسهل ولا أصلح من ذكر الله عز وجل فإنه عبادة دائمة في كل زمان ومكان ثم إنها لا تكلف مالم ولا جهداً، وهي أسعد شيء للنفس وأشرح عمل للصدر، ومن عباد الله من فتح الله لهم باب الذكر فولجوه وأدمنوا ذكره وشكروه فقطعوا المفازات إلى ربهم وسبقوا العباد مع راحة الأجسام فهيناً لمن أكثر ذكر مولاه، ووصيتي لنفسي وإخواني ملازمة الذكر وصرف جلّ الوقت له والتأنق في رياضه فإن غالبنا في هذا العصر لا يقوم الليل ولا يتنفل بالصيام وليس هناك قتال للعدو فبقي لنا هذا الباب العظيم وحق علينا أن ننهج العمل الميسر فهو جنة الله في أرضه من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

أحسن الفوائد

- * أحسن الفوائد ما جاء من نتائج الأفكار، ولأن النصوص موجودة محفوظة.
- * بعض المصائب تقويم للنفس ورد لها عن الغي وحجب لها عن الردى، فسبحان من قوم عباده بشيء من التأديب.
- * يذهب نور العلم بالمعاصي، ومخالطة أهل الدنيا والانغماس في الملذات، والتقصير في النوافل، فيصبح العلم عيادا بالله في اللسان فقط، فلا نور ولا هيبة ولا وقار ولا سكينة.
- * الغرم بالغنم.
- * الخراج بالضمان.
- * النعمة تقيد بالشكر.
- * إذا ذكر العبد تقصيره سكت عن وعظ الناس، وإذا ذكر أمانة العلم تكلم، والتكلم بالخير أنفع مع لوم النفس على التقصير.
- * إذا جاءك الشيطان وأنت تنصح وتعظ وقال: هذا رياء، فلا تطعه، وانفع وأفد وانصح.
- * المبارك أينما كان هو الذي يدعو إلى الله بحاله ومقاله في كل وقت.
- * أعط المسألة حجمها في الحديث والاهتمام، ولا تتجاوز الحد، فإن القرآن أعطى كل مسألة مساحتها من الكلام.
- * الرؤى المحتملة تعبيرها بما يصلح حال الرائي ويحثه على الخير.
- * كرر النظر فيما تكتب مع الحذف والزيادة والتهديب والتأنق.

- * اطلب ولا تضجر من مطلب .
- * طوبى لمن كان مقصوراً لحاجات الناس .
- * الكلام اللين والوجه المنبسط موهبة ربانية للمؤمن .
- * تراجم الصحابة عمل ، وتراجم من بعدهم كلام ، يقال في الصحابي :
حضر المشاهد كلها ، وجرح يوم كذا ، وهاجر الهجرتين ، وحضر
بيعة العقبة ، وانفق أمواله في سبيل الله ، هكذا .
- * اضرب في كل غنيمة بسهم من العبادة ، وأكثر من العبادة التي تسهل
عليك .
- * كل أحد ترضيه إلا الحاسد ، فإن إرضاءه زوال نعمتك .
- * حق القرآن تلاوته وتجويده وحفظه والعمل به والشفافي به ،
والتحاكم إليه ورد الأمور إليه .

فائدة

من أنفع شروح الحديث كتاب (التمهيد) لابن عبد البر، ففيه من الأصلة والاعتناء بأقوال المتقدمين وحسن السبك، وقوة الترجيح ما يفوق الوصف، وهو عندي من أعظم الشروح إن لم يكن أعظمها .

الترشيح العلمي

عرفت أستاذاً طاعناً في السن، مدرساً في الثانوية يقرأ قراءة قل من قرأها ويطلع مطالعة ندر أن يطالعها أحد، فهو يلتهم كل ما يقع على بصره من كتب في مختلف الفنون وقد جمع مكتبة هائلة وجلّ وقته

للقراءة ولكنه مبعثر المعلومات لا تخرج من كلامه بقضية مدرسية مترابطة أو نظرية راشدة واعية أو استنباط رشيد ولم يؤلف ولو مذكرة ولم يلتق ولو خطبة وإنما يحفظ كلمة من كتاب وبيت شعر من كتاب آخر وقصة من تاريخ وحكاية من قصاص، والحق أن المقصود من المطالعة ثمرتها وفائدتها ونفعها وأثرها وهو ما عاد على صاحبها بالنفع في قوله وعمله وما عاد على أمتة بالفائدة من نصيحة أو درس أو كتاب وليس لهذا الإغراق في المطالعة والإدمان في القراءة فائدة ظاهرة ونفع متعدٍ فهو نوع من التسلية التي يمارسها الناس كتسليتهم بسباق الخيل ومشاهدة المباراة:

إذا لم يفدك العلم خيرا فخيروا منه أن لو قد جهلتنا
وإن ألقاك فهمك في مغاوير فليتك ثم ليتك ما فهمتنا

فقه الإجابة

الرسول ﷺ أحكم الناس إجابة، كان إذا سأله سائل نظر في حاله ثم أجاب على حسب هذه الحال، سأله أبو ذر رضي الله عنه أن يوصيه وأبو ذر غضوب فقال له: «لا تغضب» ثلاثاً، وأوصى عبد الرحمن بن سمرة وكان مرشحاً للإمارة فقال: «لا تسأل الإمارة»، وسأله شيخ كبير عن باب يتمسك به فقال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»، لأن الذكر أفضل عمل وأسهله لهذا الشيخ، وسأله غيلان الثقفي وكان قوي البنية: ما أفضل عمل يوصيه به فقال: «عليك بالجهاد في سبيل الله». وعلى ذلك قس فالحكيم ينزل الناس منازلهم ويوصيهم بما يناسبهم وتصور حال السائل يعين على صواب الإجابة. وحبذا التدرج في تعليم الناس والرفق

بهم واحتساب الأجر في تعليمهم فإن الكلمة الطيبة صدقة ورب كلمة إرشاد ونصح قالها قائل ولم يلق لها بالا كتب الله بها من النفع والتأثير ما لا يجده وصف ولذلك عظم قدر العلماء المعلمين حتى صار يستغفر لهم الحوت في البحر، والنملة في بحرها، وصار الفقيه الواحد أشد على الشيطان من ألف عابد، وفضل العلم أفضل من فضل العبادة، وهنياً لمن أنفق من علمه وجاد بما آتاه الله من فضله والله ذو الفضل العظيم.

جنة الدنيا وعقول العلماء

الكتب جنة الدنيا، تجمع لك عقول العلماء والكتاب والشعراء والمؤرخين بل تختصر لك الزمان والمكان.

ثلاث صفات ذميمة

ثلاث صفات ذميمة هي أخطر ما يفتك بالإيمان، الكِبْر والرياء والحسد. فالكِبْر داء المترفين، والرياء داء العبّاد، والحسد داء العلماء.

العُجْمَةُ العلمية

عرفت طلبة علم غاصوا في أصول الفقه إلى آذانهم فغرقوا في مصطلحاته وحواشيه وردوده حتى أثر على لغتهم العلمية فأصبح عندهم وسوسة عند الكلام يتحرزون من إطلاق بعض العبارات ويحتاطون عند المصطلحات ويحذرون من الاسترسال في الحديث فأصبح في ألسنتهم حبسة وفي كلامهم عجمة وما ذاك إلا لكثرة تعاملهم مع الحواشي وكلام

أهل الأصول خاصة منهم علماء الكلام لأن علم الكلام والمنطق ومصطلحات المعتزلة غلب على أصول الفقه، وإلا فالشريعة سهلة ميسرة وأسلوب القرآن والسنة مشرق بهيج أخاذ، وانظر إلى من عايش القرآن والحديث وكلام السلف كالأئمة الأربعة وابن تيمية وابن القيم وعلماء الحديث ما أحسن كلامهم وأبينه وأبلغه ينساب كالشهد ويسيل كالماء الزلال ويهب كالنسيم، فيا إخواننا في الله ما هذه العجمة العلمية عند النطق، وما هذا الاحتراز عند الحديث وعلماء الإسلام كان الواحد منهم إذا تحدث خلب الألباب وأدهش العقول وأسر النفوس فلماذا ذهبنا نقتات ثقافة الأمدي وعبد الجبار المعتزلي والبزدوي الحنفي؟ أصبحنا نلوك الكلام كأننا أعاجم وهل هذه الشقشقة الأصولية لها أصل عند علماء السلف؟ ولك أن تطالع مقالات ابن تيمية وهو يغير على هذه المصطلحات ويحذر من تصعيب العبارات وتعسير المعرفة ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بِشَرِّ لِسَانٍ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾، قد جلست إلى علماء الحديث فكان الواحد منهم يتكلم بيسر وسهولة وإطلاق وإشراق أما بعضهم فإذا تحدث علاه العرق ثم تنحنح ثم استدرك ثم توقف ثم سعل ثم عبس وبسر حتى قلنا: ليته سكت.

بركة العلم

من طلب العلم لله تزود كل يوم علماً، وفرح بالفائدة، وذاكر بعلمه، وأحب الكتب والعلماء، وظهرت بركة العلم عليه، وشغل نفسه بالتحصيل ليلاً ونهاراً.

العين حق

عليك أن تتحفظ من العين فإنها حق وهي تصيب من ظهرت عليه النعم فلا تظهر ما عندك واكتم أمرك فإن لكل نعمة حاسداً وإنما قال يعقوب عليه السلام ليوسف: ﴿لَا نَقْضُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾. خوفاً عليه من حسدهم وكذلك قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾. مقصوده حمايتهم من العين فإن العين كالرصاصة بل أسرع، وكثير من الناس إذا أعجبهم شيء أصابوه بالعين، فأخذ الحذر منهم وارد والعبد يكون وسطاً بين إظهار النعم وكتمها وجحدها. ومن الناس من يتصافح في المجالس ويذكر كثرة محفوظاته وعلومه ويحاول أن يبرز مواهبه وهذا خطأ فإن العين له بالمرصاد وكذلك من يذكر أمواله وأملاكه بتبجح، ومن عرف طمع النفوس وجشعها احتاط لنفسه وتدرع بالكتمان ما أمكن والله الحافظ وأخذ السبب واجب والتفريط عاقبته الندم. وخذوا حذرکم واعقلها وتوكل.

هموم العائلة

من تأمل كثرة الأولاد ومطالبهم ومشاكلهم اهتم لذلك وحزن فكل ولد بهممة وكسبه وتعليمه وتربيته وعلاجه وهذا يشغل القلب ويتعب الجسم ولكن من نظر إلى أجر القيام بالعائلة هان عليه التعب من طلب الرزق لهم، والكد على الأهل أفضل من نافلة العبادة والولد الصالح بعد موت أبيه عمل جاري لوالده وإذا مات الولد في حياة والداه شفع لأبويه حتى أن بعض الصالحين قال: أفضل أيامي إذا بكى أطفالي

يطلبون مني خيراً، والبنات حجاب من النار وهم زينة الحياة الدنيا ولو كان الإنسان عقيماً ما تلذذ بعيش، ورب طفل كان سبب بركة الرزق على أهله ورب ولد صار له مستقبل في العبادة والزهد والدعوة. فلا تتبرم بالأطفال واصبر على تعبه ثم إن الأولاد سلوة ومنتعة لا يعادلها متعة المال، والحياة كلها كبد ونكد فلا بد من الصبر عليها والله المستعان.

إذا كمل العقل نقص الكلام

الصمت وقلة الكلام من الأدلة على تمام العقل وبالمقابل فكثرة الكلام خاصة فيما لا يعني شاهد على نقص العقل وأنت تجد النساء والأطفال والحمقى من أكثر الناس كلاماً لأن صاحب الروية والعقل يعد الكلام عليه لا له ثم إنه يتناقل ما يقول فيندر كلامه بينما الجاهل خفيف اللسان، الكلمة على طرف شفته فهو سريع الجواب سريع الحركة سريع الانفعال، وعلى العبد أن يعود نفسه محاسبة لسانه وحبسها طويلاً والتفكر فيما يقول ويتدبر العواقب فرب كلمة أوجبت ذنباً وقطعت رأساً وأشعلت حرباً وهتكت سترأ، اللهم سلم سلم، فيا أيها العاقل الفطن أدرك لسانك وخذ بزمامه وقيده فإنه أسد هصور وجمل هائج غشوم، وعد ألفاظك وأحص جملك فإن ما تقوله يكتب وما تتلفظ به يحسب ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

البقاء للأفضل

أين دولة أمية في الأندلس؟ أين الداخل والناصر، أين ابن زيدون ولسان الدين الخطيب؟ أين الزهراء وقرطبة وغرناطة وأشبيلية؟ ذهب

الكل وبقي ابن عبد البر وابن حزم بقي العلم وذهبت الدنيا بقي التراث النافع المفيد وفنيت القصور والدور، ابن عبد البر وابن حزم الظاهري معنا دائماً في بيوتنا في مدارسنا في جامعاتنا في مساجدنا في كتبنا، أما ملوك الأندلس وقصور الأندلس وحدائق الأندلس وأموال الأندلس فقد ذهبت واندثرت وفنيت وهذه من أعظم العظائم على سمو العلم وجلالته وعظمته وخلوده. فهل من طالب علم؟.

الخلطة الضارة

نصحت نفسي ونصحتك من خلطة ضارة وهي التي يضيع فيها العمر ويشت فيها القلب فغالب الناس مشغولون بدياهم ومنهم الحاسد للنعمة والشامت بالمصيبة، وفيهم ثقيل الظل بارد الروح، ومنهم من لا يرتاح حتى يغتاب، وآخرون في غفلة من أمرهم لا يريدون علماً ولا يهمهم عبادة، فمن ساير الناس ووافقهم وأكثر من مجالستهم ماتت همته وانظفت جذوته وتبلدت أحاسيسه، وما بقي أسلم للعبد من بيته يكف فيه سمعه وبصره ويسلم الناس من أذاه ويجمع حسناته ويستغفر من سيئاته ولا يغرنك الذين يقولون: العزلة من صفات الصوفية. فإن هؤلاء ما أوصلهم إلى الحضيض وأنزلهم إلى هذا الدرك إلا خلطتهم الضارة وعدم معرفة شرف الزمان وقيمة الوقت ونفاسة العمر.

أبو الطيب المتنبي

عجبت من هذا الشاعر في قوة أخذه وجزالة ألفاظه وإشراق

معانيه، وليس شعره كثير كغيره من الشعراء فديوانه قرابة خمسة آلاف بيت ولكنها شرقت وغربت، وأجود شيء عند المتنبىء الحكمة ويمكن أن يجتمع له خمسمائة بيت كلها سائرة شاردة، ولكن الرجل في نفسه مسكين يلهث وراء الشهرة والمنصب والمال فليس له حظ من الطاعة ولا نصيب من العبادة، وهذا يدل على أن الإنسان قد يقول الحكمة ولا يعمل بها، فإن الشيطان نصح أبا هريرة بقراءة آية الكرسي كل ليلة فقال له ﷺ: «صدقك وهو كذوب»، ونعود للمتنبىء فقد أوتي الرجل حظوة شعرية منقطعة النظير وصار حديث الركب وقصة السمر وكاد أن ينسي غيره من الشعراء فهو في الشعراء كابن تيمية في العلماء، وأحسن من شرح ديوانه الواحدي ولن تجد شرحاً كشرحه.

اتركوا الغرائب أيها الوعاظ

بعض الوعاظ يريد اصطياذ قلوب الناس بغرائب القصص وعجائب الحكايات وكثير منها لا يصدقها العقل ولا يؤيدها النقل ولماذا هذا الإغراب على الناس؟ أليس في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وكلام سلف الأمة ما يكفي في باب الوعظ؟! ولماذا يعرض الوعاظ نفسه لتهمة الكذب بإيراده شواذ الأخبار من كرامات معاصرة ما سمع الناس بها ومن حوادث مذهلة ما شهد بصحتها أحد ومن مغامرات ومجازفات تحير الإنسان؟ فالصدق الصدق! وحدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون وخاطبوا الناس على قدر عقولهم والسلام.

البداية والنهاية

من أحسن كتب التأريخ كتاب البداية والنهاية لابن كثير لأن صاحبه عالم محدث ثقة ثم إن فيه من كل زوج بهيج من سير العلماء والأدباء والخلفاء والملوك وأخبار الدول ويورد من كلام الزهاد ما يرقق القلب وفيه أشعار مليحة وطرائف بدیعة. ومؤلفه صاحب غیرة دینیة حتی أنني رأیت غالب العلماء یقرؤون هذا التأریخ بنهم ویستحضرون أخباره ومن قرأه بتدیر ثمر له معرفة بأحوال الأمم والدول واعتبر بمن مضى واتعظ بتجارب السابقین واستفاد عقلاً إلى عقله وتیقن تفاهة دنیا وسرعة زوالها وجفاءها وقلة صفائها وأن الآخرة هي المقر وأن الجنة هي المقصد الأسمى، وأن المناصب والأموال عاریه، ثم إن من عنده تاریخ یطیب مجلسه وتغزر فوائده وتتنوع علومه وکم من نکتة علم زجرت عن ردى ودلت على هدى! وکم من بیت شعر حرّک فی القاریء شجوناً! لكن المخدر لا یحس والمبنج لا یعی: ما لجرح بمیت إیلام.

من حقوق الرسول ﷺ

من حقوق الرسول ﷺ العمل بسنته ونشرها، والذب عنها، وكثرة الصلاة والسلام عليه مع عظیم حبه.

بين الخوف والرجاء

كتاب مدارج السالكين وإحياء علوم الدين وقوت القلوب خوف

قاتل ويخشى على من أدمن النظر فيها أن يصاب بياس وقنوط، ويقابلها كتاب العواصم والقواصم لابن الوزير فقد فتح باب الرجاء على مصراعيه وأفرط في ذلك حتى أنه يخشى على من قرأه أن يستهين بالذنوب، والحق أنه لا هذا ولا هذا بل الوسط هو المطلوب ولا يكون هذا إلا في القرآن والسنة الصحيحة. فنصيحتي إدمان النظر والتدبر لكتاب الله وما صح عن رسول الله ﷺ.

كل المشارب غير النيل أسنة وكل أرض سوى الشهباء جرواء وبعض الوعاظ لا يتكلم إلا في الموت وسوء الخاتمة والبكاء وأثر الذنوب والعقوبات ونحوه، والبعض الآخر لا يتحدث إلا في الرجاء والمكفرات وقبول التوبة وسعة المغفرة وعموم الرحمة، والأحسن أن يكون الواعظ فقيهاً حليماً لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم مكر الله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ فينبغي أن نقرن الخوف بالرجاء ونحسن ظننا بربنا ونسيء ظننا بأنفسنا، فيا من أراد أن يقرأ: طالع المصحف وما جمعه الإمامان البخاري ومسلم وعليك بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وأكثر من الاستغفار وقلل من علائق الدنيا فالموت منك قاب قوسين أو أدنى.

لكل مقام مقال

بعضنا إذا حدث العامة خرَّج الحديث من كافة مصادره وذكر شواهدة والحكم على سنده وربما ساق السند بكامله وهذا من قلة الفقه، والبعض إذا درس العامة الفقه ذكر الأقوال وأدلة كل قول مع القواعد الأصولية وهذا هوج علمي، والبعض يترك الوعظ من الكتاب

والسنة ويحدثنا من أخبار الشوارع والأسواق وهذا كلام فارغ .
 فيا من أراد تعليم العامة اليسر اليسر والتبسيط التبسيط واترك
 التكلف والتفهيق «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» .

إن ربك لبالمرصاد

ينبغي أن تكون ذنوبك نصب عينيك تستغفر منها دائماً وتخاف من
 عواقبها أبداً فإن الأمر خطير ورب ذنب فعلته ونسيته وهو في الطريق، ورب
 معصية صغيرة صدرت منك فاستهنت بها فصارت كبيرة، فاسترض ربك عليه
 يرضى عنك واطفيء جمر الخطايا بدمع الندم وادفع بالحسنة السيئة وكرر
 الاستغفار واطلب الغفار أن يقلل العثرة ويمحو الزلة ويستر ما صار ويغفر ما
 حصل فإن استهنت بذنوبك ونسيت خطاياك ولم تجد ندماً ولا أسفاً
 ولا تحسراً ولا انكساراً فأحسن الله عزاءك في قلبك فقد مات وعوضك الله
 خيراً في إيمانك فقد فني، ولو كان فيك حياة لبكيت ولو كان فيك حياة
 من الله لرجفت وأنبت ولكن ما لجرح بميت إيلام .

عبيد أنفسهم

رأينا رجلاً ممن انتسب إلى العلم لا يرى إلا نفسه يقطع المجلس
 بالحديث عما ألفت وكتب ومن عرف ومن لقي وكلما ذكر له عالم هوّن
 من شأنه وإذا مرّ باسم داعية حطّ من قدره وبين أغلاطه وذكر أخطائه
 وإذا ذكرت له طالب علم تجاهله وصغر شأنه فما زاده هذا التصرف
 إلا مقتاً عند الناس وانصرافاً عنه فكان إذا حضر جمعاً قل من يسلم عليه

أو يحييه أو يعانقه. والنفوس تنبو عنه والأبصار لا ترمقه والنقد والتجريح ينصبّ عليه من كل حذب وصوب جزاءً وفاقاً فيا عبد الله عامل الله واحم لسانك من أعراض إخوانك وطهر قلبك من الضغينة على عباد الله يصفو لك الجو.

متى تكون حكيماً؟

لن تكون حكيماً حتى تعيش التجربة بنفسك، وتذوقها بآلامها ومصاعبها حينها تكون عارفاً بالأمور متمرساً بالأحداث، عنياً بالحكم، أمّا مع السلامة والعافية فسوف تكون عادياً كسائر الناس، والطريق الذي طوله ألف ميل يبدأ بخطوة.

مسائل

* يقول أبو معاذ الرازي الواعظ الشهير: في الأثر: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها. قال: يا عجباً ممن لا يدري محسناً إلا الله كيف لا يحبه، وهذا من أحسن الكلام، والمعنى: أنه ليس هناك محسن حقيقة ولا منعم أصلاً إلا الله الواحد الأحد، ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ فإن الله ينعم على العبد تفضلاً وكرماً وجوداً لا لمصلحة من العبد مرجوة ولا لرهبة منه وخوف، وفي الحديث الصحيح: «يا عبادي: إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً،

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً.

* أقرب الطرق إليه سبحانه العبودية له، يقول موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾، ويقول في دعاء مأثور: «اللهم لك الحمد، وأنت المستعان وبك المستغاث، وإليك المشتكى، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك». ومضمون هذا الدعاء عبودية ومسكنة وإذعان، وعن رسولنا ﷺ أنه كان يدعو ويقول: «اللهم إني أدعوك دعاء الخائف الضريب، دعاء من ذلت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه»، وهذا هو عين الفقر والتذلل. وأبعد الطرق إليه سبحانه التكبر والتجبر والاستغناء عنه، يقول سبحانه ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ وقال سبحانه: ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَبْضِعُونَ ﴾ وقال سبحانه ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ فَكْفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَفَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ ﴾ فكلما تذلت له وأذعنت وتواضعت وخضعت وأنبت وافتقرت كلما رفعك وأعزك وأعلاك وأكرمك واجتباك وتولاك وحماك فسبحانه لا إله إلا هو.

* محبة الله عز وجل تتفاضل على حسب إيمان العبد وتصديقه وعبوديته فمن مقل ومستكثر، ولذلك أثبت ﷺ أصل المحبة لشارب الخمر لما جلدوه وسبه بعض الصحابة، فقال: «لا تسبوه، أو لا تلعنوه، فما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»، وقرأت عن بعض علماء المعتزلة مع ما عنده من مخالفة السنة ينشد:

وحبك لو أدخلتني النار قلت للذين بها قد كنت فيمن يحبه
 وغاية المحبة هي محبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لربهم،
 وهي تقديم ما يرضيه وما يحبه على كل هوى للنفس، ومن ادعى
 محبة الله فعليه الدليل، لأن البينة على المدعي، ومن البينات اتباع
 رسوله ﷺ، ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾
 ومنها القيام بالفرائض والتزود بالنوافل عليها، «ولا يزال عبدي
 يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع
 به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي
 بها، ولئن سألتني لَأُعْطِيَنَّهُ، ولئن استعاذني لأعيذنه» الحديث.

* منطق التذلل له سبحانه هو منطق عباده الصالحين، أحدهم يقول:
 ﴿وَالَا تَعْفِرْ لِي وَتَرَحَّمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾، وبعضهم يقول:
 ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، وثالث يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ
 فَقِيرٌ﴾، وإبراهيم يقول: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ
 الدِّينِ﴾.

ومنطق التكبر والتكبر هو منطق أعدائه سبحانه، ففرعون يقول:
 ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ
 لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وأحدهم يقول: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾،
 والثالث يقول: ﴿لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾، وكان بعضهم يقول: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ
 هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَاتِ عَظِيمٍ﴾.

فأبغض الكلمات ثلاث: أنا، وعندني، ولي.

لأن إبليس قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ .
 وقارون قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ .
 وفرعون قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ .
 فاعرف أيها العبد نفسك تعرف ربك سبحانه .

* الله واحد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وتجد لفظ الواحد الأحد متميزاً في القرآن ﴿وَاللَّهُ كُذِّبَ إِلَهًُ وَاحِدًا﴾ ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ، ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ .

وكذلك يرد نفي غير الإله الواحد سبحانه . ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَكَانَ إِلَهُ مَكَانٍ إِلَهُ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدًا﴾ .

فالتجرد والتفرد هو سر التوحيد، فلا شبيه له سبحانه ولا مثل ولا شريك ولا ضد ولا ند، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، بل واحد أحد فرد صمد ولم يولد، فأسماءه سبحانه لا تشبه الأسماء، وصفاته لا تشبه الصفات، وأفعاله لا تشبه الأفعال . ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

* ومن أحب الأعمال إلى الله عز وجل انكسار القلب وذلته وفقره وحاجته إلى مولاه وخالقه وربّه، ولذلك يبتلي الله بعضهم بالذنوب لينكسر عجبها وكبرها وتزول أنفتها، ويسلس قيادها لمولاه، وهذه من الحكم العظيمة في الذنوب، وربما كان هذا سر كون التائب

يفرح الله بتوبته، فإن التائب محزون الفؤاد نادم منكسر أواه منيب، وفي الحديث الصحيح، «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم».

ولذلك اجتبى الله آدم وداود بعد الذنب، ورفع درجاتهما لما تابا، فكم من ذنب أدخل صاحبه الجنة، وكم من طاعة أدخلت صاحبها النار، كما قال بعض السلف، وهذا معناه أن صاحب الذنب تاب وندم وأقلع وانكسر قلبه لربه.

وفي مسند أحمد: (لا يقضي الله قضاء للعبد إلا كان خيراً له).

قال ابن تيمية شيخ الإسلام: حتى قضاء المعصية على العبد إذا ندم وتاب واستغفر وأتاب كانت تلك المعصية في حقه خيراً، قلت: يدخل هذا في عموم قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ وقوله: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وعند مسلم: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن».

نصيحة

لا تسرف في صرف المال واترك التبذير والبذخ، فما بقي أحد يعطي إلا ببيع الكرامة، وإراقة ماء الوجه، ومن اقتصد صلح حاله وكلها أيام، والموعود عند الله غداً.

الملاحدة

قرأت سير الملاحدة وأخبارهم وأشعارهم فإذا عذابهم الدنيوي قد
نغص عليهم فهم في عثرات ونكبات ولم يردعهم هذا من الاستمرار
على كفرهم وإعراضهم لأن قلوبهم ماتت ثم هم مع إلحادهم تعساء في
حياة من الرعب والقلق والتمزق مواصلين التحدي والمكابرة والإصرار
على باطلهم ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لِئَمِّنَ هَادِرٌ﴾ وقد تركوا شراً مستطيماً على
الأمّة بما خلفوه من تراث وقانا الله شر ما قالوا وما كتبوا وحمى الله
أجيالنا من رجسهم، فويل لهم مما كتبت أيديهم.

صبر على الإملاق وانتصار على الفقر

واسمع لثلاثية من الأدب الصادق، للعالم الرباني، جامعة
المناقب، العبد الصالح المنيب، سفيان الثوري يقول وهو يقاوم الجوع
في تحد وإصرار:

سيكفيك عما أغلق الباب دونه وضمن به الأتوام ملح وحررق
وتشرب من ماء الفرات وتغتدي تعارض أصحاب الشريد الملبق
تجشى إذا ما هم تجشوا كأنما ظللت بأنواع الخيص تفتق

الأناقة

الأناقة هي حسن المظهر وجمال المخبر ولطيف المعشر، وهي
بسمة مقتصدة لا عبوس فيها ولا قهقهة، وهي اتزان في الحركة لا طيش

فيها ولا ثقل، وخفة روح لا تهتك معه ولا جفاف، الأناقة أن تحسن ملبسك فلا تخرج للناس مبعر الهيئة منفوش الشعر شعث الرأس، طيب الرائحة كأن في جيبك زهرة، لين الكلام وكأن على لسانك تمرة، سليماً من الأحقاد كأن في قلبك جنة، واثقاً من نفسك كأن في نفسك دولة، الأناقة هي النظام في النفس والجسم والبيت والمكتب والسيارة وهي الترتيب حتى وضع الحذاء عند الدخول وفي وضع الصابون في الغسل وفي خلع الملابس عند النوم وفي المصافحة عند اللقاء، الأناقة مشي بسكينة وقول بوقار وجلوس بهدوء ونداء بلطف وعمل بحكمة ودعوة برشد، الأناقة أن لا تحمل قلباً غاشاً ولا تلبس ثوباً دنساً ولا تجالس غاوباً ولا تمازح جاهلاً ولا ترافق فاجراً، والأناقة حفظ الحدود وصيانة النفس والدفاع عن المبدأ والذب عن الحرمات وتعهد الأمانة وطهارة النفس من أوضار المعصية وأدناس المخالفة وأرجاس الفسوق: كن جميلاً ترى الوجود جميلاً.

العلم النافع

ليس العلم بكثرة المعلومات عن الناس والزمان والمكان والأشياء فقد يكون عند الكافر من هذا ما ليس عند المسلم، ويظن بعضهم أنه إذا عرف دقائق السياسة وتفاصيل الاقتصاد وجزئيات التاريخ صار عالماً علماً نافعاً مباركاً وهذا وهم فإن من الملحدين من ألم بعلم السياسة ومهر في الاقتصاد وصار من أساطين التاريخ ومن رواد الفن وبعضهم يظن أن العلم بكثرة الكلام والإيراد والجدل

والقدرة على النقاش والتمكن من الحوار والصحيح أن العلم النافع هو ما نفعك في الدنيا والآخرة ليس في الدنيا فحسب لكن معها الآخرة وهي المقصود الأهم لأن من العلم ما نفع في الدنيا فحسب كالاختراعات التي قام بها مثل أدسون وأنشتاين ونيوتن وغيرهم لكن هؤلاء ليسوا مؤمنين إنما نفعهم هنا فحسب وأجرهم ما حصل لهم من مال وشهرة وحظوة، وتكريم من الناس فالعلم النافع المبارك يقود للفضيلة وينهى عن الرذيلة ويمنع النفس عن الغي ويحجزها من الهوى ويردها عن الردى ويحفظها من المهالك ويوصلها إلى الرضوان الأكبر والنعيم الأعظم والخلود الدائم في مقعد صدق عند مليك مقتدر وهذا في الكتاب والسنة وما والاهما وصار في فلكهما من كل علم وتخصص .

شيء بشيء

- لا يصلح الوعظ إلا من تقي زاهد عفيف عامل صادق .
- ولا تصلح الفتوى إلا من عالم ورع عاقل مع دليل .
- ولا تصلح الخطابة إلا من فصيح مليح صاحب بديهة وغزير مادة .
- ولا يصلح العفو إلا من قوي قادر، ولا السؤدد إلا من صابر على الشدائد مجرب للأمر .
- ولا يصلح التأليف إلا إذا كان ذا جدة وعمق، مع ابتكار في الطريقة وإبداع في العرض وجمال في اللفظ .

ولا يصلح الزهد إلا من واجد وليس بفاقد، أطاعه قلبه في عصيان هواه ووافقته نفسه في محاربة شيطانه .

الكسل عدو النجاح

وصف الله أعداءه المنافقين بقوله: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ﴾ وقال ﷺ: «وأعوذ بك من العجز والكسل» فلا بد من النشاط في أخذ الأمور ومزاولة الحياة: ﴿ خُذِ الصِّكْرَ بِقُوَّةٍ ﴾ والكسل مرض خطير إذا حلّ في شخص أقعده عن كل خير وحرمه كل نجاح ومنعه من كل فضل، والجعلان هذه الحشرة القذرة لما كسلت عن الطيران رضيت بتقليب كل نتن وأذى، وأكسل الحيوانات الخنزير، ولذلك لا يتعب في تحصيل رزقه وإنما يأكل العذرة وأمثالها وليس فيه غيره وفيه ديانة ولذلك حرم أكله فمن أراد النجاح فعليه بالجد والاجتهاد وسهر الليالي في طلب المعالي ومسابقة الأيام ومغالبة الرجال:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

فصلاة تؤدى بكسل صلاة لا روح فيها ولا نفع .

وقراءة بكسل لا فائدة فيها .

وعمل بكسل لا نجاح فيه .

وليس السبب في رسوب أكثر الطلاب بلادتهم وقلة فهمهم بل كسلهم في المذاكرة وقد وجد أن أكثر من يرسب هم من متوسطي الذكاء لكنهم لم يجتهدوا في المذاكرة والمواظبة وكم من شخص عادي

فاق زملاءه من النابغين لأنه اجتهد وثابر وواظب وهم تكاسلوا وسوفوا حتى فاتتهم الفرصة وذهب عليهم النجاح، وسنة الحياة أن من جد واجتهد وتعب حصل وأفلح وفاز ومن زرع حصد ومن صبر ظفر، وقد اعترف كثير من النابغين والعباقرة في العالم أنهم لم يحصلوا على التفوق بذكائهم المفرط بل بمثابرتهم وجدهم وإلا فإنهم متوسطو الذكاء في الغالب وقد وجدنا من أصدقائنا وزملائنا من كان متوقداً الذكاء ولكن لكسله وفتوره لم يحقق نتيجة تذكر بينما حصل غيرهم من متوسطي الذكاء على أفضل النتائج بسبب إصرارهم ومثابرتهم وجدهم ونشاطهم وهذا مثل السلحفاة والظبي فإن السلحفاة انطلقت في طريقها بجد واجتهاد واعتمدت على نفسها في قطع المسافة فسبقت الظبي وهو أسرع منها وقد انطلقا في وقت واحد لأن الظبي أخذ يتوقف ظناً منه أن سرعته وشدة عدوه سوف تضمن له الفوز ولكن فاته الزمن وغلبه الكسل والتسوية فسبقت السلحفاة.

لا تغلوا في دينكم

من أكثر مطالعة تراجم العلماء وقرأ سيرهم ومناقبهم أعجب بهم لأنه لا يرى إلا المحاسن ثم زاد إعجابه بهم إذا عرف أهل عصره ونقصهم ومثالبهم فتنمو عنده حاسة الإعجاب بهم إلى درجة الغلو خاصة إذا كان أهل التاريخ والسير لا يذكرون أخطاء أولئك العلماء فيظن هذا القارئ أنهم كانوا مبرئين من النقص سالمين من العيب والواجب أن تبقى منزلة العصمة للرسول عليهم الصلاة والسلام، وأن

يعلم المطلع على سير العلماء أنهم بشر يخطئون ويصيبون وإن كتب بهم لحظ الجمال والجمال مجال مدح ولم يرد ذكر الزلات والهفوات فلا تغل فيهم، وترحم عليهم، واذكر محاسنهم ولا تلحقهم بالأنبياء، وكن عادلا في الحكم ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتَّابُ لَاتَقْلُوبًا فِي دِينِكُمْ﴾.

لا تحتقر رأي أحد

لا تحتقر رأي أحد مهما كان، فإنني استفدت من أناس ليس عندهم علم كثير، ولا يشار إليهم بالبنان وليسوا في أماكن مرموقة ولكن عندهم من سداد الرأي ما يفوق كبار الناس والله في خلقه أسرار.

خاطرة

مخالطة الناس في مجالسهم وأسواقهم تعمي القلب وتظلمه، وتكدر خاطر وتكسب الإثم.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

سطعت على الصحراء فالروض أخضر
جزيرتنا في مقلتيك وديعة
وأشرفت للبدو الحفاة فهللوا
على موعدهم وافيتنا يا إمامنا
وألقيتنا في خيمة الحب بعدما
رسمت على الدنيا من الحب نخلة
وجئت إلى الدنيا وفجرك مزهر
وهذى رمال الزيت مسك وعنبر
وأشدت للأطفال شعرا فكبروا
فكل فؤاد في معاليك منبر
رشفنا معين الهجر وهو مفطر
وسحر عسير في الأنوف معطر

مع الوحي نسري أو مع الآي نسمر
وأنت لها بين الخلائق دفتر
وإن كان نهرو بارعاً فهو مدبر
ولينين عاتٍ في الضلال وهتler
صلاة تؤدى أو كتاب يفسر
وأنت بحكم الله تلعو وتكبر
ولا بلشفيأ بالرسالة يكفر
على بركات الله ترسو وتبحر
ولا فرز أصوات وحزب يثرثر
مع مصحف يجلو الظلام ويهر
لمالٍ يُرجى أو حطام يكدر
بصدق يكاد الصخر منه يفجر
أجل من الجوزاء والله يأجر
على فضله منهم نكير ومنكر
وقالوا لنا في المجد كسرى وقيصر
به العيش يحلو والخليقة تفخر
فإنني بألقاب العروبة أكفر
ظمأت ولو سالت على الأرض أنهر
علي ملايين من الناس تبصر
علينا فدياننا بخور ومجمر
وشعر كثير الناس خمر وميسر

مع الملة الغراء طاب رحيلنا
كتبنا بأقلام الوفاء وثيقة
فإن كان تيتو منقذاً فهو ملحد
وصولات نابليون موت ولعنة
وأنت حنيف مسلم ثابت الخطا
همو صغروا بالظلم والبطش والخنا
فلم تك بعثيا يحارب ربه
ولكن بك التوحيد سل حسامه
وما حزت ملكاً بانتخاب وقرعة
ولكن بسيف كالقضاء مهند
فعفواً لك الله ما جئت مادحاً
ولكنني لعلعت بالشعر منصفاً
ولم أتكسب بالقريض فهمتي
ولكن خشينا أن يقال تكتموا
إذا عظم الأوغاد أصنام دهرهم
فحجنتنا الكبرى رسول هداية
إذا لم يكن رمز العروبة أحمد
وإن لم يكن من زمزم الوحي مشربي
ولو قلت إن الفجر ليل لأنكرت
ثناء كأن المسك شق قميصه
وشعري من سحر البيان معتق

الأعلام يمدحون الكتب

أحمد بن حنبل شكى إليه رجل الوحشة، قال: عليك بالكتب،
عبد الله بن المبارك يقول له أصحابه: لم لا تجلس معنا؟ قال: أنا
أجلس مع الرسول ﷺ والصحابة، أنتم تغتابون الناس، وكان يجلس
مع كتبه.

عبد الله العمري يقول: لا أنفع من كتاب..

المأمون يقول: لا أمتع من النزهة في عقول الرجال.

الجاحظ يقول: الكتاب نعم الأئيس في الوحدة، والصاحب في
الخلوة.

يقول المتنبى:

أعز مكان في الدنى سرج سابع وخير جليس في الزمان كتاب
الجرجاني يقول:

ما تنعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
عالم آخر يقول: ما حصلت العلم حتى جعلت الكتاب كالمرعى.

ادخلوا في السلم كافة

* المسلم يعتني بباطنه وظاهره، فينقي قلبه من الشرك والرياء
والحسد، والغل والحقد والكبر والعجب ونحوها، وينظف ظاهره

من الأوساخ، فيقص شاربه، ويقلم أظافره، ويحافظ على خصال الفطرة، ويغسل ثوبه، ويداوم على أن يكون طيب الرائحة، ويحافظ على السواك ونحوها.

* رأيت من يحفظ متوناً في العلم وهو قد أنسي القرآن، ورأيت من يقرأ في كل كتاب إلا في القرآن، والله في خلقه شئون.

* اجمع بين ذكر اللسان وذكر القلب.

* تزول الجبال ولا تزول الطبائع.

* من شب على شيء شاب عليه.

* ترك المباحات ليس شرطاً في النجاة، لكنها لا تناسب المكانة العالية في الجنة.

* الانغماس في مخالطة الناس يضعف العبادة، واطلب العلم، واهتم بأعمال القلب.

* إذا كان أكل الطيب يزيد في العبادة فهذا مطلوب: ﴿يَتَائِبًا الرُّسُلَ كُلُّوْا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾.

* كلم الناس بلغة عصرهم ومتطلبات واقعهم.

* تأن في التأليف وابدأ وأعد وحرر، فقد مكث أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الغريب أربعين سنة، ومكث أرنولد توينبي المؤرخ في كتابه دراسة التاريخ أربعين سنة.

* احذر أن يفقدك ربك حيث أمرك، أو أن يراك حيث نهاك.

* الذي لا يحفظ القرآن ولا يكتب الحديث فلا تثق بعلمه.

الشريعة مقاصد وأسرار

الشريعة كتاباً وسنة تلقي الكلام على السامع وثوقاً بفهمه لأن الخطاب عربي نزل بلغة العرب في تصاريف كلامهم، ويفهم السامع السوي صاحب اللغة سياق الكلام إذا كان عاماً أو خاصاً أو ظاهراً أو مطلقاً أو مقيداً أو فيه إضمار أو كناية، لأن العرب يتحدثون بهذه اللغة، ولا يحتاج المتكلم أن يفسر ما خفي في السياق، والسامع عارف بفهمه ماذا يريد من هذا الكلام، فلما دخل الداخل على اللغة، وكثر المخالط من غير أهل اللسان، وطال الزمن وبعدت فترة التنزيل، جاء أهل التأويل والتحريف والتبديل وتحميل الكلام ما لا يحتمل ودعوى المجاز والإضمار إلى غير ذلك من الأسماء التي لم تكن عند الصحابة الأخيار، فإنهم كانوا يسمعون الشريعة قرآناً وسنة فيفقهونها بلغتهم، ولم يقفوا محتاجين إلى خطاب آخر وبيان ثان، فمثلاً سمعوا قوله سبحانه: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ﴾ فأجروه على ظاهره، وفهموا أن هذا الجدار على وشك السقوط، فبناه موسى عليه السلام، فلما جاء المتأخرون قالوا: الجدار جماد، وليس له إرادة، لأن الإرادة للحي فكيف يريد الجدار، فلا بد أنه استعار الإرادة له، فكأنه حي، ثم استمروا في هذه المماحلة، والصحيح أن العرب تفهم هذا من خطابها، ولا تحتاج إلى بيان آخر في فهم لغتهم إذا أرادوا التعبير عن وشوك سقوط الجدار قالوا: يريد أن ينقض، وكذلك سمع الصحابة قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ فهموا هذا الكلام

على ظاهره، وأن القرية تسأل، لأن كل عمار مسكون فهي قرية، فلما جاء المتأخرون قالوا: في الكلام إضمار، تقديره وأسأل أهل القرية، فكأنه عندهم حذف كلاماً وأبقى كلاماً، وإلا فاللغة العربية الصحيحة تنطق بهذا، ويفهم السامع صاحب اللسان المراد دون حذف ولا إضمار ولا تأويل.

وكذلك سمع الصحابة قوله تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ فأجروه على ظاهره دون زيادة ولا نقص وفهموا المراد، لأن هذه لغتهم، والقرآن نزل بها، فهم يقولون مثلاً: اخفض جناحك لفلان، يعني ارحمه وتواضع له، فلما جاء المتأخرون قالوا: في الكلام تشبيه واستعارة، لأن الجناح لا يكون إلا للطائر وهذا خطأ منهم، لن اللغة العربية هكذا يتكلم أهلها دون نكير.

مضرب الأمثال

في العدل عمر، في الكرم حاتم، في الحلم الأحنف، في الزهد إبراهيم بن أدهم، في الوعظ ابن الجوزي، في الشجاعة عنترة، في الحمق هبنقة، في العيِّ باقل، في الذكاء إياس، في الخطابة سحبان وائل، في الشعر المتنبي، في الفقه أبو حنيفة، في الأدب الجاحظ، في الترسل القاضي الفاضل، في الطب جالينوس، في المقامات الحريري، في الجمال يوسف، في الصبر أيوب، في الملك سليمان، في الوفاء السمائل، في الصدق أبو ذر، في الظلم الحجاج، في الكذب مسيلمة، في النفاق عبد الله بن أبي، في الإقدام عمرو بن

معدي كرب، في الخط ابن مقلة، في الغناء معبد، في التاريخ ابن خلدون، في التصوف الجنيد، في الحكمة لقمان، في علم الرجال يحيى بن معين، في الحديث البخاري.

أفضل الخلفاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعدلهم عمر رضي الله عنه وأقرأهم أبي بن كعب رضي الله عنه وأقضاهم علي رضي الله عنه.

وأحلم خلفاء بني أمية معاوية، وأدهاهم عبد الملك، وأصلحهم عمر بن عبد العزيز، وأسوأهم الوليد بن يزيد، وأدهى بني العباس المنصور، وأسعدهم بالملك هارون الرشيد، وأعلمهم المأمون، وأشجعهم المعتضد، وأبطشهم السفاح، وأكثرهم حفظاً للشعر الواثق، وأشعرهم ابن المعتز، وأكثرهم تهوراً الواثق، وأكثرهم اطلاعاً على أخبار الرعية الناصر.

دراسة التاريخ

التاريخ لمن طالعه بتدبر ثروة من العظات، وكنز من التجارب، وحشد هائل من العجائب، ويرى غوستاف لوبون أن التاريخ عرض بسيط للنتائج الصادرة عن مزاج الأمم. ويرى ابن خلدون أنه سجل لإبداعات البشر وسقوطهم.

أما ابن مكسويه فيرى أنه كتاب لتجارب الأمم.

والصحيح أن التاريخ حسب قارئه، فإن قرأ للمتعة والتسلية فهو

حكايات ومغامرات وقصص رائعة، وإن قرأه بإمعان لأخذ العبرة وطلب العظة والغوص على الحقيقة وكشف السنة الربانية، فهو جامعة كبرى يتعلم فيها الإنسان الحكمة، ويستخلص منها النصيحة، ويتعلم فيها الخبرة، ويعود منها بنظر دقيق، ورأي عميق وبصر نافذ ﴿فَأَقْصِبْ أَلْفَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

وفي التأريخ أمان للنفس المصابة عند قراءة أخبار المصابين، وسلوة للقلب المفجوع عند سماع أنباء المفجوعين ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ .

وفي التأريخ الاعتبار بمصارع الغابرين وأخذ الحيلة من خطأ المخطئين، مصائب قوم عند قوم فوائد .

وفي التأريخ مسرح للروح في ساحة الدنيا، وجولة للفكر في فضاء الدهر ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ .

والتأريخ مطرقة إنذار للأمم، وصيحة بعث للأجيال، وسوط تأديب للشعوب، والتأريخ لسان ناطق بالثناء والهجاء لمن عبره من عالم وسلطان، وقائد وثوري، ومؤلف ووزير، وخطيب وشاعر ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ .

والتأريخ لا يقرأ لتحفظ جملة، وإنما يطالع لتدبر عظاته وعبره، وليعلم سنة الله في الأمم، وكيف نصر أوليائه ومحق أعداءه، وأكرم رسله، وأهان محاربيه ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ .

وفي القرآن أصول التأريخ، فإنه يورد الزبد من القصص والعبر والوقائع والمحصلة من المثالات، والخلاصة من الأحداث في قانون ثابت، وسنة مطردة لن تجد لها تحويلاً ولا تبديلاً، وفق توجيه إلهي حكيم، فسبحان المدبر ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾.

والحاسد فضل عليك

قال أبو الحسن التهامي:

ما اغتابني حاسد إلا شرفت به فحاسدي منعم في زي منتقم
فالله يكلو حاسدي فأنعمهم عندي وإن وقعت من غير قصدهم
ينبهون على فضلي إذا كتبت صحيفتي في المعالي عنونت بهم

لا تأسف لأنك محسود بل احمد الله لأنك لست حاسدا، فكونك محسوداً دليل على علو شأنك وارتفاع محللك وسمو قدرك وهو برهان على نعم الله عليك المتتابة، واعلم أن الحاسد دعاية مجانية لك وإعلان مستمر بفضلك وهو طريق قصير لشهرتك، ثم إنه يسوق حسناته إليك طوعاً ويحمل من سيئاتك، وإذا رأيت الرجل قد كثر حساده فاعلم أنه عظيم يستحق الانتباه وإذا رأيت الرجل غير محسود فاعلم أنه تافه بسيط لم يرشح للمقامات العالية.

الرضا

الرضا بالله ربّاً يلزمك أن ترضى بأحكامه الشرعية، فترضى بأوامره ممثلاً، وترضى بنواهيه مجتنباً، وترضى عنه سبحانه إذ عافاك

وشافاك، ومن كل بلاء حسن أبلاك، وترضى عنه إذا أمرضك وأسقمك، وترضى عنه إذا أجلسك على صهوة المجد وذروة المنصب فتشكره ولا تكفره، وترضى عنه إذا وضعك في السجن وحيداً فريداً، وترضى عنه إذا أغناك وحباك، وترضى عنه إذا أفقرك وأعدمك، لأنه سبحانه يحب أن يرضى عنه، فهو حكيم لا يُشكُّ في حسن وصلاح قضائه، وهو مدبر لا يُتَّهم في جميل تدبيره، وهو يختار الأجل والأكمل والأفضل لعبده، فلا يُعارض اختياره بكره، ولا يُصادم تقديره برفض، ولا يُجابه فعله برد.

والرضا باب اليقين الأكبر، وبستان العبودية الأخضر وهو مستنزل الرحمة، ومستدر الزيادة، ومستوجب الرضا منه، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ والرضا مطردة للهموم والغموم، مذهبة للأحزان، وهو علاج التردد والحيرة والاضطراب، لأنه التسليم بالحكمة، والتصديق بالشرع، والركون إلى اللطف والاطمئنان لحسن الاختيار، من دخل بيت الرضا فهو آمن، ومن استقبل كعبته فهو مخبت، ومن صلى في محراب الرضا فهو حليم أوامه منيب.

ملاحظات على كتاب (إحياء علوم الدين للغزالي)

أنصح البادىء في طلب العلم أن لا يغتر بكتاب إحياء علوم الدين، لأن فيه مزلة من كلام الصوفية وشيء من الزهد المظلم، مثل مدح السهر والإفراط في الجوع وإجهاد النفس بالعبادة، وإيراد الأحاديث الموضوعية، وتأويل الصفات، والثناء على بعض حماقات

الصوفية التي تخالف النصوص، وفي كتب السنة غنية عن هذا الكتاب مثل كتاب: الترغيب والترهيب للمنزدي، ورياض الصالحين للنووي.

خواطر ونصائح وتوجيهات

- * الزم الباب الذي فتح عليك فيه الرزق والعلم كالتجارة أو الوعظ أو غير ذلك، فهذا نصيبك وفيه نفعك وانتفاعك.
- * من الكتب التي تموت سريعاً الكتب الفكرية الإنشائية، التي ليس فيها نص ولا نقل ولا تأصيل ولا تحليل.
- * الذبوع والقبول حظ من الله، وله أسباب، منها: التفرد في الطريقة والتجديد، ومخاطبة العامة، والدخول إلى مكامن النفوس، سواء بالكلام أو التأليف أو الشعر.
- * أوصيك بقراءة سير الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين فإنها ترقق القلب.
- * بعض الدول عاشت أربعمئة عام لم نسمع بها، وقرناً بين ذلك كثيراً، خلفاء بني العباس سبع وثلاثون خليفة، لا تجد الآن من ميراثهم درهماً واحداً.
- * كلما قلت الأشياء والممتلكات كان أبعد عن التعقيد والمشقة والتعب، ولذلك كانت حياة الأجداد سهلة مريحة.
- * كثرة الظواهر المساعدة والمساعدة قللت البركة، فالمصاحف بالآلاف بأجود الطباعات، والكتب والدوريات والأشرطة والمجلات، ولكن لا ترى ذاك النفع الواصل المؤثر في الناس.

* أعود بالله من صرف العمر في الفضول، فهذا الكتاب مجلدات في قبيلة واحدة عن أصولها وفروعها، وذاك يؤلف عن منطقة من المناطق سهولها وجبالها وأشجارها.

* الهمة توقد داخلي فائر، وبركان باطني ثائر، وإصرار على الصمود والتحدي والاستمرار والعطاء.

* الكتب الكلامية والفلسفية تتعب الذهن بلا فائدة.

* أنفع شرح للقرآن والسنة تقريب المعنى في سهولة لفظ مع ذكر المقصود والفائدة والرأي الراجح عند الخلاف فقط.

* عجبت لأناس في التاريخ سفكوا الدماء، وأخذوا الأموال، وظلموا الناس من أجل الملك، ثم لم يمتعوا طويلا، مثل عبد الملك بن مروان وأبي جعفر المنصور، وأبي مسلم الخراساني، وغيرهم.

* سمعت نوح بعض الشعراء على المعالي وتلفههم عليها، وإذا هي الإمارة والمنصب، فياله من سعي ضائع، وهمة ساقطة.

* كان الصحابة يفهمون القرآن على ظاهره، لم يكونوا يذهبون بعيداً في معانيه إلى احتمالات بعيدة عويصة كما فعل الخلف، لأن الصحابة أخذوا القرآن كتاب هداية وعمل.

* أعظم الناس منزلة العلماء والعباد، والناس سواهم همج لأنهم عرفوا معنى الحياة.

* الغنائم لا تأتي إلا بعد قتال، ومن أراد معالي الأمور بلا معاناة وتعب فقد طلب المستحيل.

* ينبغي أن نكره أنفسنا على الخير، لقلّة المساعد، وكثرة الشهوات

- واضحلال الخير، وبعد عصر النبوة .
- * آفة العقل الهوى .
- * أحرص من النملة، وأصبر من الحمار، وأحقد من الجمل، وأمكر من الثعلب، وأحمق من الحمامة .
- * فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي مهم لطالب العلم .
- * قل عدد القراء والمطالعين بسبب ظروف الحياة وكثرة الوسائل والمشاكل وسوف يقل الاهتمام بالكتاب تدريجياً مع عصر المرثيات والمسموعات .
- * كثر التأليف، حتى أصبح فوق ما يتصور، والمطلوب من العالم رد الناس إلى الأصول إلى الكتاب والسنة وصفوة الكتب .
- * اجعل في ذهنك وأنت تقرأ أي كتاب هدفاً أو فائدة تخرج بها من قراءتك .
- * قد يصل العالم إلى سن لا يستطيع أن يزيد في فهمه ولا في علمه، وهو وصول النمو الطبيعي لإدراكه .
- * إذا عرفت مقاصد الكلام فاقراً القرآن بنفسك مباشرة، وتدرّب على الفقه فيه بلا واسطة، لأنه عربي مبين .
- * من حفظ الحديث قويت حجته، ومن تعلم الفقه شرف، ومن تعلم الأدب رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه .
- * أعرض عن شعر المدح والهجاء والغزل والوصف، فلا خير فيها .
- * احرص على خصال الرجولة في اللباس، والمشى، والجلوس، والكلام، ونحوها ومن أكثر من شيء عرف به .

- * كم من ولي في قباء، وكم من زنديق في عباء.
- * الناس يقيسون الأمور بأشباهها.
- * ما أطول الليل على من لم ينم.

طريق تعلم الكتاب والسنة

القرآن والسنة لا تتعلم عن طريق السرد كما يفعل المتأخرون، وإنما عن طريق التدرج والأخذ رويداً رويداً مع الأيام، وفهم ما حفظ، والتفقه فيه، والعمل به، وتعليمه، وبذلك رسخ العلم لدى السلف ونفعهم، فتجد الصحابي في حياته كلها يحفظ مثلاً ألف حديث لكنه هضمها ومزجها بلحمه ودمه، وصارت سر سعادته في الحياة.

أما نحن فنحفظ هذا العدد في أشهر، فيبقى على طرف اللسان بلا أثر في الغالب، وهذا الفرق بيننا وبين القوم في طلب العلم.

مجرد كلام

يقول الله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَىٰ﴾ يعني أذى الكلام، وليس فيه ضرر عليكم فلا تخف من الأقوال الخبيثة التي تقال فيك ظلماً وعدواناً، فإنها تضر قائلها ولا تضرك.

يقول حاتم الطائي:

وكلمة حاسد من غير جرم سمعت فقلت مري فانفذيني
وعابوها علي ولم تعبني ولم يند لها أبداً جيني

ويقول الشاعر الإنجليزي :

تستطيع الحجارة أن تكسر عظامي ، ولكن كلام أهل الدنيا كلهم
لا يهز مني شعرة واحدة .

أحمد مطر

أعارني أحدهم ديوان الشاعر أحمد مطر فقرأت قصائده وأمعنت
النظر في بعضها فإذا غالبها شكوى من الظلم بأسلوب ساخر لاذع وإذا
هي تفرغ للعواطف وترويح لأومات القلب، والناس يعجبهم هذا لأنه
شاركهم همهم وعبر عن قضيتهم، ولكن ليس المقصود ترجمة الأفعال
إلى كلام إنما الصحيح تحويل الكلام إلى أفعال من تربية صحيحة
ومعتقد حق وإيمان صادق وعطاء وبناء، ولا يستقيم الشعر حتى يكون
له رسالة وهدف محدد مع إيمان صاحبه بربه واحترامه لدينه وتوقيره
لمبادئه، أما السب والشتم فكل يحسنه وما سمعنا بظالم سقط بقصيدة
سخرية ولا مصنع أنتج بملحمة أدبية ولا جامعة أنشأت بقصة خيالية
إنما الأدب كما قال بعضهم: حمل الميثاق وطاعة الرب ونصيحة الأمة
وترك السفاسف وطلب الكمال، واعلم أن الحجاج بن يوسف هجي
بعشرات القصائد فما حركت منه شعرة واحدة ومات ميتة طبيعية على
الفراش وقد سب الحاكم بأمر الله الفاطمي من معاصريه بمئات القصائد
فما ورى عنها. فالكلام ترويح للمهموم وشكوى للمغموم ولكنه في
الأخير كلام، والسلام.

الوقت الضائع

رأيتنا نحضر الولايم والدعوات مبكرين فإن دعينا للغداء حضرنا بعد الظهر مباشرة في الغالب وإن دُعينا لعشاء استعجلنا الحضور بعد صلاة العشاء ولو تأخر الواحد منّا ساعة قبل الغداء والعشاء لما فاته شيء ولو صرف هذا الوقت فيما ينفع من تلاوة أو ذكر أو مطالعة لسلم من عناء استقبال المدعوّين وتكلف الحديث فيما لا يعني فإن غالب هذا الوقت يصرف في سؤال الناس عن أحوالهم وأخبارهم وعن الأمطار والأسعار ومثل هذا الكلام البارد حبّذا لمن حضر هذه الدعوات أن يأتي قبل الوجبة بوقت يسير ولو اصطحب معه كتاباً أو رسالة فنفع الناس لكان أفضل من قتل الزمان في قول مكرر وحديث فارغ ومن حضر ولم يناسبه المجلس فليكثر من الصمت والتبسم وذكر الله. واعلم أن أكثر ما يقتل الزمان هو الوقت الضائع قبل الغداء وقبل العشاء أو انتظار ضيف أو صديق ومن جاهد نفسه في ذات الله نصره عليها.

لا تحرص على التصدر زمن الشباب

الشباب مهما رزق من العقل والعلم فلا يزال عنده من العجلة والاندفاع وعدم تقدير العواقب ما يوجب عليه الانتظار والصبر وعدم الاستعجال على التصدر فقد وجدت أذكيا نابغين يحفظون العلم حفظاً ولكنهم وقعوا في أخطاء لأنهم شباب، ورأيت من أحب الإمامة

والخطابة والتدريس وغلط في مواقف لأنهم شباب. وكان سلفنا يطلبون العلم في شبابهم ويتأدبون فإذا خطهم الشيب تصدّروا وعلموا غيرهم، وقد بعث الله الرسل عليهم الصلاة والسلام في الأربعين من أعمارهم وهو سن الرشد العقلي وتمام التجربة وكمال الرشد وذهاب الطيش وغروب العجلة وضبط الاندفاع.

وصية من عاقل

حدثنا أحد العقلاء المجربين الذين كان لهم اتصال بأهل الثروات والمناصب أنه ذاق حياة الترف والبذخ مع أولئك القوم ثم رجع إلى حياة الشظف والاقتصاد، قال: فوالله لحياتي الثانية مع الفقراء أسعد أضعافاً مضاعفة من تلك الحياة الأولى، حياة النعيم والإسراف، وذكر أن قلبه في تلك الفترة كان قلقاً مضطرباً حزيناً أسيفاً، أما الآن فهو مع قلة ذات اليد في سرور وحبور وانسراح، أدمن الجلوس في الروضة خلف الإمام وصاحب المصحف وأكثر من ذكر ربه فهو في سعادة وهناء، فيا من ظن أن السعادة قصر مشيد وامرأة حسناء ومنصب مرموق ومال وفير أخطأت التقدير وغلطت في الحساب، السعادة في صلاة بخشوع وقراءة بتدبر وذكر الله بحب ومطعم حلال ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾.

فن الحفظ

من أراد الحفظ فعليه بكثرة التكرار للمحفوظ، وإعادة النظر فيما

يقرأ بين الفينة والأخرى، والتأمل والتدبر والوقوف عليه عبارة عبارة ليطبع في الذهن، وينسخ في الذاكرة، فإن الكتابة في الذهن على حسب التكرار كمن يكتب بقلم واضح أو ضعيف، ومن أعظم الأصول تقليل المحفوظ والمداومة، فإنه لا عالم إلا حافظ، وزينة الأديب حفظه، ولا أشرف من الحفظ، وعلم لا تدخل به الحمام ليس بعلم، وإنما يعظم العالم بجلال ما يعي وكثرة ما يحفظ وعظيم ما يحوي، أما جمع الكتب والنظر فيها فكل يحسنه حتى الباعة والوراقون والخزازون.

الشريعة مقاصد وأسرار

- ١ - وثوق الخطاب الشرعي بفهم السامع السنيء.
- ٢ - الشريعة تخاطب السواد الأعظم في غالبها ويبقى للنادر خصوصيته.
- ٣ - الملة تهتم بالعمليات ولا تعتد بالأفكار المجردة.
- ٤ - الشرع يقر ببشرية الإنسان في أوامره ونواهيه.
- ٥ - الشريعة تعطي كل مسألة حقها من الاهتمام بلا غلو ولا جفاء.
- ٦ - الكتاب والسنة لا يجذب الإغراب، وإنما يهتم بالمعروف المشهور.
- ٧ - محمد ﷺ في الشريعة رسول معصوم أسوة وليس إلهاً ولا رجلاً عادياً.
- ٨ - مقصود الشريعة إصلاح العبد ليكون تقيًا طائعاً وليس القصد أن يكون ملماً بفروع العلوم أو داهية أو مشهوراً أو غنياً أو سلطاناً أو نحو ذلك.

٩ - الشريعة لا تهتم بواردات النفس وخطرات القلب والاحتمالات النادرة الوقوع .

١٠ - أخبار الإنسان في الكتاب والسنة عما يهم السامع ويتعظ به من صلاحه وفجوره وإيمانه وكفره وهدايته وضلاله ولا تورّد تفاصيل حياته ودقائق سيرته وكذلك القصص .

الجامظ

أدمنت النظر في كتب هذا الرجل فما وجدت مثله نصاعة بيان وحسن عرض وفخامة لفظ وسعة وإشراق عبارة وجزالة إنشاء ولكنه متناقض يسف أحياناً في المعاني ويورد شبهاً وليس له تقوى تعصمه ولا ورع يردعه فربما خدش وجه الدين ولربما هتك حجاب الملة مع إقذاع يورده وفحش يغلبه واضطراب في معتقده، فهو صاحب معرفة لكن لا تتجاوز القلم وصاحب بيان لكن من طرف اللسان ومثله يستفاد منه ولا يتابع في مذهبه ومشربه .

رسائل حية

يقول أحد العلماء: عليك أن تشغل نفسك بطاعة الله عزّ وجلّ وعبادته وذكره وشكره، فإنه سوف يدافع عنك، لأنه يدافع عن الذين آمنوا، ومادمت في الخدمة فأبشر بمن يردّ عنك كيد الكائد وحسد الحاسد، فما عليك إلا أن تقوم بواجب العبودية وترك ما تكفّل الله به، فالله منجز وعده ولا يخلف وعده .

فائدة

أعظم ما مُدح في القرآن بعد التوحيد التقوى، فلم يمدح العلم ولا المال ولا الولد ولا الجاه إلا مع التقوى، فليعلم العبد أن أعظم الخصال تقواه سبحانه، وأنها المقصود الأول في الدين.

إدام الخبز

قالوا للإمام المحدث الورع الزاهد العابد بشر الحافي، وكان فقيراً: ما هو إدام خبزك؟ قال: إدامه العافية. وهذا جواب مليح، فإن العافية يصلح معها كل طعام، والمرض يعكر كل لذيذ، فالمعافي يجد لطعامه ونومه وشرابه غاية الشهية ح

خاصة إذا جاع، والعافية أعظم كنز، فهي أغلى من قناطر الذهب والفضة، وأثمن من الجواهر والياقوت، وأجمل من الحدائق والبساتين، ومن عنده مال وهو مريض فليس لماله وقع ولا نفع، ومن عنده ملك وهو سقيم فليس لملكه عنده وزن ولا قيمة، خبز الشعير مع العافية والماء البارد ألد مادبة، وأجمل وجبة، وأجل أكلة، ولباب البر وصافي العسل ولحم الضأن مع السقم مر المذاق وعلقم محرق.

رغيف خبز يابس	تأكله في زاويه
وكوز ماء بارد	تشربه من زاويه
خير من الساعات في	ظل القصور العاليه
تعقبها عقوبة	تصلى بنار حاميه

الاهتمام بالنص

حق على كل من يحترم عقله من المنتسبين إلى الشريعة والمنتسبين إلى الملة أن يهتموا بالنص الشرعي من الكتاب والسنة أكثر من اهتمامهم بالشروح والتعليقات والحواشي والردود، والتي زادها الناس على النص، فالنص وحده مباشر هو الذي يقذف الله به نور الإيمان في القلب وبركة الفهم في الذهن وضيء الحكمة في البصيرة، والنص وحده هو المقصود بالتفهم والتدبر والدراسة، وما أشبه الذين لووا أعناق النصوص عن مقاصدها بكلامهم وشروحهم بمن أخرج درة نفيسة من عمق البحر ثم أكثر من لمسها وتقليبها حتى ذهب بريقها، وخفض لموعها، إن أصفى شيء من النهر ما أخذ من عند مصبه مباشرة، والمران على تفهمه وتدبره ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ وإن أعذب شيء من الغيث ما كان منه قبل وصوله الأرض واختلاطه بالتراب، وكذلك النص الشرعي آية وحديثاً أعذب شيء منه ما أخذت البصيرة منه بلا واسطة من شارح ومعلق ومذيل، وإن ما تراه من أكوام هائلة من الشروح إنما طرأت في عصور الوهن وشحوب القرائح وجمود الأذهان، وركود الخواطر، وفتور الهمم وسقوط العزائم، وإلا فإن عصر الصحابة لم يكن إلا عصر نص يفهم على سياق اللغة، ويؤخذ على ظاهر الخطاب، فهل كان عند الصحابة هذه التفاسير التي بلغت المئات، وشروح الأحاديث التي فاقت الحصر، مع مصنفات في الوسائل من أصول الفقه وعلوم القرآن ومصطلح الحديث، ولو كانت

هذه لدى الصحابة لصرفتهم عن متعة العيش مع النصوص المباركة من الآيات والأحاديث، ولسلبت عليهم شطراً من أذهانهم في الوقوف على كلام الناس، وتعليق الناس، وشرح الناس، إن أحسن ما في حياة الصحابة هذا التفرغ الجاد للوحي، وهذا الانكباب العجيب على النص، وهذا التلهف الحار على الخطاب الشرعي مباشرة، وإن من أزكى أعمال الصحابة تنقيب بصائرهم في مناجم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة دون عائق من تقليد، أو حائل من كلام متكلف، أو صارف من شبهة ذي هوى.

لقد قل كلام الصحابة فكثر عملهم، وغزر فهمهم، وعظمت معرفتهم، لأنهم وقعوا على قلب الحقيقة، وأمسكوا برأس الحبل، ولزموا وسط الجادة، علموا أن القرآن بيّن واضح جلي مشرق معجز، فوقفوا خاشعين لبلاغته، وسجدت بصائرهم في محراب البيان لفصاحته، فاهتدوا بهداه، واستضاءوا بنوره، وعلموا أن السنة كلام أفصح من تكلم، وحديث أبلغ من تحدث، فأخذوا دلالتها دون زيادة ولا نقصان، فالقرآن فصيح مشرق معجز، حتى يأتيك متحذلق متكلف ليملاً الصحف بشروحه وكلامه على القرآن فيكاد يغطي بجلباب كلامه على نور القرآن ليذهب بروعته وجماله وقوه أثره، وما أفصح المسلم ساكتاً في محراب التفقه في النص الشرعي يتصيد بقلبه مقاصد الخطاب، ويلقط بفهمه درر الإعجاز، لكن قوماً همهم الكلام والشرح والتعليق والزيادة، حتى أذهلهم هذا العناء عن روعة البيان الزاهي الخلاب للنص الشرعي.

علم لا ينفع

من علامات العلم الضار الذي لا ينفع صاحبه قسوة القلب وجمود العين وطول الأمل وحب الظهور والتصدر والتقدم على الأقران والتكالب على الدنيا وحب الثناء وكثرة الكلام والحسد والغضب من النصيحة ومحبة كثرة الأتباع وعشق الألقاب الفخمة والازدراء بالآخرين والتقصير في النوافل وحب الخلطة والفرار من العزلة، فإذا وجدت هذه الخصال وأمثالها في طالب علم تم هلاكه واستحكم مرضه وزاد بلاؤه.

فائدة

الراجح جواز بيع الرطب بالرطب، والعنب بالعنب، ونحوه من الرطب، بمثله مع التماثل.

أهل الحديث

نجوم سماء العلم، كواكب قبة الفهم، تيجان المدارس، بدور المجالس، هم الذين قطعوا من أجل الحديث القفار، وركبوا البحار، لبسوا الليل واستفاؤا بالنهار، كم من حكمة كتبوها، كم من دمعة سكبوها، كم من عرق في الطلب أذروه، كم من مداد في الدفاتر أجروه، وكم كدوا الأذهان في الدراية، أما أتعبوا القلوب في الرعاية، أما حثوا النفوس على العناية.

نام الناس على الريش وناموا على الثرى، وغط الأوباش في النوم

وهم ركب السرى، واشترى المفلسون الرقاد وهم عافوا الكرى، ثيابهم من الأسفار ممزقة، جلودهم من حرارة الهواجر محرقة، عمائمهم من خصاصة الفقر ملفقة، خفافهم من المشي مخرقة، أكلوا أوراق الشجر من الجوع، وأدمنوا السهر، وطلقوا الهجوع، وبللوا القراطيس بالمداد والدموع، ركبوا من البحر الشج، والتحفوا من الليل لجج، وقنعوا من كل نديم بالسرّج، آه ما أحسن حدثنا في المسامع، وما أجمل أخبرنا في المجامع:

سقوني وقالوا لا تغن ولو سقوا جبال سليمان ما سقيت لغنت

اشتغل الناس بجمع الدرهم والدينار، وبناء الدور وحفر الأنهار، وعمارة البساتين وغرس الأشجار، واشتغلوا هم بجمع الآثار، ونقل الأخبار، ومصاحبة أنفاس المختار.

سهر الناس مع أصوات العيدان، ونغمة القيان، وأشعار فلان وعلان، وسهروا هم مع سفيان وحماد، ومجاهد وابن الهاد، ساعة مع المتن وساعة مع الإسناد.

آية أحاديث نعمان وساكنه إن الحديث عن الأحباب أسمار
إيوان أحدهم ظهر البعير، ومجلس أنسهم وجه الهجير، وطعامهم خبز الشعير، هجروا الخمير والحرير والسرير، صبروا على أحر من الجمر، وصبغوا ثيابهم بالخبير، وصاحبوا الجوع والظما والفقر.

جزاهم الله عن الأمة خير الجزاء، وعن السنة أكرم العطاء، وعن الملة دار البقاء.

رحم الله تلك العظام، وأسكنها دارالسلام، وأحلها أحسن المقام،
بجوار النضرة، وجعلها بالنعيم مسفرة، ضاحكة مستبشرة، وحشرنا الله
معهم في زمرة الأبرار، وصحبة الأخيار.

القناعة

من رزقه الله القناعة فقد أراد به خيراً لأنه يكف بها وجهه عن ذل
السؤال ويصون بها عرضه عن كلام السفلة ويريح نفسه من التردد على
أبواب السلاطين. ومن تاقت نفسه للمال فعليه بالكسب الحلال وهجر
الكسل فإن أحلى لقمة ما جاءت بعرق جبين، وأفضل درهم ما حصل
بتعب، ونعوذ بالله من أن تذل رقابنا لغيره فإن من أعطاك عطية حفظها
أبد الدهر واستعبدك بها ومن عنده أنفة استغنى عن الناس، وما أحسن
الحرفة والكسب على العيال فإنها من أحلى العبادات إذا أحسنت النية
ومن قرنها بالاعتقاد في النفقة والرضا بالقليل وتعويد النفس على
الإقلال من فضول المباحات والبساطة فيه والتوسط في السكن واللباس
والمركب والغنى غنى النفس، وأفقر الناس من جعل حاجته إلى الناس
﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

أنا لا أرغب تقبيل يد قطعها أحسن من تلك القبل
إن جزتني عن صيغي كنت في رقبها أولاً فيكفيني الخجل

نريد خطباء لا معين

أعلم أنني لا زلت شابا والكثير يكبرني سنًا ويفوقني علماً ونبلاً

وفضلاً لكنني قرأت كتباً ورسائل في فن الخطابة لمسلمين وغير مسلمين وسوف أذكر بعضها في هذا البحث، وعشت زمناً أحاول أن أطبق ما أقرأ من فن الأداء والإلقاء والأسلوب والعرض فأصيب حيناً وأخطئ أحياناً، فأقمت في مدن كثيرة فلم أجد ذلكم الخطيب الذي يخلب الأبواب ويهز القلوب ويملك المشاعر، نعم! هناك علماء وقضاة ودعاة ولكن لم ألق خطباء بمعنى هذه الكلمة إلا الواحد أو الاثنين أو الثلاثة مع ملاحظات، من هو الخطيب الذي يمكن أن يسكب في قلوبنا الحياة والتأثير والإقناع؟، من هو الخطيب الذي نسلم له نفوسنا ليصقلها ويطوعها ويهديها سواء السبيل؟، من هو هذا الخطيب الذي يصل بصوته إلى ضمائرنا فيجتث منها الخواطر الخاطئة والأفكار المغلوطة ويصل بحجته إلى قلوبنا فيقتلع منها هواجس السوء ووساوس الشيطان، لقد قرأت عن عشرات الخطباء المسلمين وغير المسلمين شريين وغربيين تركوا في أممهم أثراً بيناً بخطبهم ومواعظهم ولكن هل تحس منهم أحداً أو تسمع لهم ركزاً؟

كل هذا الخلق غر وأنا منهم فاترك تفاصيل الجمل رأيت على المنابر من يقرأ علينا صحفاً اكتتبها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلاً، يسردها علينا سرداً بلا تأثير ولا جاذبية ولا أداء ولا حرارة، ولا ظل وطل.

ورأيت من يغطي وجهه بأوراقه عند الإلقاء فهو محجوب عن الناس طيلة الخطبة يريد أن ينتهي من هذه الأوراق ليلقي عن نفسه تبعة

الخطبة، وهناك من يخطب فيتلعثم من شدة الخوف ويرتبك من الخجل والوجل يكاد إذا صعد المنبر أن يولي فراراً ويمتلىء رعباً.
نعم.. العلم شيء والخطابة شيء آخر.

أجل.. التقوى والفضل والمكانة محاسن، والخطابة حسنة أخرى.

في هؤلاء من يحسن الإلقاء والأداء ولكنه ضحل المادة بخيل في عطائه ومحصوله فكأنه ما قال شيئاً، وفيهم صاحب الحجة والبرهان الحافظ المطلع على كنوز الميراث وذخائر العلوم ولكنه بارد، في صوته خيوط النعاس ومقدمات الكرى، وأظن أن الخطابة ليست جمعاً لأطراف الموضوع بلا فصاحة وأداء وإلقاء وتأثير، وليست صوتاً صاخباً بلا حجة وإقناع وجاذبية، إن الخطابة قلب شجاع، ولسان فصيح، ومادة حية، وذاكرة واعية، وبديهة لمامة، وإشارة موحية، ونبرة فخمة، وأداء خلاب، وحجة بالغة، ونفس متوثبة مجنحة، وهي استيلاء على المشاعر، وامتلاك للعواطف، وقدرة على جذب النفوس، وفكر لا اعوجاج فيه، ونفس صحيحة من الأدواء، وعقل مسدد، ولسان سليم من عيوب الأداء، وشخصية قديرة متألقة، وبرهان يقذف به على الباطل والزيف فيدمغه.

التفكير النافع

عليك بتوجيه تفكيرك إلى الأمور النافعة وأجلها التفكير في

أسمائه وصفاته ودينه وكتابه ورسوله وما يقربك من رضوانه واحذر إطلاق تفكيرك بلا قيود فإن الفكر إذا ترك وحاله شط وانحرف وجلب لك كل ما يزعج، بل بعض الناس يتفكر في المعاصي والمخالفات والشهوات المحرمة ويخطط لنيل هوى نفسه ومراد شيطانه منه، فاضبط تفكيرك فإن أول الفعل فكرة ثم إرادة ثم اعتقاد ثم عمل، وغزارة التفكير تأتي مع الخلوة وتدبر آيات الله والتأمل في قدرته سبحانه ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِيُوحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرْدَائِي ثُمَّ نُنْفَكُكُمْ مَّا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ وتفكر ساعة خير من نافلة سبعين سنة ومعنى هذا هو التفكير فيما يزيد الإيمان ويرضي الرحمن لأن هذا ينفع العبد أعظم من نفع عبادة لا روح فيها ولا تدبر، ووصيتي لك إذا شطح ففكر فرده سريعاً إلى العجادة ووظفه فيما ينفع ليثمر لك قطفاً دانية يانعة من البر والخير والتقوى وأول الغيث قطر ثم ينهمر.

وَيْسَّرُكَ لِلْيَسْرِ

أحاديث التيسير منها: الذي أصابته شجة، وتيمم عمرو بن العاص، ويسروا ولا تعسروا، وإن هذا الدين متين، وعليكم بالقصد، وبُعثت بالحنيفية السمحة، وخير دينكم أيسره، وعليكم بما تطيقون، وما خَيْرٌ بين أمرين، و «أفتان أنت يا معاذ»، وكان عمله ديمة، وأفضل العمل ما داوم عليه صاحبه، وإنكاره على الثلاثة الذين شددوا، ودعهم يا عمر لِمَا لعب الحبشة، وتجوزه في الصلاة، وفطره في السفر وقصره، ومن أمَّ بالناس فليخفف، وهلك المتنطعون، ولم يعنف على

من شرب الخمر بل جلده ونهى عن لعنه، ولم يعنف على من جامع أهله في نهار رمضان بل أفاته، وإنما بعثتم ميسرين، وما كان الرفق في شيء، وإن الله رفيق، وإن قصر خطبة الرجل، وإنكاره على عبد الله بن عمرو كثرة عبادته، وتقديره لسلمان يسره، ونهيه عن الوصال وعن سرد الأيام وقيام الليل كله وختم القرآن كل يوم، وزجره من قام في الشمس، ومن صمت إلى الليل، وقاربوا وسددوا، ولو لم تذبوا، وأذنب عبد ذنباً.. ليفعل عبدي ما شاء، واذهب فقد غفر الله لك، والمرأة البغي والكلب، ومن أخرج غصن شجرة، والرجل يأكل الأكله فيحمده عليها، ومن هلك مائة، ومن سبح مائة، ويا ابن آدم إنك ما دعوتني، وتوبة من قتل مائة نفس، ومن أمر بتحريق نفسه، ومن كان يتجاوز عن الناس، والتيمم، والمسح على الخفين، وبوله واقفاً في سبابة قوم، وشربه واقفاً من زمزم، وإياكم والغلو، ونهينا عن التكلف، وإذا قام أحدكم يصلي فنحس فليرقد، وكان يتخولنا بالموعظة، فشق عليهم فاشقق عليه، وعدم انتهاره من بال في المسجد، وقرص المني اليابس من الثوب فحسب، وقراءة القرآن مضطجعاً ومواكلته للحائض، وإذا أمرتكم بأمر، وصلاته النافلة قاعداً، وعلى الراحلة حيثما توجهت به، ورُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، ورفع القلم عن ثلاثة، وإن الله ييسط يده، ولولا أن أشق على أمتي، وتركة التراويح خشية أن تفرض عليهم، وسكت عن أشياء رحمة بكم، وذروني ما تركتم، وقوله للرجل لما قال: والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص، أفلح إن صدق، وحمله أمانة في

الصلاة، وأربعون خصلة أعلاها منيحة العنز، وإن المنبت، وتوبة الغامدية وماعز، والصلاة في النعلين، ومسحهما بالتراب عند وجود الأذى، ووضوء المستحاضة عند كل صلاة فقط. إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة والتي تدل على يسر الإسلام وسماحته.

خاطرة

كثير من الناس ليس للوقت عنده قيمة، فتراه يدور في الأسواق بلا غرض ويشاهد المسلسلات بذهول، ويسهر الليل في اللهو واللغو، وكأنه ما عرف لماذا خلُق، وإلى أين يذهب. نعوذ بالله من الخذلان.

لكل أجل كتاب

يقول سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ ومجيء قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ بعد ذكر التقوى والتوكل فيه سر لطيف، ومقصد شريف، فمن اتقى ربه وتوكل عليه، فلا يتباطىء عون الله، ولا ييأس من روحه، ولا يقنط من رحمته، ولا يقطع أمله من الفرج. فإنه إذا اتقى وتوكل فسوف يأتيه الفرج لا محالة، وسوف يجد الخروج من الضيق بلا شك، لكن للأمور أوقات، وللمقدور عمر لا بد أن يقضيه حتى يصل، وكل شيء عند الله بأجل مسمى، فما على العامل إلا العمل، حتى يحصل له مراده أو خير من مراده، ولا يقول: دعوت فلم يستجب لي، بل يطمئن إلى حسن اختيار ربه، وجميل صنيعه، وجليل حكمته، وسعة علمه،

وكمال قدرته، وتمام رحمته .

فالله جعل لكل شيء قدراً، له زمن لا يتعداه، ووقت لا يتخطاه، فإذا جاء موعد المقدور، فلا يستأخر عن وقته ساعة ولا يستقدم .

للكربة وقت ثم تزول، ولها زمن ثم تحول، لأن الله قد جعل لكل شيء قدراً .

للمرض أيام معدودة، وليال محسوبة، ثم ينكشف لأن الله قد جعل لكل شيء قدراً .

للهمّ ساعات، وللغمّ أوقات، ثم ينجلي بسرور لاحق وفجر صادق، لأن الله قد جعل لكل شيء قدراً .

للفقر أزمان ولو طالت، وللعدم أوقات ولو قست، ثم ينقشع، لأن الله قد جعل لكل شيء قدراً .

فما عليك إلا أن تعمل وتحرص على الخير وتبذل الوسع، وتخلص السعي، وتصحح العمل، وتحقق العبودية، ثم اترك ثمرات الأعمال، ونتائج الأحوال لذي العزة والجلال .

لا تستعجل حصول المرغوب وإزاحة المرهوب، فالأمر ليس إليك، بل إلى من جعل لكل شيء قدراً .

إن الإيمان بأعمار المصائب سلوة للمنكوبين، وإن التصديق بآجال المحن عزاء للمصابين، إن للمكروه زمناً لا يتجاوزه أبداً فتحيلك في إزالته قبل حينه ضرب من الهوس، وفن من فنون الوسوسة، لأن

مهمتك كيف يزول لا متى يزول، فمن حرص على كيفية زواله دعا وأخلص وجد واجتهد واتقى وصبر، وتوكل وأتاب وفوض الأمر إلى الملك الوهاب، ومن تعلق قلبه بزمن الزوال وارتحال المكروه استبعد الفرج، واستبطأ الروح، وصاحبه الإحباط ورافقه الفشل، وسامره اليأس، وحادثه القنوط، فلا يزال في أودية الاضطراب وطرق السخبط والندم والحسرة واللوم وتمزيق القلب بسياط القلق، فقلبه فزع، وذنه شارد، وحاله كاسفة، وباله مشتت، وباطنه ناغم نائر معترض شاك.

ولو آمن أولاً بالقضاء، وسلم الأمر لرب الأرض والسماء، وأخلص في الدعاء، وانتظر الفرج في وقته والنصر في حينه، وحسن العاقبة في زمانها، وجميل الصنع في ساعته، وفرحة إدراك المطلوب في مواعده، لو فعل ذلك كله لأدرك سعادة من إذا أذنب استغفر، ومن إذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر، ولحصل على أعظم الأجر وانشراح الصدر، ورفع الذكر، فالله هو المقدر، جعل لكل شيء قدراً.

لا تثمر الشجرة حتى يأتي حينها، ولا تبزغ الشمس حتى يحل ميقاتها، ولا يطل القمر حتى يحصل زمن إطلاله، ولا تضع الحامل حملها ولا تطفم ولدها إلا بأجل، ولا يندمل الجرح، ولا يبرأ الموعوك، ولا تعود الضالة إلا بعد ما يمر بالكل العمر المقدر والأجل المقرر.

فاعلم أنه لا يعني بذل الأسباب حصول المطلوب في الوقت

المقترح، والزمن المختار، بل في الساعة التي كتبها الله وحده، فإنه غالب على أمره، فعال لما يريد، وهو المقدم والمؤخر، أحاط بكل شيء علماً، فقد أتى أمره فلا يستعجل، وقرب فرجه الأجل، له الحكم وإليه ترجعون فلكل أجل كتاب، ولكل شيء حد، ولكل بلاء زمان، ولكل حدث عمر، فسبحان المدبر جل في علاه، لا إله إلا إياه.

القراءة .. القراءة !

أول كلمة في الوحي ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وخير جليس في الأنام كتاب، أعظم لذة تصفح عقول الرجال، ومن خدمته المحابر حملته المنابر، من صاحب الصفحة حاز الشرف، ما نظر رجل في كتاب إلا خرج بفائدة، الغنيمة الرابعة قطف الحكمة من الصحف، انسخ حروف العلم في ألواح قلبك، واكتب سطور الإفادة على صحيفة روحك، واكتحل بكلمات المعرفة لترى ملكوت السموات والأرض، يوم تخلو بالكتاب تطوى لك الأزمان وتطل عليك الدهور وتناجيك العبر وتشجيك العظات، وتصقلك التجارب، وتدهشك العجائب، احلب در العلم من ثدي الأسفار، فإن في الدفاتر مملكة الأفكار، صاحب الكتب مع كتبه أغنى من قارون الكنوز، وأعز من نعمان الكتاب، وأحسن حالا من البرامكة، مصاحب القرطاس أطيّب عيشاً من نديم الكأس، ومدارس الآثار أعظم من المنصت لنغمة الأوتار، مصاحبة الكتاب يصونك من تيه الملوك، ويحميك من صلف الجبابرة،

ويحوطك من سطوة الظلمة، ويحفظك من لوم الحاسد، وتشفي الشامت، ورؤية الثقيل، ومنة البخيل، وكدر الغبي، ومؤونة المغتاب وطيش السفية، أكثر من فلي الكتب ودوام تفتيش الصحف، وصابر مسامرة المصنفات، ما قيمة الزمن بلا مطالعة، ما فائدة العمر بلا قراءة، كيف يحلو العيش بلا كتاب، ذهب الدول، ونسي الملوك، وتعطلت الأسواق، ودرست المنازل، وتهدمت القصور، وبادت الحدائق، وفنيت الأموال، وهلك الرجال، ولكن خلدت الحكمة في الكتب، وبقيت المعرفة في الصحف، وقرّ العلم في المؤلفات، ودامت تركة المعرفة، إن الأنبياء لم يُورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

أعز مكان في الدنيا سرج سابع وخير جليس في الأنام كتاب

من فوائد العزلة

في العزلة.. صعود النفس في سلم العبودية من تلاوة مبكية وتفكر نافع وذكر ومحاسبة وإنابة وتوبة وندم على تفريط، وجود على نعمة، وشكر على عطية، واستعاذة من بلية، وطلب للزيادة، ومحافظة على الأوراد.

وفي العزلة.. جمع النية وإخلاصها، وعتاب النفس على ما فعلت وتبكيها على ما صنعت، وتأديبها على ما اقترفت، ومطالبتها بالزيادة في العبادة والإنابة.

وفي العزلة.. نفع عظيم للعلماء في تأليف الكتب وتصنيف الرسائل وشرح المسائل والتعليق على المغلق من العلم وحل المبهم وجمع المتفرق ولمّ شعث المتناثر وإخراج كنوز الحكمة.

وفي العزلة.. الاهتمام بالأهل والعيال وتأديب الأطفال والقيام بحقوق الوالدين والزوجة والأبناء وتعاهد أحوالهم والاطلاع على أمورهم ورعايتهم وكفائتهم وتعليمهم وتقويمهم.

وفي العزلة.. النجاة من الفتن وحوادث المحن التي يجرها جهل الجاهل واندفاع الغبي وقلة عقل الصبي وضعف رأي الغافل وربما وصلت إلى سفك الدماء واختلاف الآراء وذهاب الأموال وتغيير الأحوال.

والمعتزل.. في أمن وأمان، وحرز مُصان، وفي عافية وامتنان وهذا فعل كثير من الصحابة عند الفتن فإنهم أغلقوا على أنفسهم أبواب الدور، وأرخوا عليهم الستور ومنهم من فرّ إلى الصحراء وخرج إلى البيداء ورعى الشاء ليسلم من أراجيف العوام وزعازع الهوام أهل الحوادث الطوام والمشكلات الجسام.

وفي العزلة.. كتم الأسرار وحفظ الأخبار فما كل ما يُعلم يُقال وربما صعب الصمت مع الخلطة وتعسر السكوت مع الناس، وما استعان عبد على قضاء حاجة بمثل كتمان، ومن حفظ سره كان الخيار في يده.

وفي العزلة.. السلامة من التكلف للناس في الهيئة والتزين لهم

في الكلام والتتبع لهم في الأحوال ومسايرتهم في الأموال والسكوت عنهم ولو صدر منهم رديء الأفعال فإن من أنكر عليهم استثقلوه وملّوه وهجروه، ومن وافقهم أتلف دينه وأضاع نصيبه وضلّ سعيه .

وفي العزلة.. البعد عن المنكرات التي يلزم على العبد فيها الإنكار وهو قبل رؤيتها سالم العهد بريء الذمة ولكنه إذا رآها وجب عليه الإنكار بحسب حاله وربما قصر فأثم، وكم من غيبة في مجلس سمعها فما غير، وكم من مخالفة رءاها فما أنكر، وكم من مسألة سُئل عنها فكتم وما أخبر .

وفي العزلة.. أعظم عبرة وأجلّ فكرة في معرفة حقيقة هذه الدار وحقيقة أهلها، وتذكر القرون الماضية والأجيال الغابرة، كيف كانوا؟ وأين صاروا؟ أين قصورهم؟ أين دورهم؟ أصبحوا في قعر اللحد طعاماً للذود وهذا الفكر لا يأتي مع تشتت الفكر، ومن تذكر مع الخلطة فإنما تذكر وهو مشغول مع الناس بقلب لاه وفكر ساه .

فائدة

كل حب قد يتغير إلا حب الوالدين، وكل تعاطف قد يضعف إلا تعاطف الوالدين، وكل لوعة تنطفئ إلا لوعة الوالدين، قرن الله حقهما بحقه، فيا ويل العاق ما أقسى قلبه وأعظم جحوده وأقل حياؤه .

دعاء

اللهم كما شرفت جباهنا بالسجود لك فلا تذلهما للانحناء لغيرك،

وكما أسعدت نفوسنا بحبك فلا تشقها بحب سواك، وكما كرمت أيدينا بسؤالك فلا تهنها بسؤال الآخرين، اللهم اغنا عنهم جميعاً، كبيرهم وصغيرهم، فإنهم فقراء بخلاء جبناء، وأنت القوي العزيز الغني الماجد.

من عجائب التاريخ

قرأت سير الخلفاء فعجبت لقصر أعمار الكثير منهم، واغترارهم بالدنيا وانخداعهم بالملك، فمثلاً الخليفة الهادي توفي وعمره ثلاث وعشرون سنة فقط، قيل مات مسموماً، وكان يتناول المسكر ويلعب، وهارون الرشيد توفي وعمره خمس وأربعون مع بطشه وجبروته. وابنه الأمين عمره سبع وعشرون. والمأمون ثمان وأربعون، والمعتمد سبع وأربعون، والواثق ست وثلاثون، والمتوكل أربعون، وعلى ذلك غالبهم، فأخذني العجب، يا الله، مع هذا العمر القصير المحدود يغتر العبد ويخدع ويغفل فيبطش ويسفك الدماء، ويجمع الأموال، ويبني الدور، ويعمر القصور، فعلمت أن للحياة سكاراً كسكار الهوى، فلا يستفيق صاحبه إلا عند وفاته، فتراه يندم على ما فرط إن بقيت فيه الحياة، ويولول ويصيح، ولكن هيهات: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾.

قرأت سير الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية بالمشرق والمغرب وخلفاء بني العباس في العراق وفي مصر، فإذا هم يقاربون مائة خليفة لم يبق من ميراثهم إلا الذكر، ولا من قصورهم إلا الأطلال، ولا من

سيرهم إلا الأقوال: ﴿ هَلْ تُحْسِنُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ .

فأنا أعظ كل من قرأ هذا الكلام وأولهم نفسي في الانتباه والمبادرة بالتوبة، ونضح ثوب الذنب بذنوب من ماء العين مع الندم، وانتظار الموت وإعداد العدة، وتهيئة الزاد، وترقب لقاء الله عز وجل.

آه يالها من موعظة أعني قراءة أخبار هؤلاء الخلفاء والملوك، شادوا وسادوا وأملوا طويلا وعاشوا قليلا، أين القصور والدور أين المحابر والمنابر، أين البنود والجنود، أين الأقلام والأعلام لا شيء ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لُهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

ثم رأيت في أخبارهم عجباً فمنهم من قُتل، ومنهم من سُمِّ، ومنهم من خُلع، ومنهم من سُمِّلت عيناه، ومنهم من ضُرب حتى مات ومنهم من حُبس حتى هلك، فأخذني العجب فلو أن لبصيرتي عيناً مانامت الليالي، ولكن الغفلة الغالبة والأمل البعيد، وإن في أخبار هؤلاء الخلفاء والملوك لعبرة لكل معتبر، وعظة لكل متعظ ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾ .

فيا أيها المغتر بشبابه لقد كانوا أوفر منك شباباً، ويا أيها التائه بماله لقد كانوا أكثر منك مالا، ويا أيها المغرور بمنصبه لقد كانوا أرفع منك منصباً.

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

الخطيب القدير

الخطيب القدير هو الذي يملك زمام المبادرة، فلا يترك الأرواح تتفلت من قبضته، وهو الذي يركض في ميدان الألفاظ، يتخير ما يشاء ويهجر ما يشاء، رابط الجأش، قوي القلب، واثق النفس، ثابت القدم، هادئ الأعصاب، ترتجف القلوب من صولته، وقلبه في أمان، وتضطرب الأرواح من نبراته وروحه في حرز مكين.

والخطيب القدير كالسيل الزاحف إذا صادفته هضبة طمّها، وارتقى عليها، وإذا قابلته حفرة ملأها، وعدّى عنها، وإذا واجه صخرة مال عنها ذات اليمين وذات الشمال.

والخطيب القدير يهدأ فتسكن الأسماع، وتخفت الأرواح، ويثور فيغلي الجو، ويضطرب الشهود، يستفهم واجماً كالأسد المتأمل، ويتعجب منذهلاً كالشاعر الواله، ويستعطف في العبارة كالفقير اللحوح، ويأمر كالسلطان المطاع، ويرثي في مقام الرثاء، فينسى الناس الخنساء، ويعزّي فيذهب حر المصاب مع برد العزاء.

والخطيب القدير يستظهر الآيات البينات فيلبس بتيجانها هامات خطبه، ويرصّع بدررها حلل وعظه، ويحفظ الحديث الصحيح فيطرز وشي كلامه بجوامع كلمه ﷺ ويربط على قلبه بأنفاس المعصوم، عنده الأدب مادته وعصاه بردته، فالآيات على طرف لسانه يطرب ويحمس ويتفنن، وعنده القصص ينشرها بسرد عجيب وطرح غريب فكأن السامع عاشها، والغائب حضرها، تقرأ الأحداث فلا تحركك، ولا تعجبك،

ولا تستهويك، وتسمع الخطيب المصقع يتلوها على الأسماع فتصل شغاف قلبك المدنف، فتشعل فيه جذوة من الحرارة والحماس والجازبية.

الخطيب القدير يصف الليل وهو في الظهيرة فتحس أنك تحت أمال الدجى، وتحت أجنحة الدياجير، ويصف النهر فتلمس ثيابك أن تبتل وأنت ناء عن النهر، ويصف جيش الأعداء البعيد فتنظر إلى مطالع الجبال كأن الطلائع أقبلت والكتائب دنت، يدعوك للجائعين باذلاً؛ فترمي الخبزة من يدك طائعاً ويناجيك للعراة منجداً؛ فتخلع ثوبك مسعفاً راضياً.

نحن والناس

غالب الجلوس مع الناس يعثر الجهد ويشتت القلب ويضيع الوقت ويمزق ثوب العمر، والجلوس مع الله أنس للخاطر وراحة للقلب وزيادة للأجر ومحو للسيئات وبركة في الزمان.

الحاجة إلى الناس فقر حاضر وهمّ دائم وذلة ثابتة ورقّ جاثم، والحاجة إلى الله وسؤال الملك القدوس غنى مبارك وعبودية وعزّة وشرف وعلو وإنقاذ للنفس من عبودية البشر، الثقة بالناس عنوان خور الطبع وفوت الحزم وضعف اليقين وقلة المعرفة، والثقة بالله ركون إلى القوة التي لا تغلب والركن الذي لا يضام والكنف الذي لا يرام، الاشتغال بالناس ملهاة للنفس عن الواجب ومضيعة للعمر في بقاء التوافه وصرف للزمان فيما لا ينفع، والاشتغال بالله بهجة للقلب وراحة للروح وأمان للنفس من نوازع الشر وبستان للعارفين فيه يأمنون

وينعمون، ذكر الناس قسوة للقلب وصرف للساعات ومجلبة للسيئات ومحق للحسنات، وذكر الله شفاء من الهموم والغموم ونجاة من الشكوك وجنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، فذكره نعيم الأبرار، وجنة الأخيار، وروضة الصالحين، وقررة عيون المؤمنين.

النبع الأول

علماء السلف خاصة في القرون الثلاثة الأولى كانوا يتعلمون القرآن والسنة ويجتهدون في العمل من عبادة وزهد وصلاح وخشية، أما نحن فكثرت الفنون والمعارف، وقل العمل، وتشعب القلب وزادت الهموم والغموم، لماذا لا نعود إلى ما كان عليه سلفنا، ونعود إلى أصل النبع، وهو قال الله وقال رسوله ﷺ.

أغلى دقائق العمر

اعلم أن أغلى دقائق العمر هي دقائق الليل، فإذا تهجدت فأطل صلاتك، وأكثر ذكر مولاك، وتبتل إليه تبتلا واحمده على أن أيقظك وغيرك نائم

يا ليلة الجزع هلاعدت ثانية سقى زمانك هطال من الديم

المدارج

قرأت كتاب مدارج السالكين لابن القيم فتعبت نفسي، ثم قرأت عن بعض العلماء أنه يعجبه ما فيه، لأن فيه دراسة خواطر وواردات

وأشياء لم يتعرض لها الصحابة، وهي أقرب إلى طريقة المتصوفة، فرحم الله رجلاً أقبل على القرآن والحديث وما والاها، وأعرض عن بنيات الطريق.

لا حدّ لمطالب النفس

النفس لا حدّ لها في المطالب فمن لبّى لها كل مطلب وقع في المهالك، فلو فتح لها باب المباح لطلبت مباحاً آخر حتى إذا انتهت المباحات وقع في المعاصي، ومن سمح لها في معصية طالبت بأخرى حتى لا تترك معصية صغرت أو كبرت إلا طالبت بها لأنها أمارة بالسوء وهي تتطلع وتتشوق إلى الشيء الذي منعت منه حتى يصبح أحب لديها من المسموح به. فإن أردت صلاح حالك فلا تهمل لها الحبل ولا تطاوعها في رغبها فإن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، وقد كان كثير من الصالحين يمنعون النفس كثيراً من المباحات خوفاً من أن تقع في المكروهات والمحرمات، فيا من أراد النجاة قف لنفسك بالمرصاد فإن لها مداخل عجيبة وأساليب غريبة في الإغراء ولن يصلح لك حال ما دام أنك تستجيب لها كلما طلبت وسوف تبكي من الندم إذا أوقعتك في المهالك، فعليك نفسك والله أعلم.

الموت

هو الوقوف على ساكن، وإعلان الخاتمة، ونذير النهاية، الموت

مخلوق غامض، شجاع يتسلق الجدران، ويصعد الحيطان، لا يحتمى منه بقلاع، ولا يمتنع منه بحصون ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ واقف في الطريق بالمرصاد ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ زائر لا يستأذن، وضيف لا يعرف المجاملة، الناس عنده سواسية، الثري واسع الغنى كالفقير المتهالك، ليس له وقت في الزيارة معلوم، وليس له زمن في اللقاء مفهوم، نبأه غريب، ويدلف في السحر، ويقدم في الظهيرة:

يا نائم الليل مسروراً بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً
الموت . . ينزل الراكب من على ظهر البعير، ويرجل الفارس من على صهوة الفرس، ولا يرجىء الجائع حتى يشبع، ولا الظامىء حتى يروى، ولا النائم حتى يفيق، ولا المسافر حتى يقيم ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ قس بن ساعدة عنده كباقل، وحاتم لديه كمادر، وعترة في حكمه كأبي حية النميري، قدم على الخليل والنمرود، وزار موسى وفرعون، واختطف بلالا وأميه بن خلف.

إذا تمت ليلة العرس، وحفلة الزواج، ومهرجان الأفراح، وضرب دف الطرب، ولعلع صوت الأنس، وأضيئت مصابيح السرور فاجأ الحفل بقبض العريس، وأبكى الحضور، ونغص السمير، وكدر السعادة، وجدد العويل وقلب الفرحة إلى مناعة.

إذا اجتمع الوالد بولده، وأنست الأم بأبنائها، وطاب اللقاء، وحصل الوصال، وعمَّ البشر، دخل فجأة فأخذ الأب، والتقم الأم

وحمل الابن ليضعه في حفرة .

الموت . . يأخذ الطفل وفمه في ثدي أمه، وهو يصيح وأمه تولول وأبوه ينوح، فلا يرحم ولا يقف ولا يراجع نفسه، إذا حاز التاجر تجارته وأحرز بضاعته وجمع ماله وعدده، وظن أن ماله أخلده، قفز عليه الموت من نافذة القدر، فوضع خده على التراب، ونثر دنانيره، ومزق أكياسه، وعبث بدوره، وعطل قصوره، إذا ولى صاحب المنصب منصبه، وسعد بمنزلته، قلب كرسيه وسحب سريره، فحول الهناء عزاءً والفرح ترحاً، والعطية بلية .

إذا استوى الشاب على سوقه، وصلب عوده، وقوي متنه، واهتزت كتفاه، وترنح عطفاه، طرح الموت أرضاً، فبقر بطنه، وجدع أنفه، ووفقاً عينيه، ودق جمجمته، وحطم عظامه، وهلهل أسنانه، ومزق لسانه .

الموت . . يصرع الشجاع والسيف في يده، وخوذته على رأسه، لا الكريم يشفع له جوده، ولا البخيل يمنعه إمساكه، ولا المقدام يذود عنه بأسه، ولا الجبان يحصنه فراره .

الموت . . هذا لا يستحي من الكل، ولا يرهب الجميع، ولا يوقر الأحياء: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيَّا فَايٌ﴾ يموت الكل إلا واحد، ويذهب الجميع إلا واحد ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

الموت . . قذيفة لا يدرى من أين تأتي، مرة من فوق ومرة من تحت، وتارة من اليمين، وأخرى من اليسار .

الموت.. ينزع العينين، ويشدخ الشفتين، ويفصل الكفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من الكتفين، فمهمة الموت نثر المنظوم، وهدم البناء، وطمس الجمال، وتفريق المجتمع.

الموت.. دمع وعويل وأسى ولوعة وأسف.

الموت.. وداع إجباري وهجوم خاطف، واقتحام مأساوي، هدد الله بالموت اليهود فتعلقوا بأذيال البقاء، وناداهم ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ احتمى الملوك بالجنود فنجوا إلا من الموت، اتفق المريض والطبيب وصانع الدواء وبائعه وصارفه على خطة يسلمون فيها من الموت، فماذا حصل؟

مات المداوي والمداوي والذي جلب الدواء وبائعه ومن اشترى.

الموت.. لا شماتة فيه لأنه عام لا خصوص له، مطلق لا يقيد، حر وليس بعبد، أنزل آل كسرى في الحفر، وسحب سيف ذي يزن من غمدان، وبطش بالمناذرة، وداس الغساسنة، هجاه الشعراء فجعلهم أثرا، ووصفه الأطباء فقتلهم بعقاقيرهم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ۚ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَىٰ إِلَهِهِمْ إِلَٰهَهُ الْحَكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

حفظ الوقت من صفات الناجحين

الذي يريد معالي الأمور، يطلب المنازل الرفيعة يحرص على أنفاسه ويشح بدقائق عمره أن تذهب سدى، فهو دائم اليقظة على وقته

يصرفه فيما ينفعه يملؤه خيراً يندم على ما فرط من اللهو فيعود مستدركاً ما فات في الجد فيما بقي فهو بين عمل الآخرة ترفع به درجاته وبين عمل دنيوي نافع مفيد تعظم به مكاسبه. وكثير من الناس لا همّ لهم من ضياع الوقت ولا حزن من صرف الزمان، أحدهم يجلس أمام بيته يشاهد المارة غادين راثحين وهو مذهول مدهوش وآخر يجلس مع الباعة يضاحكهم ويمازحهم وكأن الأمر لا يعنيه والمسألة لا تهمة ومنهم من صرف جل وقته في لعب الكرة ومشاهدة الكرة وقراءة أخبار الكرة وسماع أنباء الكرة ﴿وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ فيا لبساً فهم الخطاب! ويا واعياً عرف المقصد من الحياة! قم من نوم الغفلة استيقظ من سكار الهوى بايع قلبك على الجد بيعة الرضوان تحت شجرة العزيمة لعل الله أن ينزل عليك سكينه ويثيبك فتحاً قريباً.

الحياة قصيرة فلا تقصرها أكثر

بعض الناس عنده مقدرة عجيبة في تكدير خاطره، وجلب الهم والغم لنفسه، ويجيد فن الخيالات الفاسدة لذهنه، فكم يصفو له من هذه الحياة إذا كان دائماً يتذكر الماضي بآلامه، ويتوقع حوادث المستقبل، وتمرضه كلمة مؤذية سمعها من حاسد، ويحقد على كثير غمطوه حقه، ويغضب على زوجته المسرفة ويثور على ابنه لمخالفته أمره، ويحزن على مال سبق أن فقده. وهو خائف لأنه يظن أن مرضاً ما سوف يصيبه، ويستمر في جمع هذه القائمة من المصائب والأحزان.

فيا من أراد السعادة والراحة لا تقصر حياتك فهي قصيرة أصلاً،
عش في حدود يومك، ولا تبك على ما فات، واترك المستقبل حتى
يأتي، ولا تلق بالآل لكلام الحساد، وتوكل على الله، فهو حسبك، وكفى
هموماً وغموماً وأحزاناً.

ذباب طمع

رأيت أناساً أقبلت عليهم الدنيا بمال أو منصب فأقبل عليهم
الناس ففرحوا بها وظنوه قبولاً من الله وأحسنوا ظنهم بالناس ومدحوا
العامّة وركنوا إليهم ووثقوا بهم ووقفوا معهم وقضوا حوائجهم فلما
افتقر صاحب المال وعزل صاحب المنصب طاروا عنه وهجروه وتركوا
زيارته ونسوه فأساء ظنه في الناس ومقتهم وعجب من جحودهم
ونكرانهم. ولو عرف السبب لبطل العجب لأن الناس من أول مرّة لا
يجتمعون على شخص في الدنيا إلا لمنفعتهم فإذا فقدوا هذا المنفعة
فهو عندهم كقطعة خشب لا قيمة لها فافهم هذا.

خير الرجال

خير الرجال من حفظ الحدود بينه وبين ربّه واقتصد في عبادة ربّه
مع سلامة صدره على إخوانه المؤمنين وطهارة لسانه من كل ما يشين
ومطعم حلال، فإذا اجتمعت هذه الخصال مع حسن خلق فقد تم فلاح
هذا العبد وارتفع قدره لأن من الناس من يكثر التعبد ثم يتعدى حدود
الله في بعض الأمور فلا تفي حسناته بسيئاته ومنهم من يقوم الليل ثم

يغتاب في النهار فيهدي ثواب قيامه على من اغتابهم كاملاً مكملاً، ومنهم كثير الأوراد والنوافل ولكن صدره مملوء حسداً وحقداً على إخوانه المؤمنين. ولكن من صفى سريرته وأصلح ما بينه وبين ربّه واجتنب الحرام ولو كان مقللاً في النوافل فهذا والله العبد الصالح، واعلم أن الطاعات يفعلها البر والفاجر ولكن لا يترك الحرام كله إلا صديق ولذلك صح في الحديث: «اتق المحارم تكن أعبد الناس».

قلة العقل

لنقصان العقل علامات يعرف بها، منها تقديم أمر الدنيا على أمر الدين فإن من يفعل هذا الفعل مجازف بحياته وآخرتة لا يدرك مصلحته، ومنها عقوق الوالدين فهو يدل على اللؤم وذهاب الوفاء لأن هذا جحد للإحسان وكفران للجميل، ومنها الاستخفاف بالسلطان وهذا من الحمق والسخف وعدم التفكير في العواقب ويستدل على قلة العقل بنشر الأسرار وإفشاء ما يحذر منه والثقة بكل أحد وقد وجدنا أناساً ظاهرهم الصلاح والخشوع فإذا هم السم الزعاف وعرفنا من كنا نظنه من صالحى الأولياء يبيع ذمته بثمان بخس وعرفت رجلاً كنت أحسبه قدوة يحلف أيماً مغلظة على أمر بان فيه أنه كاذب وممن عرفنا من يبيع دينه بعرض من الدنيا ونحن من هذا العالم المظلم فعفوك يارب.

اعتزل لتسلم

في العزلة.. السلامة من مدهانة الظالم ومداراة الجاهل فإن من

الناس من لا يقبل منك إلا الموافقة على كل ما يريد والمدح لكل ما يفعل والثناء على كل ما يعمل فإن أظهرت نقده وأعلنت مخالفته فالويل لك منه فسلامتك في البعد عنه والنجاة بدينك ويكفيك الخبر الصحيح «كف عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك».

وفي العزلة.. السلامة من شح البخيل فإن من احتجت إليه من الناس صغر عنده قدرك وخف لديه وزنك وذهبت عنده قيمتك فقد ذهب الكرام ومات الأجواد وخلت الديار من الأبرار إلا من ندر فلا تحصل على مال أحد حتى بالقرض حتى تبيع فيه ماء الوجه، وبهاء الطلعة، وعزة النفس وكرامة المقام ثم يمن عليك ما وهب وذكرك ما أعطى وتبقى في رقه طوال العمر.

وفي العزلة.. السلامة من الحمقى ومن في عقولهم خلل، وفي ضمائرهم علل، وفي أخلاقهم ملل فقل أن تجد رزينا عاقلا أو شهماً فاضلاً فأغلبهم مضيع للأوقات منفق للساعات لا في أمر دين ولا دنيا، يسأل عما لم يقع ويغفل عما يحتاج إليه قصر فيما علم وبحث عما جهل أخفق في أمر آخرته وغلط في أمر معيشته فأحب ملء أوقاته في قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال وضياع العيال ومصاحبة الجهال.

وفي العزلة.. السلامة من قرين السوء مزين الباطل محبب الفاحشة والداعي إلى المعصية والبريد إلى الرذيلة بحاله ومقاله وفعاله فإن بعض الناس يفسد في مجلس واحد ما لا تصلحه عشرة مجالس

والجرباء تعدي الصحيحة، والناس أميل شيء للجليس والنفوس أمارة بالسوء والقرين يضعف مع قرينه فالتحصن بالعزلة في مثل هذا واجب شرعي وأصل عقلي.

وفي العزلة.. الحفظ على المال وأعوذ بالله أن أكون داعياً إلى البخل فإنه في الخلطة قد يحصل صرف المال على البطالين والعطالين والفارغين في ضيافات تسمى كراماً وجوداً وهي في الحقيقة إسراف وللمال إتلاف وبالوقت إجحاف، فإن من داخل الناس ألجؤوه إلى مناسباتهم وولائمهم وضيافاتهم فإن استلف وما قضى قالوا بخيل جاحد، بالخير جامد، وللمعروف فاقد وإن سايرهم وباراهم ضيع ماله وما كسب، وأنفقه شذر مذر لا في حق ديني ولا في مقام دنيوي، فلا هو متصدق فيؤجر، ولا صاحب معروف فيذكر.

وفي العزلة.. الامتناع من أكل الحرام فإن المطاعم مدخولة وأبواب الربا والغش مبذولة وكثير من الأغنياء لا يتورع في المطعم ورب لقمة أورثت ندماً ووجبة خلّفت سقماً فقد تأكل رغيفاً عند صاحب دخل حرام فيقسو قلبك ويعوج لَبك وتدعو فلا تجاب وتسال فلا تعطى لأن إجابة الدعاء مرهونة بحل الغذاء.

فضل العلم

مسكين الذي لم يتعلم ومسكين الذي لم يقرأ الكتب فليس لديه جديد ولا في حياته عجيب يغفل كثيراً ويسهو طويلاً لأنه لم يقرأ آية تهزّه أو حديثاً يوقظه أو قصة تعجبه أو بيتاً يطربه أو مثلاً ينفعه، أمّا

طالب العلم فهو في مدد دائم وفي خير متواصل معه القرآن يشجيه ويحييه ومعه السنة تدربه وترعاه ولديه التأريخ يعظه وينبهه، عنده الأدب يقوّمه ويروضه، حياة طالب العلم كالبلستان أشجار وأزهار وأنهار وثمار، حياة العامي الجاهل كالصحراء الجرداء القاحلة المقفرة الموحشة ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فاطلب العلم واسأل العلماء وطالع الكتب لتعيش الحياة السعيدة المجيدة والعمر المبارك ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

كيف تفرح بعثرة المسلم!؟

يجب علينا أن لا نفرح إذا عثر المسلم ولو كان عدوّاً لنا، لأن الإخوة الإسلامية لا زالت قائمة ولأنه لا يُفرح إذا عُصي الله تعالى ولأن معاصي المسلمين شين وعيب على أهل الإسلام ولأن أعداء الإسلام يفرحون إذا أخطأنا فكيف نشاركهم في فرحهم بأخطائنا ثم إن من يشمت بأخيه المسلم ولو عاداه جدير أن تكون عاقبته وخيمة، فاسأل الله لك ولإخوانك العافية، وابك على خطيئتك، وامسك عليك لسانك، وفينا من العيوب ما يشغلنا عن غيرنا لو تدبرنا ولو خفنا الله لبيكنا على أنفسنا.

صيد الخاطر

من أجمل وأعجب ما قرأت كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي وهو عندي أنفع كتب هذا الرجل الموسوعي العجيب، وكتابه هذا

لا يفارقني لعدم تكلفه وصدقه في عرضه وسعة تجربة الرجل ودقة نظره وسداد رأيه، فالكتاب ثمرة عمر هذا الإمام وخلاصة حياته، فأوصيك بتكراره والرجوع إليه فهو ممتع جذاب ليس فيه حواش ولا تكلف ولا تزويق عبارة، لا تشدق في لفظ بل فيه إشراق لفظ وسلاسة منطق وقوة أسر مع ما فيه من روح متدفقة من المؤلف ومعاناة صادقة وتجربة طويلة بين الناس والكتاب، ولا بن الجوزي ما يقارب ألف مصنف ما بين صغير وكبير ولكن كثيراً منها نسي وبعضها هجر وبقي صيد الخاطر يعيش مع الناس، يُحدث طلبة العلم ينتقل معهم أينما حلُّوا وأينما ارتحلوا وقد علَّق عليه جمع من طلبة العلم وخرج بطبعات شتى ومع هذا ينفد من الأسواق ويقبل عليه بشغف كأنه أُلِّف اليوم فياله من كتاب أحيا ذكر مؤلفه وسار مسير الشمس ونفع أمماً لا تحصى فمن أراد التأليف فليؤلف مثله ولينسج على منواله وليحذو حذوه رحمه الله وجزاه خيراً:

أحبُّك لا تفسير عندي لصبوتي أفسرُ ماذا والهوى لا يفسرُ

ولها حق أيضاً

كيف يطلب الواحد منا من زوجته أن تترين وتطيب وهو لا يفعل ذلك، أليس هذا من الحيف، تجد بعضهم شعث الشعر، جهم المحيا، مبعثر الهيئة، لا عهد له بالطيب، ولو وجد ذلك من زوجته لثارت نائرتة واشتد غضبه. إن من حقوق العشرة الزوجية التجميل للزوجة وحسن الرائحة والاعتناء بالجسم حتى يتم الوفاق وتستمر الألفة ويبقى

الود:

خذا من صبا نجد أماناً لقلبه فقد كاد رباها يطير بلبه

قلة الفقه في الدين

حججنا مع تجار، فكان بعضهم يسأل عن تساقط شعره وإزالة ظفره إذا انكسر وهو محرم، وعلمت أن هذا السائل يتعامل بالربا وربما تهاون بالزكاة، فعجبت من قلة فقهه وحرصه على صغار المسائل وإهماله أصول الدين، ومثله كمثّل أهل العراق قتلوا الحسين بن علي وسألوا ابن عمر عن قتل بعوضة في الحج، مثل هذا كثير في الناس فهم يحرصون على دقائق المسائل وأشدّهم إهمالاً لكبارها، ثم إن الهوى يدخل على العبد في التزين كثيراً، فكثير من التجار لا يسأل عن الزكاة ولا الربا لأنه قد يخالف هواه ولكنه يسأل عن صيام النوافل وتلاوة القرآن، وكثير من السلاطين لا يسأل عن حل الأموال وإقامة الحدود لأنه لا يروق له ذلك فيسأل عن كفارة اليمين ونحو ذلك، وبعض الوعاظ يساير الناس في أهوائهم فتراه إذا وعظ قوماً تجاراً ذكر لهم فضل جمع المال وما ورد في مدحه ومنافعه وإذا وعظ سلطاناً ذكر له ما يناسبه وربما لوّح بمدحه بآيات وأحاديث يفهم منها الثناء على السلطان، وهذا من تعلق الواعظ بالدنيا، ولذلك لا يجعل لكلامه قبولاً ولا ينتفع بقوله، فمرض اتباع الهوى خطير والتنبّه له صعب ورب ناسك في الظاهر فاجر في الباطن وليست المسألة بالتخاشع الظاهري وطأطأة الرأس والتماوت في المشية ولكنه صدق مع الله وموافقة القلب

اللسان وحجز النفس عن الهوى .

أدب الاتصال

للاتصال بالهاتف أدب مثل أدب الزيارة، فينبغي أن يكون الاتصال في وقت مناسب فلا يقع في وقت نوم أو راحة أو صلاة أو طعام وليقتصد في السؤال عن الحال والعيال وليعط المتصل عليه فرصة فيقال له: هل الوقت مناسب وليكن بين الاتصال والآخر فترة زمنية وحذا أن لا ترد المرأة إلا لضرورة، وليت الأطفال يزجرون عن الهاتف لسوء تعاملهم معه ونحن بحاجة إلى أن نربي أنفسنا على تربية الإسلام المباركة، وفي سورة النور من هذا خبر ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ .

ما هكذا تورد الإبل

عجبت لكثير من طلبة العلم وهم منهمكون في التأليف وقد امتلأت المكتبات بالكتب في كل فن، وغالب التأليف مكرر ثقيل والناس لا يقرؤون منه إلا النادر، وليس في تأليف هؤلاء إضافة، فتجد بعضهم يؤلف في التفسير والحديث والفقهاء وهذه الفنون أوعبت فيها الأمة وملأت الدنيا بتكاليدها على مدى ألف سنة ولا يزال طلبة يبحثون إلى الآن عن مسائل معروفة في الغالب فيضعون في كل مسألة مجلداً ليضع القارئ بين الحواشي والشروح فليتنا تدبرنا الكتاب والسنة وقرأنا المؤلفات القيمة وإن كان عندنا إضافة وضعناها أما هذا الإسهاب

والمحاكاة والتقليد في التأليف فهو قلة من الفقه ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾^(١)
 حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ .

أحسن الناس حالاً

ما غبظت أحداً من الناس إلا رجلاً عابداً عنده ما يكفيه من القوت وقد انفرد عن الخلق لا تفوته تكبيرة الإحرام جماعة وهو ملازم للروضة خلف الإمام والمصحف، كثير الذكر، حسن الخلق، ومطعمه حلال، فذلك هو ملك الدنيا حقيقة لأنه طيب العيش هنا، حسن المنقلب هناك، أما عيشة غيره فهموم، وغموم، وأحزان، فصاحب المنصب خائف يترقب متى يسقط كرسيه وصاحب المال إنما هو خادم لماله في الحقيقة، وصاحب النساء معذب مفتون، وبقية الناس رعا عجم، فما بقي إلا من هذا حاله، وهو أحد رجلين: طالب علم تعلم وعمل وعلم فهذا رباني، وعابد على نور من الكتاب والسنة فهذا ولي صالح، والباقي لا شيء يذكر:

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمرنا

كيف تعرف الناس؟

لا ينكشف حال الناس إلا عند مجاورتهم أو السفر معهم أو معاملتهم بالدرهم والدينار، فأنت إذا جاورت الرجل عرفت مقدار محافظته على المسجد وحسن خلقه وجميل عشرته وكفه لأذاه وكرمه وحلمه ونحو ذلك، وبالمقابل بان لك غدرة وكذبه واستهانتة بالصلاة

وبخله وسوء خلقه، وكذلك السفر يسفر عن أخلاق الرجال، والتعامل بالمال يظهر لك أخلاق الناس على حقيقتهم فإن المال فتنة وهو أسحر للقلوب من هاروت وماروت، فكم رأينا رجلاً ناسكاً في الظاهر مظهراً للصالح فلما تعامل الناس معه بالمال غلبه الطمع والجشع والحرص على المال حتى كذب وغشّ وغدر وأخلف الموعد، ثم اعلم أن الناس إخوانك حتى تطلب من أحدهم مالاً ولو قرضاً فإنك بعد هذه الفعلة تصبح ثقيلاً على قلبه ينفر عن مجالستك وزيارتك فوفر على الناس طلب ما عندهم أو خدماتهم ونفعهم فإنهم فقراء كلهم والله هو الغني الحميد.

أمرنا عجيب

نعتزل الناس ونخالط الكتب ونذكر الموت فتلين قلوبنا ويكثر خوفنا، ثم تقسو منا القلوب، ويضيع الزمان ويهدم ما بنيناه بالعزلة، نتخذ ورداً من القرآن والذكر فنداوم عليه فنجد الراحة والأمن والسكينة ثم نمل ونضجر ونسأم فنحوّل إلى طريقة أخرى فيحصل القلق والاضطراب، نجتمع بالأصدقاء فنجد من الحسد والضجر والغيبة والتنافس ما يزعج خاطر ويكدر القلب فتترك الأصدقاء فنجد من ألم الوحشة وهموم الغربة ما يشوش البال، نطلب الدنيا فيضيع الدين ويكثر الحلف واللغو وضياع العمر ونترك الدنيا فيغلبنا الدين والحقوق الواجبة والقيام على الأهل، نحسن خلقنا للناس ونفتح لهم قلوبنا فنكسب الثقلاء والحمقى والمزعجين، نجفو الناس ونأخذ بالحزم في

معاملتهم والحيلة في معاشرتهم فنجد العداة والمقت والتبرم منهم .
 إذاً علينا بالتوسط والاعتراف بأن هذه طبيعة هذه الدار فما لنا
 إلا الصبر حتى ينقضي العمر:

طبعت على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقداء والأكدار
 ومكّلف الأيام ضد طباعها متطلباً في الماء جذوة نار

فهم السياسة شيء والدخول فيها شيء آخر

لك أن تفهم السياسة وأن تعرف ما يجري لكن الدخول في
 السياسة لا يحسنه كل أحد ويظن بعضهم أنه إذا حذق في علم الشريعة
 صار عالماً بالسياسة وهذا خطأ فإن دهاقنة السياسة قد يكونون جهلة
 بالشريعة والمطلوب من طالب العلم الإمام بالعلم الشرعي ومعرفة
 زمانه ومكانه وما يهم المسلمين، أما أن يشتغل بجزئيات السياسة
 وينهمك في شؤونها على حساب علمه فلا، فإن أئمة الإسلام وعلماء
 الملة كانوا بحدراً في الشريعة لكنهم اعتزلوا الحكم وما والاه
 والمناصب وأهلها، فراراً بدينهم وقد يوجد منهم من أنس من نفسه
 القدرة ففعل بحدراً وهذا قليل نادر والحكم للغالب .

اتبع الدليل

طالب العلم يتبع الدليل كتاباً وسنة وهذا هو المنهج الوسط، وقد
 نبه إليه الإمام ابن تيمية في كتابه الاستقامة، فعلى طالب العلم أن
 لا يجرح الأئمة كما فعلت الظاهرية ولا يتعصب للمذهب بالهوى كما

فعل كثير من أتباع المذاهب بل يعود للدليل مع احترام أئمة الإسلام، وعلى طالب العلم أن لا يضيع نفسه بين كتب الفقه الهائلة بل يختار أجودها وأحسنها، وهي عندي أربعة: المغني والتمهيد والمحلى وفتح الباري، وعليه أن يتنبه للمحلى ففيه غرائب وشواذ، وفتح الباري من أجود كتب شرح الحديث وفيه آلاف المسائل الفقهية، ومن أراد أن يؤلف فعليه أن يعتمد إلى شيء لم يسبقه أحد، مثل فقه النوازل وفقه أوتيه في القرآن والسنة، وتجارب سمعها وعرفها وذاقها، ونكات علمية استنبطها، أما هذا التكرار والإعادة فليس وراءه طائل.

كل يوم جزء

جرب كثير من الفضلاء معرفة أيام الشهر بأجزاء القرآن فالشهر ثلاثون يوماً والقرآن ثلاثون جزءاً ومن قرأ كل يوم جزءاً من القرآن بتدبر فقد أحسن وتوسط وعمل عملاً يمكن المداومة عليه مع ظروف العصر وكثرة المشاغل فأوصيك أن تنهج هذا المنهج في قراءة القرآن وداوم عليه لتتصل بهذا الكتاب المبارك، ولك أن تقرأ هذا الجزء مرة واحدة صباحاً أو مساءً ولك أن توزعه على فترات مع الصلوات وبهذا تكون متصلاً بكلام الله غير هاجر له لتختمه كل سنة اثنتي عشرة مرة بتدبر وتفكر واحرص على العمل بتعاليمه وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ليشفع لك عند الله، وقد أشار إلى قراءة الجزء كل يوم ابن حزم في رسائله وأحمد أمين وغيرهما وهو بالتجربة سهل نافع مبارك.

فتوى العامّة

تَعَجِب مَمَّنْ أَفْتَى عَامِيًّا بِذِكْرِ الْأَقْوَالِ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالْخِلَافِ ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ الْقَوْلَ الرَّاجِحَ وَمَا دَخَلَ الْعَامِيَّ فِي هَذَا الْكَلَامِ وَكَيْفَ يَفْهَمُهُ؟! فَيَا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْتِيَ الْعَوَامَ اذْكُرْ لَهُمُ الْقَوْلَ الصَّحِيحَ الَّذِي تَعْتَقِدُهُ وَلَا تَخْضُ مَعَهُمْ فِي قَوْلِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَإِنَّ أَذْهَانَهُمْ لَا تَحْتَمِلُ وَمِنَ الْحِكْمَةِ مَخَاطَبَةُ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ.

الوسط .. الوسط !

ما رأيت كالتوسط في الأمور وهو منهج الإسلام . والتشدد في العبادة والانهماك في النوافل قتل لإشراق النفس وعاقبته الملل . والترك والكسل في العبادة والتقصير دليل على خسة النفس ورداءة الطبع ، والتزين الكثير والتجمل المسرف من أخلاق المرأة ، والتبذل وكثرة التقشف وهجر الاعتناء بالمظهر من شيم سقط الناس ، وبينهما وسط وهو لبس الطيب النظيف ومتابعة السنة وما عليه غالب الناس ، والتبذير في النفقة أمر محرم مؤذن بمحق الرزق ، والإمساك الشديد بخل مذموم داع لكل نقيصة ، والوسط إنفاق في حق وقيام بواجب وحفظ المال من الضياع ، ومخالطة الناس على الدوام ضياع للدين والقلب والوقت والعزلة الدائمة مؤدية للوسواس والهموم وترك مناسبات الخير والوسط المخالطة فيما ينفع والحضور فيما يفيد والاعتزال عن كل محرم وعن كل فضول لا تنفع في الدين والآخرة وعلى ذلك فقس والعامل شوكة

ميزان يُعطي كل مقام حقه والله الموفق .

القراءة التافهة

الانهماك في قراءة الصحف والإغراق في تصفح المجلات والولوع بالدوريات والنشرات الضحلة دليل على الإفلاس العلمي والجهل الثقافي فهذه القراءة الهشة المريضة لا تسمن لا تغني من جوع لأن أكثر ما يكتب في الصحف والمجلات غثاء كغثاء السيل، لغة سوقية صحفية مبتذلة وفكرة طاردة، وطرح ثقيل فملل وتكرار وبيل وفيه من قتل الوقت وضياعه ما يكفي خسارة، ثم إن هذه القراءة السامجة تظهر آثارها على لغة القارئ وكلامه ومصطلحاته فتراه إذا تحدث كأنه مذيع أو معلق رياضي، لأن تركيب عبارات القوم طغى على قاموسه فهو يظهر للجمهور أنه واع مثقف بزعمه ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ وهو في الحقيقة صفر من الأصالة العلمية مقفر من المعرفة الرائدة الرشيدة، فيا أيها القراء هلموا إلى الكتاب والسنة لتعيشوا الجلال والجمال والكمال ﴿صِنَوَانٌ وَعَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ﴾ ثم أقبلوا على أسفار الجهابذة الرواد من أساطين الملة في المعرفة لتروا عيناً معيناً ﴿يَتَرَّبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أما الصحف والمجلات فمن أراد قراءتها فليمر بعينه على عناوينها العريضة مرور يد الطبيب على المريض :

بطأ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آسي يجس عليلا

المهم الحقائق لا المسميات

لم يكن عند الصحابة رضي الله عنهم ألقاب تفخيم، فكان الواحد منهم يدعى باسمه أو بكنيته أو بالخلافة إذا كان خليفة، فيقال يا بلال يا أباي، يا معاذ وهكذا، أما المتأخرون فصارت الألقاب والمباهاة سمة، فيقال الفقيه الحافظ النظار الواعظ وهكذا، والمهم الحقائق لا التسميات.

من سالم الناس يسلم من غوائلهم

أوصيك بمسالمة الناس والدفع بالتي هي أحسن حتى تعيش آمناً فإن من عادى الناس لا يصفو عيشه وسوف يعيش منغصاً مكدرًا قلقاً فتراه مشغولاً بمن عاداه يرصد له ويحذر منه والحياة أقصر من أن تصرف في مثل هذه العداوات والعاقل من كف أذاه عن إخوانه المسلمين واعتزلهم إلا من خير، وما أدري كيف يعيش من ناصبهم العدا فإن أول ما يخسره سكينه قلبه وراحة باله فهو يفكر في الانتقام منهم ويتفاعل بكلامهم حتى يذهب عمره سدى وما رأيت أنعم حالاً من سليم الصدر من الحقد والحسد وحب الانتقام فهو في عيش هنيء طيب ينام قرير العين، ومسألة الأمن ليست الأمن على النفس والمال والعرض فحسب بل هي تزيد على ذلك بالأمن في النفس وراحة القلب، واجتهد في تفادي العداوات ما استطعت ولا تحتقر أحداً فتعاديته فإن البعوضة تدمي مقلة الأسد وربما انقلب الحال فعلاً السافل

وترأس المعزول فشفى غيظه منك والوحي يناديك ادفع بالتي هي أحسن فإن استطعت أن تعفو عن ظلمك وإلا فاهجره هجراً جميلاً لا أذى فيه واصرف تفكيرك في طاعة ربك وذكره وتلاوة كلامه والله أعلم.

وبضدها تتبين الأشياء

لابد للعلماء والشعراء والمؤلفات المتميزة من مضادة ومنادة حتى تشتهر وتذاع وتعرف، كما قال المتنبيء:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
وهذه سنة، وانظر في أحوال علماء الأمة وشعرائها الكبار
ومؤلفاتهم المؤثرة، أما العادي فهو أقل من أن يصادم.

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستشهدون وهم شهود

جمع الحسنات

من عرف قصر العمر وبعد الطريق وهول المصير اجتهد في جمع الحسنات كل يوم وليلة، والعبد الصالح حريص على الأعمال الصالحة أشد من حرص التاجر على التجارة الرباحة، وهناك قائمة بأعمال تمر بالعبد كل يوم وليلة لو أنه أحضر نيته عند القيام بها لملاً ديوانه حسنات: كالتبسم في وجه المسلم، والكلمة الطيبة، والمصافحة، وإماطة الأذى عن طريق المسلمين، والمشي إلى الصلاة، والصدقة؛ ولو بالقليل، والتسيحة، والتحميدة، والتكبير، والتهليلة، وأمثال

تلك الأعمال اليسيرة على العبد الثقيلة في ميزانه، وله الحمد سبحانه ما أرحمه أدخل امرأة بغياً الجنة لأنها سقت كلباً كاد يهلك من العطش، وأدخل رجلا الجنة لأنه أزال غصناً كان يؤذي الناس في طريقهم فيا من آمن بلقاء الله لن يشفق عليك أحد غيرك فارحم نفسك بجمع الحسنات وحفظ الأوقات ورفيع الدرجات ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

فائدة

اقتصد في نفقتك، واكسب الحلال، ومن خير الكسب التجارة والعقار واصرف جزءاً من وقتك في طلب المال من حله، لأنك بهذا تصون ماء الوجه وتحفظ العرض والدين، وأن تترك ذريتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس، والإسراف والبخل بينهما رتبة فاعتبر.

خاطرة

إذا أراد الله بعبد خيراً أيقظه من الغفلة، وبصره بعيوبه، وألهمه عبادته وحرك قلبه، فتجده خائفاً راجياً لوقته نادماً على ما فرط في سنه، يبادر أنفاسه، ويستعد للقدوم على ربه، ويجمع زاداً للسفر الطويل ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

أيتها العير إنكم لسارتون

الخلصة الثقافية محرمة والأمانة العلمية واجبة ومن سرق ربع

دينار فصاعداً استحق قطع اليد، ومن سرق ربع نص فأكثر فقد استوجب قطع اللقب العلمي، وفي الناس من يستحل نهب جهود الآخرين استحلاله ماء الفرات، فتجد أن بعضهم من يعدو على شرح الحديث ليس له فيضيفه لشرحه موهماً أنه ابن بجدها ومذكي جمرتها، ومنهم قليل الصبر على التخريج فيغير على تخريج غيره فيقدم ويؤخر حتى يبعد عن نفسه التهمة ويغفل اسم المخرج الأول ظلماً وعدواناً، ومنهم من ينقل من كتاب عالم آخر بنصه وفصه في سياق كلامه حتى تظن أنه صاحب هذه الفتوحات وفتح هذه المغلقات (ومن غشنا فليس منا).

ومنهم من يعمد إلى كتاب بأصله فيجعل عليه سافله وأوله آخره ويمينه شماله وربما أدخل من كيسه بعض العبارات ثم يخرج الكتاب مسلوفاً محرفاً مشوهاً منسوخاً ممسوخاً ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهٖ جَسَدًا مِّمَّ أَنْابَ﴾ ومنهم من يستخدم في تأليفه آلة التصوير والمقص فيصور النقول والنصوص والشروح ثم يقص الألقاب والكنى والأسماء ويضع كنيته ولقبه واسمه.

حَسَنَ خَلْقِكَ لِلنَّاسِ

ما رأيت أملك للقلوب من حسن الخلق وما وجدت مثل الكلمة الطيبة مصيدة للنفوس، والسحر الحلال هو التبسم في وجوه الرجال فعود نفسك يا أخي البسمة عند اللقاء والكلمة الطيبة عند الحديث واحذف حفظك الله كلمات التجريح من قاموسك واشطب ألفاظ

السباب والشتم من دفتر أخلاقك لتعش سعيداً محبوباً ففي الحديث «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» واعلم أن كسب الناس فن يدرس ومادة تتعلم فاجتهد في جذب القلوب فإن هذا علامة القبول لتحصل على دعاء بظهر الغيب وثناء يكون عمراً ثانياً لك ومحبة أعظم من كنوز الدنيا وصداقة خيراً من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

هوية أجنبية

بعض الناس مع المسلمين بجسمه وليس معهم بقلبه معهم بالسكنى والوطن وليس معهم بالديانة والانتماء معهم في الظاهر وليس معهم في الباطن فممسوخ ديانة معاق فطرة مهزوم إرادة يعجبه الأجنبي ويستهويه الكافر عهده بالمسجد يوم كان طفلاً وصلته بالمصحف يوم درس الابتدائية سافر للغرب سفرة قلبت دماغه وهزت كيانه وهزمت نفسه ﴿إِنْ نَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثْ﴾ إن تحدث فبلغة الأجنبي يردد كثيراً أسماء القوم ديكارت وكانت وشكسبير وفكتور هيغو وإن قص علينا ذكر قصة سفره إلى لندن وباريس ولوس أنجلوس أكبر شهادة له أنه مسلم في إثبات الهوية التي يحملها يسمع الأذان فلا يحرك فيه شعرة ولا يحدث له استجابة ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ وهو يدافع عن كل أجنبي ولا يقبل فيهم صرفاً ولا عدلاً يبرر تصرفاتهم، تعجبه حركاتهم ومقالاتهم، يهزه تاريخهم، يموت في حبهم ولكنه لم يأخذ منهم إلا القشور ولم يحذو حذوهم في الريادة الصناعية ولا في الاختراع العلمي والتفوق المادي فهو لم يدخل عالمهم العملي المنتج المخترع وإنما

وقف بالباب ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ .

فائدة

يقول صاحب فن الخطابة: العظمة هي قراءة الكتب بفهم، ومعنى كلامه أن أعظم ثروة هي المعرفة، وهي قيمة الإنسان فكلما نمت هذه المعرفة زادت قيمته وعلت درجته وغزر فهمه وإدراكه، وقد رأيت عبر التاريخ أناساً لا أنساب لهم ولا أموال ولا مناصب رفعتهم المعرفة، كالجاحظ وأبي حيان التوحيدي وابن قتيبة وابن خلدون . . وغيرهم .

صحيح الجامع الصغير

جزى الله الشيخ الألباني محدث العصر خيراً على كتابه الفذ الممتع صحيح الجامع فقد شفى وكفى وهذا الكتاب أصبح اليوم سميري ومحدثي وصقيل ذهني ورفيقي الخاص بعد القرآن لأنه صحيح إلا ما ندر ثم إنه جمع الصحيح من ثلاثين مصنفاً أو أكثر وهو مرتب على حروف المعجم وهذا أسهل طريق لكشف الحديث، ويوم تطالع هذا المصنف لا تمل أبداً لأنه ينتقل بك من موضوع إلى آخر ومن قضية إلى أخرى حتى كأنك في حديقة متنوعة الألوان والطعوم والأشكال وهو باختصار يجمع لك ما يحتاجه كل مسلم في دنياه وأخراه من حديثه ﷺ وهذا أجلُّ كتاب عندي للعلامة الألباني وهو زبدة مؤلفاته وتاج مصنّفاته مع صغر حجم الكتاب وذكره لرمز المخرج

والصحابي وحكمه على الحديث .

كتاب: صفحات من صبر العلماء

على شذائد العلم والتحصيل؛ لأبي غدة

هذا الكتاب يشحذ الهمة على طلب العلم ويثير العزيمة وفيه من قوة الطرح وكثرة الشواهد ونصاعة الأسلوب ما يبهر القارئ، وفي زمن كساح الهمم وبرود العزائم نحتاج لهذا الكتاب فإن من قرأه برغبة قدح في قلبه شوقاً لا ينطفئ للعلم ورغبة ملحة للتحصيل، والمؤلف جود الأبواب وسرد القصص الآسرة من حياة السلف ودمجها بتعليقات ملهبة وشواهد شعرية جذابة ونكت من الطرح العجيب مع سعة دائرته في المراجع وقوة عرضه البلاغي فكان الكتاب بحق رسالة عاجلة وملحة لطلبة العلم أن يصبروا ويثابروا حتى يصلوا إلى المطلوب ويدركوا المرغوب ومن كان في شك من كلامي هذا فالرجاء مراجعة الكتاب والوقوف معه زمناً وليس الخبر كالمعاينة .

أسباب النجاح

١ - همة متوثبة ملتهبة عارفة لا تحد ولا توصف وهي التي تنقل صاحبها إلى الصفوف العليا في الناجحين ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً ﴾

٢ - صبر دائم وجلد مستمر من العطاء والحرص والمواصلة والدأب

«أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز» .

٣ - ثبات في الطريق بلا تردد أو ارتباك أو توقف ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ .

٤ - الانتصار على هوى النفس ورعونتها وتخذيها وتسويقها وإحباطها وأمانها ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ .

٥ - التفاؤل وانتظار المستقبل الزاهر وحسن الظن في الله عز وجل والنظر بإشراق إلى الغد والقضاء على التشاؤم وتخويف الشيطان وإرجافه . ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

٦ - عدم الاستسلام للفشل والخنوع عند العثرة أو الهزيمة عند الإحباط ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ .

رأي

أنا لا أعتبر أبا العلاء المعري حكيماً، لأنه لو كان حكيماً لنفع نفسه، وسعى في إنقاذها من عذاب الله وعقابه، وكيف يكون حكيماً وهو شاكٌّ في الرسالة، قادح في النبوة، معترض على الشريعة هازل بالدين .

فن تصيب العلم

بعض الناس عنده قدره عجيبة في تصيب العلم على الطلاب، فهو يُبدىء ويعيد دائماً في مشقة التحصيل وطول الطريق وبعد المثال

حتى يرى الطالب أنه ليس له حظ في هذا العلم ومن المستحيل أن يكون عالماً لأنه يسمع من هذا الشيخ أن من أراد أن يطلب العلم فعليه أن يتفرغ من كل شيء ولا يشتغل إلا بالعلم وعليه بالسهر لأن من طلب المعالي سهر الليالي وعليه بحفظ المتون وتكرارها دائماً وأبداً حتى ترسخ والجلوس في حلقات العلماء لشرح هذه المتون ومراجعة المسألة في كتب الفروع ومعرفة مصطلحات المؤلفين خاصة كتب الفقهاء المذهبية فيصبح طلب العلم عند الطالب أشق طريق ويرى أن أمامه شبحاً مخيفاً وهذه الطريقة غير صائبة ولا سديدة والله يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ قال مجاهد: يسرنا العلم فهل من طالب علم. وكان السلف يطلبون العلم في يسر وسهولة بلا تشنج ولا تكلف وكان لهم مزارع وتجارة وأهل فأعطوا كل ذي حق حقه وتعلموا على طيلة السنوات حتى صاروا نجوماً يهتدى بها وإنني أعرف من أذهب ليله ونهاره في التحصيل والقراءة والحفظ وليس له إدراك ولا فهم ولم ينشر علمه فالمسألة فقه وعقل وقبل ذلك توفيق من الله عز وجل.

الفقه

لو صرف غالب الوقت في دراسة الفقه كان رأياً سديداً، فإنك لا تجد إلا من يسأل عن الفقه ويحتاج الفقه، وقد تمر بك سنوات ولا تسأل عن سند حديث، أو كلمة في اللغة أو بيت شعر، وانظر إلى كبار الفقهاء كالأئمة الأربعة كيف طبقوا الخافقين بذكرهم، لأن علمهم الفقه في الدين.

الظاهر والباطن

من عادتنا أننا نترين للناس في ظاهرنا حتى لا يروا منا ما يشين وأجمل من هذا أن نزين بواطننا لرب العالمين، ونحذر أن نغضب الناس ونلتمس بكل حيلة رضاهم، وأحسن من هذا خوف الجليل وطلب رضاه فإن رضاه أجلّ المطالب وأعظم المكاسب، ونأسف إذا فاتنا من الدنيا نصيب أو حلت بأموالنا جائحة ولا نحزن لثلم في ديننا ونقص في إيماننا، ونعطي أنفسنا ما تطلب من كل محبوب ومرغوب ولا نطالبها بأداء حقوق ربها والقيام بطاعة مولاها، ونرهب السلطان ونحاسب أنفسنا على كل كلمة بحقه ونحذر كل تصرف يجر علينا سطوته ونستهين بمخالفة ملك الملوك الذي لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد، ونفرح بكثرة الأموال والأولاد والحصول على المناصب والمكاسب ولا نفرح ذلك الفرحة بنعمة الإيمان والقرآن والسنة: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ فيا من أصلح ظاهره عليك بإصلاح الباطن.

التشاؤم

التشاؤم النظر إلى الكون بكره، والتطلع إلى الدنيا بمقت، فالمتشاؤم يرى كل شيء أسود، الزهرة عنده شوك، والسنبلة قنبلة، والنخلة حنظلة، والمطر نار. المتشاؤم معقود الجبين، كالح الوجه، ضيق الصدر، فليس عنده أمل ولا رجاء ولا فرج ولا يسر، فهو يرى أن

الليل سوف يبقى، والفقر سوف يستمر، والجوع سوف يدوم، والمرض لن يقلع، في قاموس المتشائم الموت والسقم والهلاك والفشل والإحباط، والسقوط ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾. المتشائم يموت كل يوم مرات، ويجوع وهو شعبان، ويفتقر وهو غني، لأنه أطاع الشيطان: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾.

آيتان من القرآن

في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِلرِّبِّهِمْ وَمَا يَضُرَّعُونَ﴾ ذم لهم في تركهم الاستكانة لله وهو الذل والخضوع والخشوع عند المصاب، وهي استكانة محمودة لأنها تظهر حاجة العبد لربه وخالقه ومولاه وافتقاره إليه، وانطراحه على عتبة ربوبيته ووقوفه بباب عبوديته.

وأما قوله سبحانه ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ فهذا مدح لهم بترك الاستكانة لأعدائهم، فما ذلوا لغير الله، ولا خضعوا لسواه، بل كان عندهم من الشجاعة والصبر والتحمل الشيء الكثير، فما يحسن منهم هنا الاستكانة وقت الجهاد عند مقارعة الأعداء، لأنه خور وجبن وهلع، فتحمد الاستكانة لله وحده، وتذم لغيره وتمدح من العبد لمولاه، وتمقت من العبد لسوى الله تعالى.

الحياة البسيطة

زرتُ أفغانستان فوجدت رجالاً أقوياء أشداء مع شدة فقرهم وقلة

معيشتهم وبعدهم عن الترف والإسراف فعلمت أن السعادة والراحة والصحة في قلة المغريات والملذات وأن راحة البال في السلامة من فضول العيش وأن أهل النعيم عرضة للأمراض والهموم والغموم وهذا أمر معلوم مجرّب معروف .

الحجّة

الحجة ملك عامر، وسلطان قاهر، وهي سلاح الأنبياء، وجيوش الرسل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ والحجة غلبة العقول سلابة الأرواح، بها تفتح معاقل الضمائر، وتحتل حصون السرائر، ويستحوذ بها على أفئدة الناس، والحجة يدعن لها المكابر، ويستسلم لها الجبار، ويعترف بها الجاحد، فهي إقناع النفس بصدق الخبر، وإرضاء خاطر بصحة النظر، علامتها نور صدقها، ودليلها قوة تأثيرها، والحجة كنز وقت الحاجة ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ وزاد يقتات في سفر المجادلة ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الحجّة تطلق اللسان، وتبسط القول، وتشد القلب، وتجريء المتحدث، إن لصاحب الحق مقالا. وهي أسهل مئونة من جمع المال، وإعداد الرجال، وصقل السيوف، والغلبة بها أقوى من الغلبة بالكتائب، والظفر بها أسعد من الظفر بالجنود، لأن غلبة الحجّة باقية دائمة، من أحضر الحجّة كسب القضية: البينة على المدعي، ومن فقدتها خسر الفوز، ولا أمتع ولا ألد من مصارعة الحجّة، لأنها توثاب العقل وتطارح الضمير، وتشاجي الروح، وتنازل المعتقد: ﴿فَأَمَّا مَنْ بَدَأُ

وَأَمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴿١﴾ بالحجة دفع الخليل النمرود ﴿٢﴾ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴿٣﴾ وبها صرع موسى فرعون ﴿٤﴾ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥﴾ وبالحجة نكس محمد ﷺ رؤوس الأوثان ﴿٦﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴿٧﴾ الحجة كلام ولكنها أفتك في الخصم من الأسود، وجمل ولكنها أعتى في المجادلة من السيل الجرّار، وألفاظ ولكنها أسرع في النفس من البرق الخاطف، والحجة درع الضعفاء، ومظلة البؤساء، وسياج الضعفاء من الأقوياء، وهي أصدق من الفجر، وأبقى من الدهر، وأهنأ من العافية، مقتولها بلا قود، ومغلوبها بلا أمل، ﴿٨﴾ فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿٩﴾ إنها إفحام الخصم حتى يصرخ ﴿١٠﴾ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتَ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴿١١﴾، وإمساك المعاند حتى يصيح ﴿١٢﴾ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾، وإرغام المتذرع بليل الشبهات حتى ينادي: أصبحنا وأصبح الملك لله. إنها الأخذ بهدوء، والبطش بسكينة، والقهر بلين ﴿١٤﴾ وَحَدِّدْ لَهُم بِآيَاتِنَا هِيَ أَحْسَنُ ﴿١٥﴾ والحجة ثقة بالمبدأ، وعزيمة على الرشد، وإصرار على الصواب، وإقناع بالحق. نور على نور.

إنها لا تحتاج إلى صوت أو صورة، أو دعاية أو إعلان، لأنها غنية بنفسها: دعوها فإنها مأمورة.

الترف يفسد الرجال

زارنا ونحن في الكلية بأبها وفد من دولة خليجية وكانوا مترفين غاية الترف مسرفين إلى نهاية الإسراف ورافقتهم في جولتهم فكانوا مضرب المثل في الكسل وكثرة النوم وقلة القراءة والاطلاع إنما همهم

راحة النفس وإجمام الروح والتلذذ بمباهج الحياة وعلمت بعد هذا أن أكبر سبب وراء هذا الإهمال والخمول والترهل هو البذخ والإسراف والترف والرفاهية والنعيم وأن الشعوب تخدر بالملذات فتصبح في غيبوبة ويصبح العقل في إجازة.

على ماذا نأسف؟

ركبنا الطائرة من الرياض إلى جدة فدخلت في جبال من السحب وارتجت بنا وداخلنا الخوف وتذكرنا الموت وفراق الأهل ثم تأملت في الدنيا ونكدها وغصصها، فقلت: على ماذا نأسف في هذه الدار؟ أليست الآخرة خير وأبقى؟ ثم ذكرت ذنوبنا وتقصيرنا، فقلت عندنا توحيد نرجو به من الله النجاة غير أن الهلع على الدنيا والخوف من فواتها والتعلق بها دليل على نقص العقل والإيمان لأنها دار منغصة غدارة متقلبة مكدره ثم أنه لا بقاء لها ولا خلود لنا فيها، وقد يكون الخير لنا أن نموت الآن قبل فتنة طامة أو مفسدة عامة، وصدقني ما رهبت الموت بعد هذه الفكرة: بل قلت: الخير فيما اختار الله وأدركت بعدها حب الصحابة للموت في سبيل الله وتفاهة الدنيا لديهم وحقارتها عندهم. وعلينا حتى نحب لقاء الله أكثر أن نصلح العمل ونكثر الاستغفار ونعد العدة.

شعب يحكمه امرأة

زرت باكستان وكانوا في موسم انتخابات وكانت تحكمهم يومها

بنازير بوتو ورأيت شيوخاً بلغوا الثمانين والتسعين عاماً يحملون لافتات تؤيد هذه المرأة ويهتفون بحياتها ويدعون لانتخابها. فعجبت كيف وصل حال هذه الشعوب المسلمة من الرذالة والتفاهة والهوان، شعب أكثر من مائة مليون تحكمهم امرأة بعلمائهم ومفكريهم ووزرائهم ومع ذلك تسيّرهم هذه المرأة وهي في الثلاثين من عمرها جالسة على سرير الرئاسة متربعة على رؤوسهم، ثم لا يكفي هذا حتى يخرجوا إلى الشوارع ينادون بحياتها مقابل مال زهيد تنشره عليهم، فيا مسلمون هل من عودة صادقة إلى الدين ليرفعنا الله ويعزّنا ويولّي علينا خيارنا فما وصل بنا هذا الحال إلا لبعدنا عن مصدر العزّة ومنبع القوة وأصل الرفعة وهو الإسلام: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.

قبسات

- * العيش في حدود اليوم جمع للقوة وتوحيد للطاقة ورفع للأمل واجتهاد في الخير، فالיום بما فيه هو الشغل الشاغل للأمس المنصرم الفاني لا الغد الغائب المعدوم.
- * التفاهات تبدد الجهد وتسلب وقت المهمات وتذهب صفو الأوقات.
- * الاشتغال بالآخرين ضياع للحياة لأن موازينهم مضطربة ونزعاتهم في نياتهم ورضاهم بعيد.
- * من الخطأ اليأس من التصحيح لفشل سابق في تطبيقه فمعاودة المحاولة خير من تركها، فربما كانت هذه المحاولة هي الناجحة

وهي الأخيرة والألف مرة يبدأ ما بعدها بمرّة واحدة والعلوم والفنون لا شيء منها يستعصي بل لكل فن ميزة، وبعضها يقدم على بعض في الاهتمام ولا يترك عمل صالح لعذر عدم المداومة فإن من ترقب الموت فاته ملاحظة المداومة.

* الزهد في الدنيا أروح شيء للنفس فلا تعلق بحطام ولا منصب ولا جاه بل كلما تجردت النفس كان أنشط لها

تجرد من الدنيا فإنك إنما أتيت إلى الدنيا وأنت مجرد

* كثيرا ما تطلب النفس العمل الشاق لأن فيه شهرة وتلمح العلماء المبرزين وهذا خداع من الشيطان فإن التقوى ليست قرينة الشهرة فانظر إلى ابن عمر وأويس ومحمد بن جعفر وزين العابدين والدارمي والفضيل.

* تنقل النفس في أنواع الطاعات وأشكال القربات وفنون القراءات أنشط لها وأوعب للذاكرة، فبعض العلوم يشجع على بعض وبعضها يشحذ الهمة لغيرها.

* الأجل للمسلم أن يجتهد أن يعمل بالسنة ولو مرة واحدة من الهيئات والأدعية والقرب لأنها ما قيلت كل يوم مجتمعة بل قيلت متفرقة في حياته ﷺ.

* إذا ورد عمل فاضل فإن تصور المداومة منه ﷺ وإلا فلا مكان للمداومة، ولا يترك هذا العمل لعدم المداومة عليه كما ورد في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وسورة يس في النهار والواقعة ليلا

وكذلك سورة تبارك، وورد هناك أحاديث التعداد فهل داوم عليها ﷺ أم لا كمن قال في يوم لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . . مائة مرة فله كذا وكذا ومن قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة فله كذا وكذا. ويعرف ذلك باستقراء سيرته ﷺ والتدقيق في عبادته وأوراده من كتب السنة الشريفة .

* التقيد بما لم يرد مورد من موارد البدعة كما نهى ابن مسعود عن التزام الالتفات في الصلاة على جهة اليمين وكما نهى عمر عن تحري الصلاة في أمكنة صلى فيها الرسول ﷺ من غير قصد .

* طلب العلم كالعبادة يؤخذ باليسر والتدرج ولا يخصص كتاب أو فن بوقت معين ولا واجب كجعل القراءة لوقت والنسخ لوقت والاستماع لوقت فهذا صعب شاق لا تطيقه النفس .

* لا يحتقر الخير بقلته فربَّ قليل ربي على كثير، من ركعتين في فراغ، وتدبر آية، وتفهم حديث، وقراءة صفحة، وقليل من صدقة، وكلمة خير قصيرة .

* لإصلاح الهيئة مواسم ومناسبات من لبس الجميل والطيب والتكحل وغير ذلك، ولبس ما تيسر أوفق للنفس من الغالي ومن الداني، والوسط أحسن فلا محافظة على زي مخصوص أو لبسة خاصة .

* للنوم أوقات والأصل نوم الليل وقد يعرض من الأمور ما يستعدي السهر فتعويضه في النهار أسلم وإن غلب المرء على نوم الصباح فلا بأس وعند الإرهاق والتعب مباح في أي وقت ولكن البعد عن النوم ما بعد الفجر والعصر وما قبل العشاء وعن السهر الطويل أوفق

وأحسن .

* الأصل في الأكل عند الجوع ولكن إذا عرض وقت يشتهي فيه الأكل فلا بأس مع الاقتصاد فيه .

* لكل نفس وجسم كفاية من الأكل والنوم والترويض لا تتفق مع الآخرين .

* للمسلم شغف ببعض العبادة على بعض فلا حرج على أحد بما يوافق الآخر فالذكر عند قوم أنسب وأوفق وعند آخرين كثرة نوافل الصلاة وعند آخرين الصوم وعند قوم الدعوة وتعليم الناس وعند قوم الخدمة والمنفعة .

* من الإرهاق على النفس تسييرها في غير ما خلقت له من عمل أو حرفة «فكل ميسر لما خلق له» وحفظ القرآن مطلوب ومرغوب ولكن يلاحظ فيه الجهد والمشقة فالتردد فيه والتنوع حتى يسهل الله حفظه .

* الحياة الكاملة ما استوفت النفس فيها حظها من المباح، فلا تقصير ولا مجاوزة وما أدت فيه حق الله عز وجل من طاعة وقربة، وأكمل حياة حياته ﷺ، وما أعجب حديث: «إن لبدنك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولضيفك عليك حقاً» .

* الجودة والحسن هما المطلوبان في العبادة فإن اجتمعت مع الكثرة فهو الكمال وإذا فقدت الجودة كان النقص كثيراً .

* التفكير عبادة بل من أجلّ العبادات ولكن بلا إرهاق وتنطع بل تفكر يزيد الإيمان بما ورد فيه التفكير .

- * ساعة السرور ليست سرمدية وكذلك الحزن فإن مع العسر يسرا وبعد الكرب فرجاً.
- * لله سبحانه وتعالى في تهذيب النفوس وترويضها حكماً بالغة وأسرار عجيبة من حزن على النفس وسرور ومن غم وفرح ومن عطية وبلية ومن صحة وسقم.
- * كثرة التنطع فيما لم يرد به الشارع تعمق مذموم بل يوقف مع السنة لأنها أسعد شيء للنفس.
- * ليس لإشراق النفس وقت محدد بل قد تصفو في ساعات الأشغال والاختلاط.
- * الحذر من أن تخل نافلة بفريضة أو قربة بخير منها والنيات تجعل العادات عبادات.
- * للتأنق والترتيب والنظافة تأثير على النفس في سكونها وصفائها كتحسين الهيئة وترتيب المكتبة ووضع كل شيء موضعه.
- * التخفف من الأشغال والجواذب والدواعي انطلاقاً للروح وفسحة لها لتهتم بالمهمات.
- * كثرة النقد من الآخرين بيان بقيمة المنقود ولا يحسد الحساد إلا من ساد.
- * الحكم على قضية أو مسألة أو شخص وجهة نظر لا غير، والتعميم والتحديد عرضة للخطأ.
- * سكون الجوارح فضيلة يغري بالقلب عن السكون.
- * الضرب في كل غنيمة بسهم علامة الكمال وعلو الهمة.

- * تدبر النعم في وجوه المحرومين وفي حالة المبتلين عبادة، والنظر إلى من دونك مسلاة.
- * التنفير والتعمق في أدواء النفس وواردات القلوب وملابسات الأعمال والعبادة تكليف بما لم يرد.
- * من تجرأ على الحدود واستمرأ المحرمات فالحوف دواؤه، ومن أقبل على الخير وأحب القربات فالرجاء قوة دافعة له وكلما شعر العامل بقربه من الكمال خف وحلّق.
- * خفف أعباءك من الدنيا وقلل أشغالك وتزود فالعمر قصير، ولذلك قال أحد العلماء: (من أكثر من الأصدقاء أكثر من الغرماء).
- * التنويع والتشكيل ظاهر في حياته ﷺ، وفي شؤونه الخاصة والعامة فتوضأ مرة ومرتين وثلاثاً وأطال الصلاة وتجوّز فيها وتنفل في أوقات وترك في أخرى، وصلى من جميع الليل وتخول بالموعظة على حسب الحاجة، ونهى عن تخصيص يوم الجمعة وليلته ذاك بالصيام وهذه بالقيام من بين الأيام والليالي.
- * أوقات النشاط للعلوم المهمة كالحديث والفقه والتفسير وأوقات الملل والراحة للتاريخ والأدب والطرائف وغيرها، فأول النهار وبعد العصر والمغرب وقت نشاط والقائلة وقبل النوم وقت راحة. (هذه المسألة قد تكون من التحديد فتترك).

منازل السعادة

الأولى: التوحيد، وهو إفراده بالقصد، ونفي الند، وتحقيق

معنى العبد، وقبول شرعة بلا رد.

الثانية: العلم النافع، فهو يطرد الشبهات، ويحرق الشهوات، وبه تدرك الغايات، وتنال الأمنيات، وتنفي به الهموم المدلهمة.

الثالثة: التوبة، وهي الندم على ما مضى من الآثام، وطلب الإقالة من الملك العلام، وترقيع ثوب العمر بالإتمام، والبكاء على ما زلت به الأقدام.

الرابعة: الإحسان للناس، وهو بذل المعروف للعباد، وكف الأذى عنهم والفساد، وإدخال السرور عليهم والإسعاد، وسلامة الصدر عليهم من الأحقاد.

الخامسة: الشجاعة، وهي قوة القلب أمام العواصف، وثباته في أشد المواقف، وسكونه عند المخاوف، وأمنه ولو في حال المتالف.

السادسة: سلامة القلب، وهي سلامته من الأمراض، ونقاؤه من الشكوك والاعتراض، ورسوخه في التقوى مع الارتياض، حتى يرتع من الوحي في رياض.

السابعة: نسيان الماضي، وهوتجاهل ما مر من المحن، واطراح ما سبق من الفتن، لأن هذا شيء طواه الزمن، وذكره يميم الفطن، ويجدد الحزن، ويثير الشجن.

الثامنة: اطراح كلام الأعداء، وهو الإعراض عن كل كلام ساقط، والرمي به عرض الحائط، ورده بجأش رابط، واعتباره سفه من غالط.

التاسعة: عدم الاشتغال بالغد، لأن الغد غائب في الظلام، فصرف
الذهن إليه إرهاق للنفس بما لا يجدي من الكرام.

العاشرة: القناعة، وهي الرضا بالكفاف، ولو بخبز جاف، وماء
صاف، وادخار الزهد والعفاف، إذا ادخر الكنوز الأجلاف.

الحادية عشرة: حسن الخلق، وهو كلام رقيق، وقلب شفيق،
ووجه طليق، وفعل رشيق، والانتهاه عما لا يليق.

الثانية عشرة: الإيمان بالقدر، وهو العلم بأن كل شيء في كتاب،
والتسليم بالمصائب، واحتساب الثواب، وعدم الاعتراض على مسبب
الأسباب.

الثالثة عشرة: الرضا، وهو سكون القلب إلى المدبر، والثقة بحسن
تقدير المقدر، والاطمئنان إلى حسن اختياره وهو المقدم والمؤخر.

الرابعة عشرة: التوكل، وهو الركون إلى القهار، وانتظار يسره
وقت الإعسار، وفرجه زمن الأخطار، وأنه الغالب على أمره لأنه
الملك الجبار.

الخامسة عشرة: الزهد، وهو الإعراض عن الحقير، والعلم بأن
العمر قصير، ورؤية قنطار الذهب كالقطمير، لتيقن الفناء على القليل
والكثير، والصغير والكبير.

السادسة عشرة: قصر الأمل، وهو الحد من الأماني، والعلم بأن
كل حي فاني، وأن الموت داني، فيوجب ذلك ترك التواني، وتوبة

الجانبي .

السابعة عشرة: اجتناب الفراغ، وهو إشغال النفس بالعمل، ومجانبة صحبة كل همل، وعدم الوقوع في طول الأمل، فإن عمرك ما حصل، وكأن قد حل الأجل .

ثلاثة محاذير

لا تعظ السلطان، ولا تلم الصديق، ولا تغتب العدو .

أما السلطان: فإنه لا يقبل إلا من رجل عالم فقيه عامل زاهد كبير في سنه بارع في شرفه، يرجوه أو يخافه .

وأما الصديق: فأقل ما يحدث أن يلج في خطئه ويكابر، أو تأخذه العزة بالإثم، وربما هجرك وعاداك .

وأما اغتياب العدو: فإنها حيلة العاجز، وذريعة الفاشل، وفعل الجبان، ومذهب المقهور، وهو برهان على مكائته، ودليل على عظمته .

البلاغ

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ . أوصل الحق إلى المدن والقفار، واعرض النور على الأسماع والأبصار، وأقم الحججة على الكفار، فإن أبوا فاقتمم تلك الأسوار بالمهاجرين والأنصار حتى يبلغ الدين مبلغ الليل والنهار، وبلغ القرآن الإنسان والجان، لتقوم الحججة

والبرهان، ويتميز أهل الكفر والإيمان، والإساءة والإحسان.
ويا أيها الرسول بلغ المنقول إلى أهل العقول، فإن هم أجابوك
بالقبول، وإلا فعليك بالصارم المسلول.

صيدلية خاصة

إذا شكوت من قسوة قلبك، وإعراضه وغلظته ولهوه فعليك
بترياق مجرب، ومرهم معروف، ودواء شهد بنفعه الرسل عليهم
السلام، ونصح به الصالحون، وحمده المجربون، إنه الدعاء.

فلا مثل الدعاء أبداً، فاستمر عليه، وأكثر منه، وادع بصلاح قلبك
وعملك خاصة في السجود، وأدبار الصلوات، وساعة الجمعة
بإخلاص وحضور، فسوف تجد في قلبك من الرقة والخشية والإنابة
خاصة إذا أدمنت الدعاء، وأكثرت في المسألة، وألححت في الطلب،
فلا صلاح إلا من عنده سبحانه، ولا نفع إلا من هناك ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ
الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

تعب كلها الحياة.

عجبت لما قرأت سير الخلفاء والملوك ما أقل تمتعهم بالحياة،
هذا عبد الملك بن مروان خاض تلك الحروب، وسفك تلك الدماء،
وبعد قليل جاءته المنية، فصاح: يا ليتني ما عرفت الخلافة.

وهذا ابن عبد الملك الوليد ظلم وبطش ثم ذهب سريعاً، حتى قال

عمر بن عبد العزيز لما جئنا لدفن الوليد ركض برجله في القبر .
وهذا هشام بن عبد الملك يقول : حسبت أيام السعادة في خلافتي
فإذا هي ستة أيام .

وهذا المنصور قتل أعمامه، وغدر في عهوده، وفعل الأفاعيل، ثم
تجرع كأس الموت سريعاً .

وهذا ابنه هارون الرشيد قتل البرامكة، وتحدى السحابة، وكنز
الكنوز، ثم مات غريباً عن أهله ووطنه وهو شاب في السابعة
والأربعين .

وبقية الملوك مثل هذا وأشد وأنكى من مغلوب ومخلوع ومسجون
ومسمول ومقتول وطريد وشريد، فسبحان من كتب على هذه الدار
الشقاء، ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ ﴾ .

قال المعري :

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد

إِنْ كُنْتُ خَلَقْتُهُ فَأَنَا أَرْزَقُهُ

ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة كمال الدين الأنباري
النحوي : أنه كان إماماً كبيراً في النحو، ثقة، عفيفاً، مناظراً، غزير
العلم، ورعاً، زاهداً، عابداً، تقياً، لا يقبل من أحد شيئاً .

وكان حسن العيش، لم يتلبس من الدنيا بشيء . وقالوا عنه : كان
له دار يسكنها، وحانوت أجرته نصف دينار في الشهر يقنع به، سير له

الخليفة المستضيء خمسمائة دينار فردها، فقالوا له: اجعلها لولدك، فقال: إن كنت خلقتة فأنا أرزقه.

وكان لا يوقد عليه ضوء، وتحتة حصير قصب، وعليه ثوب وعمامة قطن يلبسهما يوم الجمعة، وكان لا يخرج إلا للجمعة، ويلبس في بيته ثوباً خلقاً، وله مائة وثلاثون مصنفاً. رحمه الله تعالى.

قلت: انظر إلى حسن التوكل على الله وقوة اليقين، وانظر ما أجمل قوله: إن كنت خلقتة فأنا أرزقه. يظهر لك صرامة هذا الرجل ودقة نظره فما من نفس منفوسة إلا وقد تكفل الله برزقها حتى الحوت في الماء والطير في الهواء والدود في الطين.

وفي بعض الكتب الإسرائيلية ورد: هذا الطير ليس له مزرعة يزرعها، ولا مخزن يضع فيه ماله يرزقه الله.

وورد عنه عليه السلام أنه قال: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

فيا حسرتاه علينا ضَمِنَ اللهُ لنا الرزق وأمرنا بالعبادة، فقصرنا في العبادة، وحرصنا وتهالكنا على الرزق.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظموا ولكن أهانوه فهانوا ودسّوا محياه بالأطماع حتى تجهّما

مقامة في السجن

أعاذنا الله وإياك من الهموم ونجانا من الغوم فإنها عدو قوي

وداء دوي، وهي تخرم الجسيم وتمرض الجسم السليم، وتكدر البال وتكسف الحال، غير أنها تزول بالدواء وتذهب بالدعاء، فعليك بدعوة ذي النون، واعلم أن ما قضي سوف يكون، فلا تذهب نفسك على ما مضى حسرات، فما فات مات ولا تبتئس من كلام الحساد، فما يعادى إلا من ساد ولا تتوقع الحوادث ولا تنتظر الكوارث، بل ثق بالجليل وقل: حسبنا الله ونعم الوكيل، ونظف ثيابك، وعش يومك، وارض بالكفاف، ولو أنه رغيف جاف، واقرأ المثاني، وتدبر تلك المعاني، واطلب العلوم، واحذر أن تكون كبلعوم، وتهياً للرحيل، فما أبطأك، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وملك كسرى يغني عنه كسرة، وكثرة المال حسرة، ولا تخش المكاره، فربما خير لك وأنت كاره، والزم المنزل، فحق للقلب أن يعزل والقرآن ينزل، واجعل لنفسك من العبادة غذاءها، ودعها فإن معها حذاءها، وتقلل فإن الموت قريب، وكن في الدنيا كأنك غريب، وإذا رأيت أهل الدنيا وهم فيها مغرقون فقل: أيتها العير إنكم لسارقون، وإذا وعظت القلب فأبى فقل جئتك من سبأ نبأ، وقل لمن نهب وما وهب وتشاغل بالذهب، تبت يدا أبي لهب، وإن دهمك هم يهد الجبال فصح أرحنا بالصلاة يا بلال، وإذا زاغ طرفك فأنت مفتون، فاعلم أن قلبك أكله الذئب، وأنت عنه غافل.

العلم والخلفاء

من أراد أن يعرف ارتفاع قدر العلماء على الخلفاء، فليقارن بين

المتعاصرين من العلماء والخلفاء: بين الشعبي وعبد الملك، والزهري وهشام بن عبد الملك، وأبي حنيفة والمنصور، ومالك والرشيد، وأحمد بن حنبل والمعتصم، والشافعي والمأمون.

قول جميل وفعل قبيح

أخذني العجب وأنا أقرأ السير والتاريخ لرجال مشهورين، خالفت أقوالهم أفعالهم نعوذ بالله من ذلك، فهذا الحجاج يخطب الجمعة حتى يبكي الناس وهو أظلم الظلمة، وهذا عبد الملك يورد الحكمة من فوق المنابر ثم يخوض في الدماء خوفاً، وهارون الرشيد يعظه الفضيل بن عياض وابن السماك فيبكي حتى يرحمه أصحابه ثم يبطش بطش الجبارين، والمأمون يأتي بالحكم الناصعة والأقوال الصائبة، ثم يتدع القول بخلق القرآن، ويعذب العلماء على ذلك، وهذا المتوكل ينصر السنة وينهمك في الملذات، وهذا أبو العتاهية الشاعر كل شعره في الموت والزهد في الدنيا، وذكروا عنه قلة ذكره للبعث، وبعضهم شكك في معتقده، وهذا المتنبي أعظم شاعر في الحكمة وجودة المعاني، وهو سخيף العقل، رقيق الدين، مفتون بالدنيا، وأبو نواس له شعر بكى منه الإمام أحمد، وكان أبو نواس مضرب المثل في التهتك والسفه، وبشار بن برد يوصي بمكارم الأخلاق والمروءة، وهو فاسق، وابن الرومي ينصحك بشعره ويحثك على الفضائل، وهو أبعد ما يكون عنها، وأبو مسلم الخرساني يخطب الجمعة، ويوصي بالتقوى، ثم يقتل ويسلب وينهب.

وغيرهم كثير ممن سهل عليهم الكلام، وصعب الفعل عليهم،
 فنعوذ بالله من الشقاء ومخالفة الفعل للقول، والباطن للظاهر:
 ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

وقفات تدبر

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ الآية.

كلمات الله الشرعية الكونية عادلة صادقة، عادلة في الأحكام
 صادقة في الأخبار، وهاتان ميزتان لكلام الباري تقدس اسمه، فكلامه
 منزه في الحكم عن الظلم، وفي الخبر عن الكذب، وأساس فساد
 الكلام في العالم إنما هو من هاتين الخصلتين، ظلم الحكم في الكلام
 عند الأقضية، وكذب الأخبار في نقل المرويات، وأساس صلاح
 الكلام في الكون من خلتين جميلتين وهما: العدل في الحكم،
 والصدق في الخبر، وإنما عاث في الدنيا من عاث بطريقين: طريق
 الحكم وطريق الخبر، فالحكم الظالم سياسة الطواغيت الذين يحكمون
 بغير ما أنزل الله، وهم أهل الجور والصادقين عن سبيل الله بالسوط
 والسيف، والخبر الكاذب طريق علماء السوء الذين يكذبون على الله في
 فتاواهم، ويفترون على ربهم في أقوالهم كما فعل الأحرار والرهبان
 ومن شابههم من علماء السوء، فصار الفساد في نظام الكون من ملوك
 الجور وعلماء السوء، ولذلك قال ابن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

فكان شرع الله وحملة هذا الشرع من العلماء والقضاة والحكام أساس صلاح العباد، وسعادة البلاد، لأنهم صدقوا وعدلوا، ولا تتم سعادة الإنسان إلا بالصدق والعدل.

فائدة

من تدبر القرآن انشرح صدره وذهب غمه وهمه وحزنه، لأن القرآن يدعوك إلى حسن الظن بربك، والرجاء في فضله وكرمه، وانتظار فرجه ومغفرته ورحمته، وأنا أنصح المطالعين لشعر الشعراء أن يتنبهوا، فإن الشعراء يرققون القلب ويضعفونه بذكر الفراق والغرام والهيام والعشق والهجر والوصل والعذاب والغربة والآهات، فيبقى قلب المطالع خائفاً قلقاً محزوناً مهموماً، لأن هؤلاء الشعراء في كل واد يهيمون وهم مع الخيال، أما القرآن فهو مع الواقع يدعوك للتفاؤل والثقة بالله والرضا بقضائه وقدره، وطرد الحزن والخوف، فنصيحتي لكل عاقل أن يقبل على القرآن.

سير الرجال

أوصيك بمطالعة سير الصالحين من الصحابة والتابعين والعباد والزهاد من أهل السنة، والوقوف على أخبارهم وقراءة أحوالهم، فإنها تشحذ همتك وتقدهح في قلبك زناد الاقتداء بهم أو على الأقل تخجل من نفسك وتستحي من ربك إذا نظرت إلى حالتهم وحالتك، فعليك بتدبر أخبارهم وعش معهم في زهدهم وورعهم وعبادتهم وخوفهم من

ربهم، وتواضعهم وحسن خلقهم، وصبرهم.

أما أبناء عصرك فهم مثلك فقل أن تجد الزاهد العابد الورع المتعفف، والله في خلقه شئون.

مسألة

الله جلّ في علاه إذا أذنبت فاستغفرت غفر لك، وإذا شكرته زادك، وإذا سألته أعطاك، وإذا أخطأت سترك، وإذا عدت إليه قبلك، وإذا تبت فرح بتوبتك، وإذا ذكرته ذكرك، وإذا ابتلاك محصك، وإذا أصابك طهرك.

فواجب عليك إخلاص العمل له، وصدق السر معه، ولزوم باب العبودية، والانطراح على عتبة الذل له، ومناشدته آناء الليل وأطراف النهار، واللهج بذكره ودوام شكره والاعتراف بالتقصير معه، والنعمة منه وحفظ حدوده والقيام بحقوقه، والتشرف بخدمته، والانضواء تحت منشور ولايته، والانسلاخ من كل ما يسخطه، والتبرؤ من الحول والقوة إلا به، والاعتزاز بنسبة العبودية إليه، والحب والبغض فيه، والتوكل عليه، وتفويض الأمر إليه، وإدمان اللهج بمدائحه وحمده، وانتظار الفرج منه، وحسن الظن به.

ولك بمثل ذلك

عسى من يقرأ هذه الأسطر أن لا يبخل عليّ بدعائه بظهر الغيب، ليناديه الملك ولك بمثل ذلك. وأجدر دعاء بالإجابة غائب لغائب،

ونسب أخوة الإيمان بيننا يجعلني أذكرك حسن الدعاء لي ولك بالمغفرة والرحمة والرضوان، فإنني بأمرس الحاجة وأنت كذلك إلى نفحة من نفحات الكريم جلّ في علاه، وقد أمرنا بدعائه فقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فهلّم ندعوه مجلّ في علاه.

سعيد النورسي

ترك سعيد النورسي الداعية التركي السياسة جملة وتفصيلاً، وكان يهاجم لفظة ساس يسوس فهو سائس، وقد أصاب فيما فعل، فما دخل عالم في متاهات السياسة إلا رجع مفلساً نادماً.

فائدة

من صفات علماء سوء العُجب والكِبْر الحسد والطيش والسفه والصلف والغضب إذا رُد عليه، وحب الظهور والتظاهر بكثرة الاتباع والانهماك في الدنيا وضعف العبادة.

وقفات تدبر

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

في هذه الآية عموم وخصوص، فالدعوة أعم من الهداية، والدعوة إقامة حجة وإيضاح برهان وتعريف بالملة، والهداية لطف منه سبحانه واختيار منه واجتباء واصطفاء، يدعو الجميع إلى جنة عرضها السموات

والأرض، ويخاطب الكل بهذا الوحي، وينادي الناس كافة بهذه الرسالة، ثم لا يستجيب إلا من سبقت له الحسنى وتقدمت له السعادة، وكتبت له النجاة، لا حجة لمن ضل بعد هذا البيان، فليس على ربهم حجة بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب ووصول هذا البلاغ المبين، وليس للمهتدين منة على ربهم بل لله المنّة وحده.

والداعي في الآية هو الله وحده، لأن كل رسول إنما دعا في حياته أو دعا أتباعه بعد وفاته ولو طالت أزمانهم.

أما الداعي إلى الهدى في كل زمان ومكان فهو الله جلّ في علاه، وفي الآية إشارة إلى الله أن دعوته سبحانه وتعالى للناس إنما هي إلى خير ينتظروهم وسعادة أمامهم، وهي دار السلام، وهي المسلمة من الهموم والغموم والشورور والمكدرات.

وفيه أن من اهتدى فإنما اهتدى بإذن ربه، ومشية مولاة وتوفيق خالقه ليس إلا، وأن هدايته سبحانه للناس ليس لأنسابهم أو أحسابهم أو قبائلهم أو صورهم أو أموالهم وإنما لشيء علمه الله منهم، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾.

الخلاصة

* أشهر كتب الفقه في هذا العصر، وأكثرها انتشاراً كتاب: فقه السنة، لسيد سابق، لأنه متوسط الحجم، سهل العبارة، مقرون بالدليل، ولكنه يحتاج إلى تحرير أكثر في الحديث النبوي، وإعادة نظر في بعض المسائل.

* حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه، والدنيا ممزوجة بالكدر والمحق والنقص، فإذا تم الشيء نقص. هذا رسولنا ﷺ انتصر في بدر فغلب في أحد، وأحب عائشة فرميت في عرضها، وأنس بابنه إبراهيم فقبض، وكان وجهه كالقمر، فخرج في أحد وأسنانه كالبرد فكسرت ثنيته، وناقته لا تسبق فسبقها أعرابي على قعود. لكل شيء إذا ما تم نقصان.

* حاول أن يظهر في كلامك وكتاباتك تأثير القرآن بالاقتباس منه، ومن معانيه وألفاظه وحكمه وكلماته الشاردة الغالية، وهذا يأتي بالمراس.

* لا بد من وردين في التلاوة لكتاب الله، ورد المراجعة للحفظ ولو نظراً وورد للتدبر والتفكير والعظة.

* من أنفع الكتب في رفع القلق، كتاب: دع القلق وابدأ الحياة، فياله من كتاب عبر المحيطات، ووصل القارات، وملاً الدهر.

* يقول ابن حزم: كل العالم يسعون إلى طرد الهم.

* ويقول برتراند راسل: السعادة عدم الاهتمام.

* من العجائب الأدبية ذيوع شعر المتنبي وشهرته وعمقه مع قلة حجم ديوانه، ولذلك كثر شراحه ومداحه ونقاده وحساده، وقد أشغل الناس بشعره، وفي الحقيقة أنه شعر يخلب الألباب، ويسري سريان الهواء، فالذيوع هبة ربانية، وعطية من عند الله يعطيها من يشاء.

* الكفر نوعان: نوع إعراض، ونوع صد ومضادة.

* الصاحب الذكي النابه في الغالب يحسدك، والبليد المغفل يتعبك،

- فكن بين المغالط والمزايل .
- * عدو عاقل ولا صديق جاهل .
- * الحياة أكبر جامعة في الدنيا منها يتخرج العباقرة .
- * إياك وما يعتذر منه .
- * إذا اجتمعت الظنون على أمر كشفته .
- * العامة من أهل السنة لا تذكر لهم أقوال الفرق الضالة، لأن هذا أمر خطير يورث الشبه .
- * لا تحاول إظهار التعالم والتفاح فإن هذا من التكلف والتعمق والتفيهق .
- * النكبة عرفت كل صديق على حقيقته فاذكرها واذكرهم حتى تكون لك عظة، فإن المصائب تكشف كل أحد، وتميز كل صديق، وما عليك من كلام الرخاء .
- * كثرة الكتب مع عدم الإدراك وحسن المقصد لا تزيد الإنسان إلا حيرة وضلالاً .
- * الاستغناء عن الناس عز وشرف، فإن الرق مد اليد لهم أو قبول هباتهم وانتظار فضلهم .
- * كثير من المؤلفات الكبار أصبحت لا تقرأ، لأنها نقولات مجردة مكررة لا روح فيها ولا عمق ولا تأصيل ولا تجديد، بل اللاحق ينقل من السابق فحسب .
- * صحبة الأحق تعود بالحرص على العاقل، لأنه يجرحه بتصرفاته وكلامه فيقع الازدراء على العاقل، لأنه رضي بصحبة هذا وموافقته .

- * رأيت أن من يسرف في الاشتغال بإصلاح الناس ومراعاة ما يشرهم ويعجبهم ينسى نفسه في الزحام، فيذهب منه الإخلاص والخشوع وهو لا يدري، فمن أراد الله به خيراً أنبهه.
- * المقصود في الوعظ إصلاح الناس لا زيادة في تعريفهم بالدنيا وأخبار العالم وأحوال الدول، وشئون الحياة، لأن هذا ليس فيه مصلحة للعامة.
- * من الكتب التي تموت سريعاً الكتب الفكرية الإنشائية، التي ليس فيها نص ولا نقل ولا تأصيل ولا تحليل.
- * الذبوع والقبول حظ من الله، وله أسباب منها: التفرد في الطريقة والتجديد، ومخاطبة العامة، والدخول إلى مكامن النفوس، سواء بالكلام أو التأليف أو الشعر.
- * أوصيك بقراءة سير الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين فإنها ترقق القلب.
- * بعض الدول عاشت أربعمئة عام لم نسمع بها، وقروناً بين ذلك كثيراً.
- * خلفاء بني العباس سبع وثلاثون خليفة، لا تجد الآن من ميراثهم درهماً واحداً.
- * من أنفع الكتب في التجارب كتاب: صيد الخاطر، لابن الجوزي، وتكراره مفيد، لأنه جاء عفو الخاطر بلا تكلف.
- * كلما قلت الأشياء والممتلكات كان أبعد عن التعقيد والمشقة والتعب، ولذلك كانت حياة الأجداد سهلة مريحة.

- * كثرت الظواهر المساعدة والمساندة وقلت البركة، فالمصاحف بالآلاف بأجود الطبعات، والكتب والدوريات والأشرطة والمجلات، ولكن لا ترى ذلك النفع الواصل المؤثر في الناس.
- * أعوذ بالله من صرف العمر في الفضول، فهذا الكتاب مجلدات في قبيلة واحدة عن أصولها وفروعها، وذاك يؤلف عن منطقة من المناطق سهولها وجبالها وأشجارها.
- * الهمة توقد داخلي فائر، وبركان باطني ثائر، وإصرار على الصمود والتحدي والاستمرار والعطاء.
- * الكتب الكلامية والفلسفية تتعب الذهن بلا فائدة.
- * أنفع شرح للقرآن والسنة تقريب المعنى في سهولة لفظ مع ذكر المقصود والفائدة والرأي الراجح عند الخلاف فقط.
- * عجبت لأناس في التاريخ سفكوا الدماء، وأخذوا الأموال، وظلموا الناس من أجل الملك، ثم لم يمتعوا طويلاً، مثل عبد الملك بن مروان، وأبي جعفر المنصور، وأبي مسلم الخراساني وغيرهم.
- * سمعت نوح بعض الشعراء على المعالي وتلفههم عليها، وإذا هي الإمارة والمنصب، فياله من سعي ضائع، وهمة ساقطة.
- * كان الصحابة يفهمون القرآن على ظاهره، لم يكونوا يذهبون بعيداً في معانيه إلى احتمالات بعيدة عويصة كما فعل الخلف، لأن الصحابة أخذوا القرآن كتاب هداية وعمل.
- * أعظم الناس منزلة العلماء والعباد، والناس سواهم همج لأنهم عرفوا معنى الحياة.

- * الغنائم لا تأتي إلا بعد قتال، ومن أراد معالي الأمور بلا معاناة وتعب فقد طلب المستحيل.
- * ينبغي أن نكره أنفسنا على الخير، لقلّة المساعد، وكثرة الشهوات، واضمحلال الخير، وبعد عصر النبوة.
- * آفة العقل الهوى.
- * فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي مهم لطالب العلم.
- * قل عدد القراء والمطالعين بسبب ظروف الحياة وكثرة الوسائل والمشاكل وسوف يقل الاهتمام بالكتاب تدريجيًا مع عصر المراثيات والمسموعات.
- * كثر التأليف، حتى أصبح فوق ما يتصور، والمطلوب من العالم رد الناس إلى الأصول إلى الكتاب والسنة وصفوة الكتب.
- * اجعل في ذهنك وأنت تقرأ أي كتاب هدفًا أو قضيةً تخرج بها من قراءتك.
- * لا تأخذ كتب السمر والمتعة وقتك على حساب العبادة والذكر والتدبر واجعلها مجرد نزهة.
- * قد يصل العالم إلى سن لا يستطيع أن يزيد في فهمه ولا في علمه، وهذا وصول النمو الطبيعي لإدراكه.
- * إذا عرفت مقاصد الكلام فاقراً القرآن بنفسك مباشرة، وتدرّب على الفقه فيه بلا واسطة، لأنه عربي مبين.
- * من حفظ الحديث قويت حجته، ومن تعلم الفقه شرف، ومن تعلم الأدب رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

- * أعرض عن شعر المدح والهجاء والغزل والوصف، فلا خير فيها .
- * غالب المحدثين أتقياء، وغالب الأدباء عصاة، وغالب الفلاسفة ملاحدة، وغالب السلاطين ظلمة، وغالب العالم منحرف .
- * احرص على خصال الرجولة في اللباس والمشى والجلوس والكلام ونحوها ومن أكثر من شيء عرف فيه .
- * كم من ولي في قباء، وكم من زنديق في عباء .
- * الناس يقيسون الأمور بأشباهها .
- * ما أطول الليل على من لم ينم .
- * المسلم يعتني بباطنه وظاهره، فينتقي قلبه من الشرك والرياء والحسد والغل والحقد والكبر والعجب ونحوها، وينظف ظاهره من الأوساخ، فيقص شاربه، ويقلم أظفاره ويحافظ على خصال الفطرة، ويغسل ثوبه، ويداوم على أن يكون طيب الرائحة والسواك ونحوها .
- * رأيت من يحفظ متوناً في العلم وهو قد نسي القرآن، ورأيت من يقرأ في كل كتاب إلا في القرآن، والله في خلقه شئون .
- * اجمع بين ذكر اللسان وذكر القلب .
- * تزول الجبال ولا تزول الطبائع .
- * في الغالب من شب على شيء شاب عليه .
- * ترك المباحات ليس شرطاً في النجاة، لكنها لا تناسب المكانة العالية في الجنة .
- * الانغماس في مخالطة الناس يضعف العبادة، واطلب العلم، واهتم بأعمال القلوب .

- * إذا كان أكل الطيب يزيد في العبادة فهذا مطلوب ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوَامِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ .
- * كَلَّمَ النَّاسَ بِلُغَةٍ عَصْرَهُمْ وَمَتَطَلَبَاتِ وَقَعَهُمْ .
- * لَا تُؤَلَّفُ فِي مَوْضِعٍ تَكَرَّرَ فِيهِ التَّأْلِيفُ وَمُجَّ .
- * تَأَنُّ فِي التَّأْلِيفِ وَابْدَأْ وَأَعِدْ وَحَرَّرْ، فَقَدْ مَكَثَ أَبُو عُبَيْدِ القَاسِمِ بِنِ سَلَامٍ فِي كِتَابِهِ: الغَرِيبُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَمَكَثَ أَرْنُولِدُ تَوِينِي المُوَرِّخُ فِي كِتَابِهِ: دَرَاةُ التَّارِيخِ، أَرْبَعِينَ سَنَةً .
- * أَوَّلُ الحَدِيثِ حَدِيثٌ: إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَأَوَّلُ أَحَادِيثِ الوُضُوءِ حَدِيثُ عِثْمَانَ، وَحَدِيثُ عِمَارٍ فِي التَّيْمَمِ، وَحَدِيثُ المَسِيءِ صَلَاتِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَحَدِيثُ المَسْحِ عَلَى الخَفِينِ لِلْمَغِيرَةِ، وَحَدِيثُ الزَّكَاةِ لِأَنَسٍ عَنِ أَبِي بَكْرٍ، وَحَدِيثُ جَابِرٍ فِي الحَجِّ، وَحَدِيثُ البَرَاءِ فِي نَعِيمٍ وَعَذَابِ القَبْرِ، وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ فِي الأَحَادِيثِ القُدْسِيَّةِ، وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظُكَ، فِي الوَصَايَا .
- * احْذَرِ أَنْ يَفْقِدَكَ رَبُّكَ حَيْثُ أَمْرُكَ، أَوْ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ .
- * الَّذِي لَا يَحْفَظُ القُرْآنَ وَلَا يَكْتُبُ الحَدِيثَ فَلَا تُثِقْ بِعَلْمِهِ .
- * احْذَرِ أَنْ تُتَشَاغَلَ بِالمَطَالَعَةِ عَنِ القُرْآنِ .
- * إِيَّاكَ وَلبَاسَ الشَّهْرَةِ، وَهُوَ الَّذِي يَمِيْزُكَ عَنِ سَائِرِ النَّاسِ بِالعَالِي مِنَ اللِّبَاسِ وَالرَّخِيصِ مِنْهُ، وَالْوَسْطُ مَطْلُوبٌ مَعَ النِّظَافَةِ وَالأَنَاقَةِ .
- * اصْبِرْ عَلَى العِزْلَةِ لِتَجْنِيَ العِصْلَ .
- * لَا تُدْرِي لَعْلَ النِّجَاةِ مِنْ طَرِيقِ الخَطَرِ وَلَعْلَ السَّلَامَةِ مِنْ بَابِ الهَلَاكِ، لِأَنَّ القَضَاءَ مُسْتَوْرًا، وَالحِكْمَةَ فِي القَدْرِ قَدْ لَا تُعْرَفُ، فَلَا تُجْزَعُ مِنْ

فواجع الأمور وكوارث الأحداث، فإنك لا تدري عما تنجلي ﴿وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

* قالوا عن أحد الصالحين كان عليه الذكر كلفة، فلما داوم عليه صار
له ألفة.

* لمعاذ بن جبل أربعة أحاديث خير من الدنيا وما فيها، حديث: حق
الله على العباد، وحديث: إنك تأتي قوماً أهل كتاب، وحديث:
لا تدع في دبر كل صلاة أن تقول، وحديث: أخبرني بعمل يقربني
من الجنة.

* أتعب الناس اثنان، رجل يطمع إلى منصب وجاه فهو لا يزال معذباً
في هذا المطلوب، ينفق في سبيله الغالي والرخيص حتى دينه،
ورجل يجمع المال ويريد الثراء فهو دائم الهم متواصل الأحزان
لا يجد طعم السعادة.

* من اشتهر فقد تعرض للسهام فكل كلمة منه محسوبة، فحق عليه أن
يدرس العواقب ويحذر. اللهم صل على محمد وآل محمد كما
صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على
محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم
إنك حميد مجيد، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على
المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٥	صناعة الحياة
٦	النملة والنجاح
٧	كلام غير التاريخ
٩	عز العزلة
١٢	مكتبة الكنجرس
١٢	ابتسم
١٣	كلمات لمشاهير الأجانب
١٧	لا يستون
١٨	محمود شاعر والمتنبىء
١٩	المنصب نصب
٢٠	الفتيا هي العلم
٢٠	مكانك تحمدي
٢١	ثلاثة أعلام
٢٢	نفس متوثبة
٢٢	والشعراء يتبعهم الغاؤون
٢٣	القلب السليم
٢٣	شاعر ملأ الزمان والمكان
٢٤	كيف نخاطب الناس؟
٢٦	إلى متى هذا؟
٢٧	اللسان المعبر
٢٩	رعاية البيت
٢٩	اكتب تاريخك بنفسك
٢٩	أصول العلم والدعوة والإصلاح

٣٢	وقفات
٣٢	فائدة
٣٤	نريد عباقرة
٣٥	رجال أعجبوني
٣٦	بداية مناسبة
٣٦	أبو العلاء المعري (أعمى البصر والبصيرة)
٣٧	خصال حميدة
٣٨	الجوع يدفع بالرغيف اليابس
٣٨	تدبير أمر المعيشة
٣٩	شجاعة الخطيب
٤٠	النص على ظاهره وعمومه إلا ماورد دليل بخلافه
٤٣	الإمامة العلمية في الإسلام
٤٣	إرشاد
٤٤	ومن شر حاسد إذا حسد
٤٥	شهرة بلا معنى
٤٥	بديهة لمّاحة
٤٦	نعمة العقل
٤٧	قوة الكلمة
٤٨	وقفات
٤٨	من فوائد المصائب
٤٨	شرح ابن عقيل
٤٩	نحن والسلف
٥٠	اللسان البليغ
٥٢	العمل .. العمل!
٥٢	انتبه!
٥٣	نحن والصحابة
٥٣	البسمة

- ٥٤ البيان الساحر
- ٥٦ المكفّرات
- ٥٧ حياة الأمن
- ٥٨ فائدة
- ٥٨ دلوني على السوق
- ٥٩ خاطرة
- ٥٩ فضل الجهاد
- ٥٩ الفلك يدور
- ٦٠ عند الشدائد
- ٦٠ عصر السرعة
- ٦١ الصدق منجاة
- ٦١ وعظ في غير محله
- ٦٢ ثورة المعلومات
- ٦٣ خسة الدنيا
- ٦٣ الولاية التي لا تقبل العزل
- ٦٤ الموسوعات
- ٦٤ حتى يكون لكلامك وقع
- ٦٦ مجالسة الأقران
- ٦٦ عش يوماً واحداً
- ٦٧ وتحبون المال حباً جماً
- ٦٨ فائدة
- ٦٨ الخطابة المؤثرة
- ٦٩ طريق الراحة التعب
- ٧١ أحسن كتب الأحكام
- ٧٢ الإمام النووي
- ٧٢ علو في الحياة وفي الممات
- ٧٤ خاطرة

- ٧٤ ما هو المقصود بالنجاح؟
- ٧٦ المرء ابن عاداته
- ٧٧ همم الصحابة
- ٧٧ أحكام عامة
- ٧٨ السجن
- ٧٨ فائدة
- ٧٨ الأدب الأعرج
- ٧٩ ضعف التدبير
- ٧٩ خير القرون
- ٨٠ أصدقاء الرخاء
- ٨١ عبيد المال
- ٨٢ الغزالي
- ٨٢ فتنة المرأة
- ٨٣ مقدمة ابن خلدون
- ٨٤ تأملات
- ٨٤ فائدة
- ٨٤ ونيسرك لليسرى
- ٨٥ إلى متى هذا التحصيل؟!
- ٨٥ لا تمدح نفسك ولا تدمها
- ٨٦ أسماء ما أنزل الله بها من سلطان
- ٨٧ دعاء
- ٨٧ أمسك عليك لسانك
- ٨٨ كتب لا أنصح بقراءتها
- ٨٩ صلاة الفجر
- ٨٩ رأي الشيخ عبدالرزاق
- ٩٠ المجد الخالد
- ٩١ عش زماً بلا قراءة

- ٩١ آمنت أن الحب أعمى
- ٩٢ تجربة
- ٩٣ أحاديث ظاهرها التعارض
- ٩٧ مع الكتاب
- ٩٩ سنة
- ٩٩ خاطرة
- ١٠٠ فائدة
- ١٠٠ وقفات
- ١٠١ تتبع العشرات
- ١٠٢ خاطرة
- ١٠٢ لا تطمئن إلى الدنيا
- ١٠٣ في عصر الكمبيوتر
- ١٠٣ مثل
- ١٠٤ القواعد الكونية والشرعية في المحن والمصائب
- ١٠٩ الوعظ قضية كبرى
- ١١٠ العزلة النافعة
- ١١٢ الحشو في التأليف
- ١١٣ توقيف الصحابة واجب
- ١١٣ نتائج بحث
- ١١٤ توسط في الأمور
- ١١٥ متاع الغرور
- ١١٥ احذر التجريح
- ١١٦ النجاح يبدأ بحسن القصد أولاً
- ١١٦ فقه التأريخ
- ١١٨ تأليف الكتب
- ١٢٠ دراسة الأدب
- ١٢٠ يقولون لي: فيك انقباض

- تأملات ١٢٢
- إلزم منهج الرعيل الأول ١٢٥
- رأيت أمريكا ١٢٦
- ما كان الرفق في شيء إلا زانه ١٢٨
- الفرج بعد الشدة ١٢٩
- طريقة الحفظ ١٣٠
- وقفات تدبر ١٣١
- فائدة ١٣٢
- قال عمر رضي الله عنه: نهينا عن التكلف ١٣٢
- التردد ليس من صفات الناجحين ١٣٣
- زمن الدراهم ١٣٤
- المغني درجة أولى في الفقه ١٣٥
- الأمنية العالية ١٣٥
- آلآن وقد عصيت ١٣٦
- مع القراءة والكتب ١٣٦
- طه حسين وكتبه ١٤٠
- وصايا عامة ١٤٠
- النفق المظلم ١٤١
- القاموس الأثيم ١٤١
- نعوذ بالله من سوء الخلق ١٤٢
- رفقاً بالقوارير ١٤٢
- الفارغون ١٤٣
- إن البقر تشابه علينا ١٤٤
- التوفيق من الله ١٤٤
- إليك يا طالب العلم ١٤٥
- الصباح .. الصباح!! ١٤٦
- العجب يقصم الظهر ١٤٧

- ١٤٨ خاطرة
- ١٤٨ يا ضيعة الأعمار تمضي سهلا
- ١٤٨ الغنى غنى النفس
- ١٤٩ خاطرة
- ١٤٩ الفتيا مزلة
- ١٥٠ لا تتشاغل بالتوافه
- ١٥٠ خاطرة
- ١٥١ فتح الباري لابن حجر
- ١٥٢ الزيادة
- ١٥٢ القبول
- ١٥٣ البطالة
- ١٥٣ الأقرب فالأقرب
- ١٥٤ نتوب إلى الله تعالى
- ١٥٤ حسن التصرف موهبة
- ١٥٤ التخصص ركن من أركان النجاح
- ١٥٦ العلم الميسر
- ١٥٧ الشدائد
- ١٥٨ الجهلة
- ١٥٨ داء الغفلة
- ١٥٩ من القلب إلى القلب
- ١٦٠ معرفة بلا عمل
- ١٦٠ فائدة
- ١٦١ وإن تعجب فعجب أمرهم
- ١٦١ مختارات
- ١٦٦ الاطلاع الواسع
- ١٦٦ القول السديد
- ١٦٧ احذر أبا نؤاس الشاعر

- ١٦٨ إياك وكتاب الأغاني
- ١٦٨ ضياع العمر
- ١٦٩ القرآن يدعوك للسعادة
- ١٧٠ السنة في خطبة الجمعة
- ١٧٠ للنجاح خطة عمل
- ١٧١ الغنيمة الباردة
- ١٧٢ أحسن الفوائد
- ١٧٣ فائدة
- ١٧٣ الترشيد العلمي
- ١٧٤ فقه الإجابة
- ١٧٥ جنة الدنيا وعقول العلماء
- ١٧٥ ثلاث صفات ذميمة
- ١٧٥ العجمة العلمية
- ١٧٦ بركة العلم
- ١٧٧ العين حق
- ١٧٧ هموم العائلة
- ١٧٨ إذا كمل العقل نقص الكلام
- ١٧٨ البقاء للأفضل
- ١٧٩ الخلطة الضارة
- ١٧٩ أبو الطيب المتنبي
- ١٨٠ اتركوا الغرائب أيها الوعاظ
- ١٨١ البداية والنهاية
- ١٨١ من حقوق الرسول ﷺ
- ١٨١ بين الخوف والرجاء
- ١٨٢ لكل مقام مقال
- ١٨٣ إن ربك لبالمرصاد
- ١٨٣ عبئد أنفسهم

- ١٨٤ متى تكون حكيمًا؟
- ١٨٤ مسائل
- ١٨٨ نصيحة
- ١٨٩ الملاحظة
- ١٨٩ صبر على الإملاق وانتصار على الفقر
- ١٨٩ الأناقة
- ١٩٠ العلم النافع
- ١٩١ شيء بشيء
- ١٩٢ الكسل عدو النجاح
- ١٩٣ لا تغلوا في دينكم
- ١٩٤ لا تحتقر رأي أحد
- ١٩٤ خاطرة
- ١٩٤ عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ١٩٦ الأعلام يمدحون الكتب
- ١٩٦ ادخلوا في السلم كافة
- ١٩٨ الشريعة مقاصد وأسرار
- ١٩٩ مضرب الأمثال
- ٢٠٠ دراسة التاريخ
- ٢٠٢ وللحاسد فضل عليك
- ٢٠٢ الرضا
- ٢٠٣ ملاحظات على كتاب (إحياء علوم الدين للغزالي)
- ٢٠٤ خواطر ونصائح وتوجيهات
- ٢٠٧ طريق تعلم الكتاب والسنة
- ٢٠٧ مجرد كلام
- ٢٠٨ أحمد مطر
- ٢٠٩ الوقت الضائع
- ٢٠٩ لا تحرص على التصدر زمن الشباب

٢١٠	وصية من عاقل
٢١٠	فن الحفظ
٢١١	الشريعة مقاصد وأسرار
٢١٢	الجاحظ
٢١٢	رسائل حية
٢١٣	فائدة
٢١٣	إدام الخبز
٢١٤	الاهتمام بالنص
٢١٦	علم لا ينفع
٢١٦	فائدة
٢١٦	أهل الحديث
٢١٨	القناعة
٢١٨	نريد خطباء لامعين
٢٢٠	التفكير النافع
٢٢١	ونيسرك لليسرى
٢٢٣	خاطرة
٢٢٣	لكل أجل كتاب
٢٢٦	القراءة القراءة!
٢٢٧	من فوائد العزلة
٢٢٩	فائدة
٢٢٩	دعاء
٢٣٠	من عجائب التاريخ
٢٣٢	الخطيب القدير
٢٣٣	نحن والناس
٢٣٤	النبع الأول
٢٣٤	أغلى دقائق العمر
٢٣٤	المدارج

- ٢٣٥ لا حد لمطالب النفس
- ٢٣٥ الموت
- ٢٣٨ حفظ الوقت من صفات الناجحين
- ٢٣٩ الحياة قصيرة فلا تقصرها أكثر
- ٢٤٠ ذباب طمع
- ٢٤٠ خير الرجال
- ٢٤١ قلة العقل
- ٢٤١ اعتزل لتسلم
- ٢٤٣ فضل العلم
- ٢٤٤ كيف تفرح بعثرة المسلم؟!
- ٢٤٤ صيد الخاطر
- ٢٤٥ ولها حق أيضاً
- ٢٤٦ قلة الفقه في الدين
- ٢٤٧ أدب الاتصال
- ٢٤٧ ما هكذا تورد الإبل
- ٢٤٨ أحسن الناس حالاً
- ٢٤٨ كيف تعرف الناس؟
- ٢٤٩ أمرنا عجيب
- ٢٥٠ فهم السياسة شيء والدخول فيها شيء آخر
- ٢٥٠ اتبع الدليل
- ٢٥١ كل يوم جزء
- ٢٥٢ فتوى العامة
- ٢٥٢ الوسط .. الوسط!
- ٢٥٣ القراءة التافهة
- ٢٥٤ المهم الحقائق لا المسميات
- ٢٥٤ من سالم الناس يسلم من غوائلهم
- ٢٥٥ وبضدها تتبين الأشياء

- ٢٥٥ جمع الحسنات
- ٢٥٦ فائدة
- ٢٥٦ خاطرة
- ٢٥٦ أيتها العير إنكم لسارقون
- ٢٥٧ حسن خلقك للناس
- ٢٥٨ هوية أجنبية
- ٢٥٩ فائدة
- ٢٥٩ صحيح الجامع الصغير
- ٢٦٠ كتاب: صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل؛ لأبي غدة
- ٢٦٠ أسباب النجاح
- ٢٦١ رأي
- ٢٦١ فن تصعيب العلم
- ٢٦٢ الفقه
- ٢٦٣ الظاهر والباطن
- ٢٦٣ التشاؤم
- ٢٦٤ الفرج بعد الشدة
- ٢٦٤ آيتان من القرآن
- ٢٦٤ الحياة البسيطة
- ٢٦٥ الحجّة
- ٢٦٦ الترف يفسد الرجال
- ٢٦٧ عل ماذا نأسف؟!
- ٢٦٧ شعب يحكمه امرأة
- ٢٦٨ قبسات
- ٢٧٣ منازل السعادة
- ٢٧٦ ثلاثة محاذير
- ٢٧٦ البلاغ
- ٢٧٧ صيدلية خاصة

- ٢٧٧ تعب كلها الحياة
- ٢٧٨ إن كنتُ خلقتَه فأنا أرزقه
- ٢٧٩ مقامة في السجن
- ٢٨٠ العلم والخلفاء
- ٢٨١ قول جميل وفعل قبيح
- ٢٨٢ وقفات تدبر
- ٢٨٣ فائدة
- ٢٨٣ سير الرجال
- ٢٨٤ مسألة
- ٢٨٤ ولك بمثل ذلك
- ٢٨٥ سعيد النورسي
- ٢٨٥ فائدة
- ٢٨٥ وقفات تدبر
- ٢٨٦ الخلاصة